

المرجعية ضمانة للمبادئ

مركز الدراسات والبحوث

إنما تمجد الأمم في التاريخ بمبادئها ومواقفها، فالمبادئ تحدد للأمة أهدافها. وترسم لها طريقها نحو العلو والتكامل وتبعث فيها روح المواجهة لتحديات الحياة بعد أن تصقل شخصيتها و تصوغها بما ينتاسب وتفاصيل التعاليم التي تحملها تلك المبادئ.

وأما المواقف التاريخية العظيمة في تاريخ الأمم فهي ليست إلا تجليات حقيقية لمدى تفاعل الأمة مع ما تحمل من مبادئ صحيحة وخلقة.

وهكذا تتفاعل المعادلة وتطرد في الشعوب والأمم كماً وكيفاً كلما ازداد اعتصام الأمة بحبل مبادئها وتفاعلت معها شكلاً ومضموناً بحيث تصبح تلك المبادئ الإطار الذي تجد الأمة حركتها وتطلعاتها فيه.

ولكن سيبقى لا أثر للمبادئ ولا وجود للمواقف إذا لم يكن في الأمة رجال يعتقدون بتلك المبادئ ويدافعون عنها.

ومتى وجدنا مبدأ قد حقق انتصاراً بلا رجال قد انتصروا له.. بل ومتى وجدنا مواقف بطولية في التاريخ لم يكن لها صانعون.

إذاً لكي تنهض الأمة وتتقدم حضارياً في الحياة لا يكفي أن يكون لديها المبدأ الصحيح القادر على حل كافة مشاكلها وأزماتها ما لم يكن في الأمة رجال صادقون ومخلصون يحملون المبدأ وينطلقون به في الحياة مطبقين له ومدافعين عنه.

وهل مواقف الأمم إلا دفاع رجالها عن مبادئها التي يرون فيها مبرر وجودهم وضمانة لسعادتهم.

وما المرجعية في التاريخ بمواقفها الحاسمة إلا تعبير واضح الصدق لما ذكر أعلاه من حقائق تاريخية هامة.

فنظام المرجعية في حقيقته يشكل الضمانة الرئيسية للمسيرة الصحيحة التي ينبغي للأمة أن تشق طريقها نحو أهدافها السامية ولأن المرجعية نظام مبادئ يقوم على أساس (الفقه) الفهم العميق والشامل للدين الإسلامي وشريعته و(العدالة) الالتزام بقيم الرسالة وروحها

و(التصدي) التفاعل مع قضايا الأمة وهمومها. لذا يعتبر موقعها حساساً بمستوى حساسية مصير الأمة ومستقبل رسالتها في العالم. وعلى الرغم من أن الظروف التاريخية لم تكن دائماً مناسبة لانطلاق المرجعية لكي تمارس دورها الديني والسياسي ذكماً يراد لها إلا أنها استطاعت على طول التاريخ أن تحافظ على الرسالة وقيمها من المصادرة والمزايدات وأن تجعل مكانتها في المحل المناسب من القوة والتأثير.

ولكن الأمر الذي لا يختلف فيه اثنان هو أن قوة الأمة من قوة المرجعية. فإذا ما كانت المرجعية في مستوى تحديات المرحلة التاريخية التي تعيشها الأمة وعياً وإدارة وتصدياً لشؤون الأمة وقضاياها الساخنة كانت الأمة في مستوى ما يواجهها من تحديات داخلية وخارجية حيث تستلهم من قيادتها الواعية الإيمان والوعي والصلابة في المواقف إزاء كل التحولات الجارية في الساحة.

ويكفي أن نقرأ تجربة ثورة العشرين في العراق بقيادة المرجع الأعلى الكبير سماحة الشيخ محمد تقي الشيرازي الذي استطاع إخراج بريطانيا(الدولة العظمى التي لا تغيب عنها الشمس)! من الوطن الإسلامي العراق.

وإن نقرأ قصة(تحريم التبغ) في إيران من قبل المرجع الديني الأعلى السيد محمد حسن الشيرازي الذي أصدر الفتوى المشهورة(بسم الله الرحمن الرحيم إن ممارسة التبغ اليوم بأي صورة تعتبر محاربة الإمام المنتظر).

فاستطاع بذلك أن يجعل الشعب المسلم في إيران يقاطع التبغ ويخرج الشركة الاستعمارية من إيران مذمومة مدحورة.

إن هذين النموذجين لموقف المرجعية في التاريخ القريب يكشفان بأن الأمة الإسلامية ما زالت تحمل بين جنباتها ضميراً دينياً حياً لا يحتاج في تحريكه إلا لوجود القيادة المرجعية الواعية بملابسات الزمان ومتصدية لأمر الأمة وشؤونها الحقيقية.

وفي هذه الظروف التاريخية الحساسة حيث تعصف بالأمة أحداث وتحولات سريعة ومتلاحقة في مختلف مناطق العالم الإسلامي يجدر بالأمة أن تتوجه بمستوى أرفع من الجدية والوعي لمسألة انتخاب المرجع الأصح والأقوى لإدارة شؤون الأمة بأن يكون المرجع المنتخب جامعاً للشرائط عالماً بمتطلبات الزمان والأمة قادراً على إدارة الأمور

في مرحلة بالغة الخطورة حيث التحديات الداخلية والخارجية الكبرى التي تلف ساحات الأمة من كل جانب.

ولتعلم الأمة بأن في العالم جهات مناوئة وجاهلة لا تريد للأمة أن تشهد في أي مرحلة من مراحل تاريخها وحياتها صعود مرجعية قادرة على الوقوف في وجه التحديات المعاصرة والزاحفة على الأمة وفي وجه المصالح المشبوهة التي يعمل من أجل تحقيقها كل أعداء الإسلام ليل نهار.

ويكفي أن نلتفت إلى ما حولنا لندرك كيف أنهم من خلال وسائل الإعلام المتطورة والمختلفة يعملون جاهدين لإحداث حالات إرباك وبلبلة في صفوفنا ليشوهوا صورة المرجعية في ذهنية الأمة ويهمشوا دورها الديني والحضاري في النهوض بالأمة نحو مستقبل مشرق تحكمه القيم الإسلامية الأصيلة.

ولكننا على ثقة بأن أبناء الأمة بوعيهم الديني النافذ سيحبطون كل المحاولات ويثبتون للعالم والأجيال بأنهم لم يضيعوا الأمانة وأنهم وضعوا الأمر في موضعه اللائق به.

وما هذه الصفحات التي بين دفتي هذه المجلة إلا محاولة جادة للتعريف بالمرجع الذي رأى أهل الشأن والخبرة (انظر قائمة القائلين بمرجعيته وأعلميته ضمن هذه المجلة) صلاحه لتحمل أعباء المرجعية في هذه المرحلة التاريخية الحساسة التي تمر بها الأمة.

وهو سماحة آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (دام ظله) وأردنا لهذه الصفحات أن تتقل للأمة الصورة الحية والأمنية لما يتمتع به سماحة المرجع الإمام الشيرازي من كفاءة (علماً وعدالة) وإدارة وتصديقاً لهموم الأمة وقضاياها المختلفة.

ورجاؤنا أن نكون بفعلاً هذا قد أدينا واجباً وبلغنا رسالة لأبناء الأمة وأجيالها في مسألة المرجعية لأنها تشكل في جوهرها صرح الأمة وقلعتها الشامخة.

وأخيراً نقدم الشكر الجزيل لكل من ساهم في إخراج هذا العمل إلى النور راجين من العلي القدير أن يجعل كل أيماننا وأعمالنا في رضاه إنه ولي التوفيق.

قبسات من حياة الإمام الشيرازي

هو الإمام المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد محمد بن الميرزا مهدي الحسيني الشيرازي دام ظلّه.

ولد الإمام الشيرازي في مدينة العلم -النجف الأشرف- سنة 1347هـ ق.

هاجر الإمام الشيرازي مع والده إلى كربلاء المقدسة سنة 1340 وعمره آنذاك (7) سنوات. تابع دراسته العلمية على أيدي علمائها الكبار منهم والده آية الله العظمى الميرزا مهدي الشيرازي، والمرحوم آية الله العظمى السيد محمد الخطيب - قدس الله أسرارهم-. ساهم الإمام الشيرازي في تطوير الحوزة العلمية الحسنية في كربلاء حتى تجاوز منتسبوها الألف (طالب ومدرس) ولقد سار الإمام الشيرازي مع والده في الجهاد ضد الشيوعيين والنظام البعثي في العراق.

أنشأ الإمام الشيرازي الكثير من المؤسسات الخيرية والدينية فشيّد العديد من المدارس الدينية والمساجد والحسينيات. وعهد بإنشاء المستشفيات والمستوصفات للعلاج بمبلغ رمزي أو مجاني. وإقامة المشاريع الاجتماعية منها تزويج العزاب وصندوق قرض الحسنة.

تسلم المرجعية بعد وفاة والده الورع التقي الميرزا مهدي الشيرازي سنة 1381 وعمره آنذاك (34) عاماً.

حكم عليه بالإعدام هاجر من العراق إلى الكويت سنة 1391هـ، وقد أنشأ في الكويت مدرسة الرسول الأعظم الدينية، ومكتبة الرسول الأعظم. وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران سنة 1399هـ هاجر إلى إيران (سكن في المقدسة).

أسس الكثير من المدارس الدينية في إيران وفتح العديد من المراكز التبليغية والتنقيفية الإسلامية في مختلف أنحاء العالم منها بريطانيا، أمريكا، باكستان، الخليج، الهند وإيران وجمهوريات آسيا الوسطى ودول أوروبا وعدداً من الدول الإفريقية.

كتب الإمام الشيرازي المئات من الكتب في أكثر من ستة وثلاثين عاماً واستحدث أبواباً جديدة في علوم الفقه.

وللإمام الشيرازي أكبر موسوعة فقه دينية استدلالية في الأحكام الشرعية صدرت إلى اليوم في حياة الإسلام.

المرجعية أهميتها ومواصفاتها

الشيخ نمر باقر النمر

كثيرة هي القضايا التي هي بحاجة إلى الغور في خضمها بكل جرأة وشجاعة، والبحث فيها بسعة وشمول والكتابة عنها بعمق وتركيز، وطرحها بموضوعية وتجرد، ومن أهم هذه القضايا قضية المرجعية لما لها من أهمية قصوى ودور مصيري في حياة الأمة. ولكن الحديث عنها حديث له أهمية قصوى وحساسية كبيرة وذلك للأسباب التالية:

أولاً: لأن المرجعية قيم ومبادئ، رؤية وموقف، فكر وثقافة، اقتصاد وسياسة، مجتمع وحقوق، أخلاق وسلوك، أمة ورجل، إيمان وخصال، إدارة وجهاد، قيادة وقرار، روح وهمة، أسس وأساليب، هدف وغاية.

قيم مستوحاة من رسالة السماء، وضمير الإنسان... من كتاب الله المقدس القرآن الحكيم، وكتاب الله الأقدس القرآن المبين⁽¹⁾ وإمام المتقين علي أمير المؤمنين⁽²⁾ من أحاديث أهل البيت عليهم السلام الدرر اللامعة، ومن التاريخ المشرق بالأنوار الساطعة. من الوحي الإلهي، والعقل الفطري.

مبادئ مستخلصة من قيم السماء، وتجارب البشر. من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، من تاريخ الأنبياء، وحياة الأئمة والأوصياء. من الأحاديث القدسية، وكلمات الأئمة المهديّة. من جميع الكتب السماوية، وجميع رسل البشرية.

رؤية واضحة ثاقبة، وموقف شجاع رصين، رؤية مبلورة وعميقة، وموقف مبدئي وحكيم. رسالة سماوية جاء بها رسل الأرض والسماء، وحكمة إلهية ألهمها رب اليباسة والماء. رسالة موروثة من الأنبياء⁽³⁾ والأصفياء، وحكمة استقيت من صاحب الحوض اللواء⁽⁴⁾.

فكر نير، وثقافة جريئة، فكر مركز وثقافة واسعة، فكر شامل وثقافة أشمل. اقتصاد إسلامي عادل، متحرر من شوائب المذاهب الوضعية، وسياسة إنسانية قائمة على العدل والإنصاف بين الراعي والرعية. مجتمع حضاري، وحقوق عادلة، أخلاق رفيعة، وسلوك رسلي⁽¹⁾. أمة في رجل ورجل في أمة. إيمان عميق، وخصال حميدة. إدارة ماهرة، وجهاد دائم، قيادة حكيمة متكاملة، هدف مقدس، وغاية سامية.

هذا هو منهج المرجعية ونهجها، منه تستقي رؤاها وإلى الأمة تبعته مناراً. **ثانياً:** لأن المرجعية هي المؤهلة لبناء الحضارة الإسلامية، وترسيخ دعائمها، وذلك لأن الحضارة انعكاس للفكر الحضاري الذي تختزله الأمم، والفكر الحضاري خلاصة لنمط وتفكير الأمم وسلوكياتها. وتفكير الأمم نتائج مراكز الإشعاع المذهبي والفكري والثقافي والسلوكي. ومراكز الإشعاع تعبير عن نمط تفكير عظماء الأمم وقياداتها. وفكر القيادات مستوحى من المنهج المذهبي والفكري الذي تتبناه وتتبعه، فالحضارات ما هي إلا صورة واقعية من العقيدة التي تتجسد في قائد الأمة ومفكرها، الذين تتراكم فيهم قيم المذهب وتتداعى على شكل حضارة.

والحضارة الإسلامية صورة حية من العقيدة والفكر الإسلامي الذي ينبثق من مراكز الإشعاع -الوحي، والمسجد والحوزة وجمي المعاهد الدينية- ويتجسد في الإنسان القائد، في الرسول أولاً والإمام المعصوم ثانياً والعالم الرباني -الفقيه والمرجع ثالثاً والإنسان المؤمن الرسالي رابعاً.

والحضارة نوعان: حضارة المدينة التي نشاهد في عصرنا الحاضر. وحضارة الإنسان التي يتحمل أعباءها الإنسان المرجع والفقيه القائد، إضافة إلى مشاركته في بناء الحضارة الأولى. وإن الثانية لأصعب وأكثر جهداً ومشقة، وما ذلك إلا لأن:

1 - الإنسان يمكنه تطويع ما عداه من الكائنات بسهولة ويسر، ولكنه يعجز في أكثر الأحيان من تطويع نظره ونفسه التي بين جنبيه وهي أقرب إليه من حبل الوريد. قال تعالى: (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً).

2 - لأن الأولى تهتم بالشكل والمظهر الإنساني والحضاري. والثانية تصب جهدها واهتمامها لترسيخ الحقيقة والجوهر الإنساني والحضاري.

3 - لأن العقل قادر على إبداع السبل والوسائل لقيادة الكون من دون توقف ولكنه يتوقف مرات ومرات لإنتاج أو اكتشاف وسيلة ناجعة للسيطرة على نفسه ونظيره. وذلك لأن الإنسان يختلف عن الطبيعة حيث هذه خاضعة لمعادلات طبيعية ورياضية ثابتة، وذلك خاضع لمجموعة عوامل متقلبة غير ثابتة من أحاسيس ومشاعر وعواطف وأهواء وشهوات وعقل وضمير وقلب وما إلى ذلك من عناصر الإنسان، وهذه تؤثر عليها الظروف الزمكانية والموضوعية.

4 - لأن الأولى تبني المادة وهي معلومة بالنسبة، ولذا الأنسب أن يطلق عليها الحضارة المادية الإنسانية والثانية تبني الروح وهي مجهولة في الأغلب وأحق بها أن تسمى هي بالحضارة الإنسانية لأنها من الإنسان وإلى الإنسان ومن أجل إنسانية الإنسان ومع الإنسان وهو هدفها الأول والأخير.

5 - لأن الأولى تبني عن طريق الإرهاب والدوافع المادية بينما الثانية تبني عن طريق القناعة والاعتقاد بضرورتها في الحياة وأهميتها للإنسان، وعن طريق الاندفاع الذاتي. والمرجع الفقيه يتكفل ببناء الحضارة الإنسانية، ولقد أثبت التاريخ قدرته وتفوقه في ذلك.

ثالثاً: الحديث عن المرجعية حديث عن الفقه، والحديث عن الفقه حديث عن القيادة، والحديث عن القيادة حديث عن الولاية، والحديث عن الولاية حديث عن الرسالة، والحديث عن الرسالة حديث عن ولاية الله وهيمنته وسلطته.

فالمرجعية صورة مصغرة عن كل أولئك فهي امتداد للقيادة الربانية، فالمرجع وارث لرسالات الأنبياء، مؤتمن على شريعة الأوصياء فهو رسول زمانه وإمام عصره ونبي أمته، وفقهه مجتمعه. وهو القائد الأعلى للأمة.

رابعاً: مسألة المرجعية الدينية تأتي في المرتبة الثانية بعد التوحيد من حيث الأهمية، وتتوقف عليها جميع المسائل الدينية، لما لها من أهمية كبرى ودور مصيري في حياة الأمة وتاريخها ومستقبلها.

أهمية المرجعية ترجع إلى قدرته على بناء وحفظ كيان الإسلام، وبسطه واعتلائه، وذلك لأن المرجع هو الحافظ للإسلام والحارس لجميع ما يتعلق بالمنظومة الإسلامية. وهو الملاذ عند الفواح والمخاطر بجميع أشكالها سياسية واقتصادية وفكرية وغيرها. وهو الجبل الأشم أمام التيارات المضادة الداخلية والخارجية الآتية من أعداء الإسلام والأمة الإسلامية من يهود ونصارى وأصحاب مذاهب فكرية واعتقادات باطلة مثل الماسونية والوهابية والبهائية، وأصحاب القوانين الوضعية غربية وشرقية وأوسطية. لا ملاذ للمسلمين اليوم إلا المرجعية لصيانة دينهم وحفظ قرآنهم، وتماسك كيانهم، وبقاء قبلتهم.

خامساً: لارتباط مصالح الأمة -أحاد وجماعات- بشخصية المرجع القائد ومنهجه ونهجه في الحياة، وكذا نهضتها وتقدمها وجمودها وتخلف كل ذلك مرهون بالمرجع القائد الأعلى للأمة. كما هي مرتبطة بشخصية الأمة.

سادساً: لأن الصورة المنعكسة في الأذهان عن المرجعية صورة سطحية ومشوشة وقاصرة عكستها مصالح وشهوات أدياء الدين، ورسخها الواقع المتخلف وخنوع الأمة للدعة.

سابعاً: لأن طرح الصورة الحقيقية للمرجعية كما نطق بها الأحاديث بحاجة إلى شجاعة باسلة، وجراءة خاطفة وإلى تحمل عواقب جرأة الحديث وصدقه وصراحته.

ثامناً: لأن الحديث عن المرجعية بحاجة إلى فهم ووضوح وبلورة النظرية الإسلامية في القيادة العامة. ولا يتأتى ذلك إلا باستيعاب النصوص الشرعية التي تحدثت عن ذلك. وإليك بعض النصوص:

عن الإمام الرضا عليه السلام قال:

(إن الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين وصلاح الدنيا، وعز المؤمنين. إن الإمامة رأس الإسلام التالي وفرعه السامي.

بالإمامة تمام الصلاة والزكاة والصيام والحد والجهد، وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف).

الإمام يحل حلال الله ويحرم حرام الله، ويقيم حنود الله، ويذوب عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجة البالغة.

عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله).

وقال الإمام علي عليه السلام:

(العلماء غرباء لكثرة الجهال).

وقال الرسول صلى الله عليه وآله:

(رحم الله خلفائي. فقليل: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يُحيون سنتي وسنتي يعلموها عباد الله).

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

(إن العلماء ورثة الأنبياء. وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ شيئاً منها فقد أخذ حظاً وافراً. فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين).

وقال الإمام العسكري عليه السلام:

(فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه. وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم).

وقال الإمام عليه السلام:

(إن الإمامة أجل قدراً وأعظم شأنًا وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم).

وقال الإمام عليه السلام:

(اتقوا الحكومة. فإن الحكومة إنما هي للإمام العالم بالقضاء، العادل في المسلمين، لنبي أو وصي نبي).

وقال الإمام علي عليه السلام:

(من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه لسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم): وقال الإمام علي عليه السلام:

(إن أحق الناس بهذا الأمر — الإمارة والقيادة — أقواهم عليه وأعلمهم بكتاب الله).
قال الإمام علي عليه السلام:

(يا كميل محبة العالم دين يدان به يكسبه الطاعة في حياته، وجميل الأحدثة بعد وفاته. فمنفعة الماء تزول بزواله).

(يا كميل مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة).

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

(إن الله تعالى أوحى إلى دانيال أن أمقت عبيدي إلي الجاهل المستخف بحق أهل العلم التارك للاقتداء بهم، إن أحب عبادي إلي التقي الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء التابع للحكماء القابل عن الحكماء).

وقال الإمام عليه السلام:

(إن العلماء أمناء الرسل)، (العلماء خلف والرسل).

قال الإمام الصادق عليه السلام:

(من دان الله بغير سماع من عالم صادق ألزمه الله إليه إلى يوم الفناء، ومن ادعى سماعاً من غير الباب الذي فتحه الله لخلقه فهو مشرك، وذلك الباب هو الأمين المأمون على سر الله المكنون).

وعن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: (ومن أضل محق اتبع هواه بغير هدى من الله).

(عنى الله بها من اتخذ دينه هواه بغير هدى من غير إمام من أئمة الهدى).

وقال الإمام عليه السلام:

(اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون روايتهم عنا فإننا لا نعد الفقيه منهم فقيهاً حتى يكون محدثاً).

فقيل أو يكون المؤمن محدثاً؟ قال: (يكون مفهماً والمفهم محدث).

وقال الإمام عليه السلام:

(وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فانهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم).

وقال الإمام عليه السلام:

(يجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء، بالله الأمانة على حاله وحرامه).

وقال الإمام الصادق عليه السلام حينما سأله عمر بن حنظلة قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة أيحل ذلك؟ قال عليه السلام: (من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتاً وإن كان حقاً ثابتاً له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت وما أمر الله أن يكفر به، قال الله تعالى: يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به).

قلت أفكيف يصفان؟ قال: (ينظر إن من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فأنتى: استخف بحكم الله وعلينا رد والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك بالله).

وأستخلص من كل ما ذكر أن المرجعية هي الصراط المستقيم من سلوكه بلغ الهدف ودخل الجنة، ومن انحرف عنه أضاع الطريق وهو في نار جهنم وبئس المصير. المرجعية هي سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، وهي باب حطة من دخله غفر له، ومن أوصده في وجهه أحاطت به نار ذنوبه المتراكمة، وهي مزامير داوود وزيره، وإنجيل عيسى، وعصا موسى، وهي كتاب محمد ونهج علي، من اغترف منها فقد اغترف علماً واسعاً، وحكمه لا تنتفد، وموعظة حسنة، ومن حرم منها ضل الطريق وأضل العباد. والمرجعية هي القيادة العليا للأمة، وبانية الحضارة الإنسانية العريقة، وحافظة التراث الإسلامي الناصع، والذائدة عن حريم الإسلام المقدس، والمعاشية لآلام الناس، والمطلع على مشاكلهم، والمدافعة عن مظلوميتهم والحافظة لحقوقهم.

تلك هي القيادة، بشؤونها وأعبائها وأهميتها! وكل دين ومدرسة ونظام وكل مجتمع وأمة لا يرجى لها البقاء والتوسع والنفوذ والتقدم إلا بقيادة نابهة نابغة سريعة البديهة صالحة صاحبة بصيرة نافذة وقرار حازم، قائمة بوظائفها مؤمنة برسالتها.

إن العالم الذي يتصدى لتحمل مسؤولية المناصب الدينية ولا سيما المرجعية العظمى هو خليفة النبيين ووحى الصديقين فعلى هذا يلزم أن نعرف كيف ينبغي أن يكون هذا العالم؟ بل كيف يجب أن يكون؟.

وهنا يبرز السؤال الثاني: ما هي المواصفات التي يجب أن يتحلى بها المرجع الأعلى؟.

الجواب: الصفات التي يجب أن يتحلى بها المرجع الأعلى هي كالتالي:

أولاً: التقوى والورع، والزهد والعفاف، ومخالفة الهوى والشهوات، والتواضع والبساطة في الحياة. وصيانة النفس وعدم العلو أو الاستكبار.

قال الإمام العسكري عليه السلام:

(فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا كلهم. فإن من ركب من القبائح والفواحش مراكب علماء العامة فلا تقبلوا منهم عنا شيئاً ولا كرامة). قال الله تعالى:

(أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون) وقال: (يرفع الله الذين آمنوا و الذين أوتوا العلم درجات).

ثانياً: الشجاعة والجرأة، والتصدي والإقدام، والمبادرة والتجاسر، (فاز بالذات من كان جسوراً).

قال الله تعالى: (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً). وقال الإمام علي: (إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه).

ثالثاً: معرفة الحق ورضوخه إليه واستيعابه لمفرداته، أن يكون فقيهاً عارفاً بالله عالماً بكتابه مستوعباً لقيم السماء وقوانينها والتفاضل بينها.

قال الله تعالى: (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال: (يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات)، بأن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بكتاب الله).

رابعاً: معرفة الواقع الخارجي وإدراكه لدقائقه، ومعرفة الظروف الزمكانية والموضوعية وأثرها على مسار الفتوى والمجتمع وبالتالي الحديث مع الناس بلغتهم التي يعرفونها. قال الله تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه يبين لهم). وقال الرسول صلى الله عليه وآله: (إننا أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم)، (العارف بزمانه لا تهجم عليه اللوابس).

خامساً: القدرة على تطبيق الحق على الواقع. معرفة الحق ضرورية، ومعرفة الواقع مهمة. ولكن الأهم أن وضع الحق في مكانه المناسب زماناً ومكاناً وموضوعاً وشخصاً وأمة وما شابه ذلك (الأمر مرهونة بأوقاتها)، (ليس كل ما يعلم يقال وليس كل ما يقال حان وقته وليس كل ما حان وقته حضر أجله).

سادساً: الحياة المادية والمعنوية، حياة الجسد وحياة الفكر والنفس والعقل، بأن يحمل روحاً شابة متألفة قادرة على النشاط والحيوية والمتابعة لشؤون الأمة من دون كلل أو ملل. (وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم).

وما إلى ذلك من صفات الخير والكمال، صفات الرسل والأنبياء، صفات الأئمة والأولياء. فالمرجع يجب أن يكون صورة ونموذجاً مصغراً عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الأئمة (عليهم السلام) (ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) فالمرجع رسول زمانه إمام عصره. ولا يمكن أن يكون الرسول إلا عالماً بعصره معاشراً لمجتمعه يعرف ما يدور داخلهم وفي أوساطهم. وكذا المرجع لا يصح أن يكون جاهلاً بعصره، أو متقوقعاً في بيته، لا يعرف ما يدور خارجه.

المرجع هو الذي ترجع إليه الأمة في أمورها كلها وبالخصوص الحوادث المستجدة. فمسألة المرجعية ليست رهينة ولا مقتصرة على أعطاء الفتوى في الأمور العبادية فقط أو ما شابهها مما هو مدون في الرسائل العملية. بل المرجعية شاملة لكل مجالات الحياة، وأبرزها الحوادث الواقعة المستجدة التي تواجه الأمة.

ولو اقتصرنا المرجعية على الشؤون المدونة في الرسائل العملية لاكتفت الأمة بكتاب يدون فيه جميع المسائل ترجع إليه الأمة عند حاجتها ويكون شبيهاً بالكتب الدراسية التي يؤلفها المختصون في الجامعات والمدارس، أو شبيهاً بكتاب المنجد في اللغة ليس غير. إن الأحكام العامة ثابتة لا تتغير (حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة) ولكن الفتاوى خاضعة للظروف الزمانية والموضوعية والشخصية ووضع الأمة والمجتمع بل والحديث والقرية بل والشخص، وهذا يتطلب معرفة كل ذلك حين إصدار الفتوى.

فالفقيه الذي يحق للمجتمع تقليده واتباعه، وتسليمه أزمة الأمور كلها والقيادة هو الفقيه الذي يتصف بما ذكرنا عالمياً بجميع تعاليم الإسلام العبادية والمعاملاتية سياسية وثقافية اجتماعية وأخلاقية دفاعية وإدارية حكومية وحقوقية وما يمت إلى الحياة العامة بصلة. هذا هو المرجع المطلوب وفي يومنا هذا هناك القليل ممن يتصفون بهذه المواصفات، قادرين على تحمل أعباء هذه الأمة التي يأسر الحاجة إلى قائد يقتلها من غفلتها وحضيضها لينهض بها إلى ريادة العالم أجمع.

وأنا أفيت ببصري يمناً ويسرى أمام وخلف فلم أرَ أكفاً ولا أقدر ولا أصلح لتحمل هذا العبء الثقيل وقيادة الأمة إلى ساحل الأمان وريادة الأمم أفضل من آية الله المرجع الكبير آية الله العظمى نابغة عصره الإمام السيد محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي (دام ظله الوارف) مرجعاً أعلى وقائداً أمثل لهذه الأمة الإسلامية.

الهوامش

1 - قال الإمام علي عليه السلام: (وأنت الكتاب المبين الذي يظهر به المضمرة)

2 - قال الإمام علي عليه السلام: (أنا القرآن الناطق)

3 — جاء في زيارة الحسين عليه السلام: (السلام عليك يا وارث الأنبياء، وقال الإمام الصادق عليه السلام: إن العلماء ورثة الأنبياء وذاك أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما ورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ شيئاً منها فقد أخذ حظاً وافراً فانظروا عمن تأخذونه فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

4 — جاء في الزيارة(السلام عليك يا صاحب الحوض واللواء)

5 — نسبة إلى سلوك الرسل.

معالم منهجية التوجيه الثقافي في فكر الإمام الشيرازي

الشيخ إبراهيم أحمد

انطلاقاً من الفهم العميق لمشكلة الأمة الحضارية المتمثلة في تخلفها الحضاري الشامل بسبب ابتعاد أبناء الأمة عن مصادر البناء الحضاري الإسلامي يؤكد سماحة الإمام الشيرازي على ضرورة الاهتمام الكبير بمسألة الثقافة في توعية الأمة وترشيدها نفسياً وعملياً⁽¹⁾ الأمر الذي يضعها على الطريق السليم نحو بناء الأمة الإسلامية الواحدة. وذلك لأن الأمة ما لم تكن الرؤية الحضارية لها بالنسبة إليها واضحة المعالم والتفاصيل فإنها لن تتمكن أبداً من النهوض من واقعها المتخلف وستصبح أهدافها السامية مجرد أحلام وأمانى يفصل بين الأمة وبينها مسافة الجهل بسبل النهوض والتقدم الحضاريين. أما عن معالم النظرية الثقافية في التوجيه والتوعية في فكر الإمام الشيرازي يمكن تحديدها من خلال ما يلي:

أولاً: إعطاء الرشد الفكري للأمة الإسلامية

ما لم تتخلص الأمة الإسلامية من الجذور الحقيقية الكامنة وراء تخلفها الحضاري فإنها ستكون فاقدة للقابلية الحضارية في النهوض والانطلاق في آفاق الحياة السعيدة. وإذا علمنا بأن جذور التخلف والضعف في الأمة تتمثل في جوهرها في الحالة النفسية حيث أصبحت الأمة مستسلمة لواقعها المريض عاجزة عن الإقدام والانعتاق من أسر ما

هي فيه من مشاكل وأزمات شملت مختلف مجالات حياتها الحضارية كان لازماً أن نبحث عن الوسائل الناجعة التي بإمكانها أن تحل هذا الإشكال بأن نفتتح أمام الأمة آفاق النهوض والانطلاق نحو مستقبل إسلامي مشرق تحكمه الرسالة وتسوده القيم المنبعثة منها. وهذا ما تؤدبه (الثقافة) حيث أنها إذا ما لامست نفسية الأمة وتفاعلت مع قيمها الحضارية كانت الصاعق المفجر لطاقتها الكامنة والقوة المحركة لها، نحو الأهداف العليا التي تتطلع إليها على ضوء تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

لقد تركنا توعية الناس ونشر المعارف الأرضية فتأخرنا وقام المبطلون والمنحرفون بنشر أفكارهم فتقدموا وتلك هي سنة الحياة⁽²⁾.

ولأهمية الوعي والرشد الفكري نجد الله سبحانه وتعالى يقول: (إن إبراهيم كان أمة) فالله تعالى يعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام أمة والسبب هو رشده الفكري كما قال تعالى: (ولقد آتينا إبراهيم رشده).

إن السبب واضح ذلك لأن القلم واللسان هما اللذان يسببان تحرك الناس نحو الجهاد في ميادين القتال إضافة إلى أنهما يحفظان الشريعة ويحافظان على مكتسبات الأمة وبعملية التنقيف الواسعة النطاق هذه نكون قد خطونا الخطوة الأولى في طريق تحقيق الحكومة الإسلامية العالمية الواحدة⁽³⁾.

ثانياً: صياغة الذهنية الإسلامية ثقافياً

إن النظرية التجزيئية للتاريخ الإسلامي توقع الباحثين في الكثير من الإشكالات المنهجية والعملية لأنهم بهذه النظرة التجزيئية للتاريخ إنما يجعلون أراضيتهم المعرفية عاجزة عن إدراك مختلف جوانب وأبعاد المشكلة الحضارية التي تعيشها الأمة منذ قرون تجاوزت عشرة قرون... فكيف يمكن معالجة داءٍ لا نعرف حقيقته وأسبابه الفعلية التي أدت إلى بروزه واستفحاله؟ إن وصف دواء لداء نجهل ما هو يعني في أحسن الأحوال المخاطرة بحياة المريض وهذا ما سقط فيه بعض الباحثين الذين حاولوا فهم مشكلة الأمة وبالتالي وضع الحلول النظرية لها قبل أن يفتشوا عن الأسباب التاريخية والحقيقية التي بدأت تشكل مشكلة الأمة حتى انتهت إلى ما هي عليه الآن.

وإذا ثبتت تاريخياً ومنطقياً الامتدادات التاريخية للمشكلة الحضارية القائمة في الأمة اليوم فإن هذا يعني أن الواقع الإسلامي المعاصر بمشكلاته الجوهرية يحمل في داخله تداعيات أحداث تاريخية مختلفة تتالت وتراكمت حتى أصبحت جليلة المعالم فيما هي عليه في شكلها الحالي.

وما الذهنية الإسلامية المعاصرة إلا مجال واسع خصب استطاعت تلك التداعيات التاريخية القريب منها والبعيد زمنياً أن يجد فيها مكاناً ملائماً لتركزها وتفاعلها حتى أصبحت في مراحل لاحقة من تركزها وتفاعلها جزءاً من نفسية وذهنية الأمة المحركة لها فكرياً وسلوكياً أمام أحداث الواقع المتحرك وتداعياته الطبيعية ولأن الصيغة العامة لتلك التراكمات يمكن لنا وصفها بأنها في جملتها ليست بالتداعيات الإيجابية فإنه ليس من المتوقع بأن مواقف الأمة اليومية من الأحداث ستكون إيجابية لأنه من الثابت بأن الأمم لا تنظر إلى واقعها والأحداث الجارية فيها إلا من خلال ما تحمل من أفكار وتصورات، وما صيغة مواقفها الفعلية إلا انعكاس لصيغة أفكارها وتصوراتها.

وهذا كله يعني أن الأمة الإسلامية المعاصرة ما لم تتجاوز ذهنية التخلف التاريخية فإنها لن تخطو حتى خطوة واحدة للأمام، أما كيف تتم عملية التجاوز وبماذا؟ هذا ما تقوم به الثقافة الرسالية الأصيلة من خلال الخطوتين التاليتين⁽⁴⁾:

الخطوة الأولى: تحطيم الثقافات المتخلفة بجميع أنواعها وأشكالها (الجاهلية والإغريقية والأوروبية).

وهذا يعني أن نقوم بعملية مسح شاملة لمختلف الأمراض الكامنة في الأمة حتى نتعرف بدقة على أسبابها ومضاعفاتها وبالتالي الصيغة السليمة للخروج منها وهذا ما تحدده تفاصيل الخطوة الثانية.

الخطوة الثانية: الانطلاق في آفاق عملية البناء الثقافي القائمة على أسس طرح البديل الثقافي المنبعث من صميم تعاليم الرسالة وقيمها الحضارية السامية.

ولا ريب في أن هذه العملية إنما تقوم على مؤديات الخطوة الأولى المذكورة أعلاه حيث إنه بعد معرفة الأمراض والنواقص نبدأ في الخطوة الثانية بوضع العلاج المناسب من وحي التعاليم الدينية وتجارب الأمم، والذي يفسر لنا علمياً فشل بعض الجهات الإسلامية

في النهوض بالأمة أنها لم تأخذ هاتين الخطوتين بعين الاعتبار حيث كانت تعتمد على الجزء السلبي دون الإيجاب في تقديم برنامج بديل متكامل وربما كان ولكنه لم يخرج إلى حيز التنفيذ⁽⁵⁾.

والمقصود من الجزء الإيجابي في البرنامج الثقافي الذي ينبغي أن يركز في ذهنية الأمة وتصاغ على أساسه هو كيفية الحكم في المستقبل وفقاً للمقاييس الإسلامية بعد الانتصار، وقبل الانتصار ينبغي توضيح السبل العملية لنهضة الأمة وكيف تتحدى وكيف تكتب بتضحياتها النصر على جبهة تاريخها المجيد.

ثالثاً: نشر الوعي في البلاد الأجنبية

لقد تمكنت الصناعة الحديثة أن تختصر الزمان والمكان فإذا بالعالم الرحيب يصبح بواسطة وسائل الاتصال والنقل أشبه شيء بقرية صغيرة تضم مجموعة من الناس. وإذا ما تأملنا هذه الظاهرة الواضحة وعبرنا من خلالها لمعرفة الجوانب الأعمق في عالم اليوم استطعنا أن نجد إلى جانب حالة الشعور بالغربة والرضا لأننا قد أدركنا زماناً أصبحت فيه التقنية في أوج مراحل ازدهارها إذا ما قيس بما كانت عليه قبل قرون قلائل، وجدنا في الأعماق مخاطرة حقيقية محدقة بنا نحن أبناء الأمة الإسلامية بما نحن عليه من واقع متخلف مؤلم لا يملك القدرة المطلوبة للدفاع عن كيانه المثنى بالجراح العميقة.

أما عن تلك المخاطر فلا أظن أنه يوجد في ساحة الأمة من يختلف في وجودها وحقيقة أمرها ذلك لأن المدينة الحديثة ليست هي كما يصورها لنا البعض بأنها نتاج جهود بشرية تراكت عبر مراحل التاريخ حتى وصلت ذروتها في الحضارة الأوروبية الحديثة وبالتالي يمكن لجميع شعوب الأرض أن تقبلها وتتعايش معها في حياة كلها أمن وسلام ورفاه. لأن هذا التوجيه وإن قبل جداً لا يلغي الخصوصية الجغرافية والتاريخية والثقافية التي تتطوي عليها الحضارة الأوروبية وتمنعنا من الانفتاح المطلق على منجزاتها ومكاسبها بلا قيد ولا شرط.

إن ما يجري في عالم اليوم ليس مجرد بروز حضارة بشرية عملاقة استطاعت في زمان قصير أن تصل إلى القمر وتفجر الذرة وأن تعبر القارات وتخوض المحيطات بما توصلت إليه من وسائل علمية ومكتشفات طبيعية بالغة الأهمية.

إن هذا وإن كان بنسبة ما يشكل جانباً من الحقيقة الواقعة في العالم إلا أن الجانب الآخر من الحقيقة والأهم بالنسبة لأمتنا ووجودنا الحضاري ما تحمل هذه المدنية الحديثة من تحديات ومخاطر أثبت التاريخ المعاصر القريب مدى مصداقيتها وواقعيتها عندما قام الغرب الحديث بحملات غزو عسكري وثقافي واقتصادي تركت آثارها المدمرة على كل جانب من جوانب الواقع الإسلامي.

وما تجري من أحداث وتطورات سياسية وعسكرية في بلدان عالمنا الإسلامي أدلة واضحة الدلالة على أن الحضارة الغربية لا تزال تحمل عداء متجذراً للدين والعالم الإسلامي لأنهم وجدوا في تعاليمه ومناهجه الفاعلية الحضارية المطلقة التي لو تحركت لصنعت أمة عظيمة ستتحني لها كافة دول العالم وشعوبه لا خوفاً بل إجلالاً وتمجيذاً لأنهم سيجدون الدين الإسلامي الملجأ الحقيقي لما يبحثون عنه من إيمان وسلام ومعرفة.

إذاً إنه صراع حضاري شامل لا توقفه تلك الصيحات الداعية للأمة بأن تحمل رسالة الغرب لكي تتقدم وتتهض من صميم تخلفها المرعب وبالتالي فإن إعداد الأمة وتوعيتها بالثقافة الإسلامية الأصيلة لن يكون هو السبيل الوحيد في هذه المواجهة والمعركة المصيرية لأن في معركة كهذه لن تكون وسائل الدفاع وحدها هي المجدية لإخراج الأمة وشعوبها من مخاطر المواجهة وإبعادها عن أسباب الهزيمة الماحقة.

بل ما ينبغي علينا وعيه هو أن نقوم بحملات واسعة النطاق لنشر الثقافة الإسلامية في مختلف بلدان العالم الإسلامي والتركيز أثناء ذلك على التوعية القائمة على أسس منهجية وعلمية في الشكل والمضمون وليكن ذلك معتمداً على دعائمين⁽⁶⁾:

تنقيف المسلمين الموجودين في البلاد الأجنبية بالثقافة الإسلامية وتعليمهم كيفية التبليغ للإسلام حيث الوجود الكبير للمسلمين في البلدان الأجنبية ففي فرنسا وحدها أكثر من أربعة ملايين مسلم وفي ألمانيا أكثر من هذا الرقم وفي الصين أكثر من مائة مليون مسلم وفي أمريكا ثلاثة ملايين من المسلمين السود وفي بريطانيا ما يقارب المليون مسلم.

الثانية: إيصال صوت الإسلام إلى الكفار والمعادين للإسلام عبر الوسائل الإعلامية المتاحة وبكل اللغات وذلك لهدايتهم أو على الأقل للتخفيف من عدائهم للإسلام. إن الصهيونية في العالم تسيطر على أكثر من ألف جريدة خارج إسرائيل وبيدها كبرى الجرائد العالمية وهذا أحد أسباب تمكنها من كسب الرأي العام الغربي بل والعالمي إلى جانبها.

وهكذا يكون تأسيس المؤسسات والمراكز الإسلامية في الدول الأجنبية ضرورة حضارية لإيصال صوت الدين الإسلامي بتعاليمه الأصيلة لمسامع الدول الأجنبية من خلال نشر وبيع وتوزيع الكتاب الإسلامي وهذا ما يحتاج إلى جهود مضنية قد تستمر عشرين سنة أو أكثر أو أقل حتى يتحقق الهدف المنشود.

رابعاً: تبديل الثقافة الجاهلية بالثقافة الإسلامية الأصيلة

إن دراسة شاملة للواقع العام الذي يعيشه المسلمون اليوم تنتهي بنا إلى نتائج تثير فينا مخاوف حقيقية على مستقبل الأمة الإسلامية إذا ما استمرت الأمور كما هي عليه الآن، حيث أن ميزان القوة بجميع مفرداتها في العالم بيد جهات ليست بإسلامية فهي تصول وتجول في العالم بناءً على ما تحمل من تطلعات ومصالح حيوية ترى فيها أساس وجودها ومبرر بقائها.

ويكفي أن نأخذ الواقع الثقافي للمسلمين نموذجاً للدراسة والتأمل فإننا سنجد بأن الثقافة السائدة في الأوساط الإسلامية جميعها تتقاطع في نقطة هي أجنبية في جوهرها عن المضمون الروحي والقيمي للدين الإسلامي الذي تعتقده الأمة الإسلامية ديناً وفكراً ومنهجاً في حياتها.

وهذه النقطة هي أن الثقافة السائدة اليوم في مختلف المجتمعات الإسلامية في أغلبها لا تحمل الصفة الإسلامية لأنها لا تعدو أن تكون مزيجاً غريباً في شكله ومضمونه عن تلك الثقافة التي انبعثت من صميم تعاليم الرسالة ومنابعها الصافية فهي ليست إلا تراكمات مراحل انحدار الأمة من قمته العليا حتى مرحلتها التاريخية اليوم.

وبالتالي فهي ثقافة غريبة ذات صبغة بشرية لم تنطلق من المصادر الأساسية للدين الإسلامي بقدر ما انطلقت من واقع المسلمين الفعلي فهي ثقافة المسلمين لا ثقافة الإسلام النابعة من مصادره وأصوله. وعلى الرغم من أن المؤثرات التاريخية في الواقع الثقافي للأمة تمتد إلى ما يزيد على ألف عام إلا أنه يعتقد بأن الأمة الإسلامية تلاقي في مجمل ما تلاقي من تحديات ثقافية أكثر خطراً وأوسع شمولاً من تلك التي عصفت بها تاريخياً بسبب العوامل المستجدة التي وجدتها الصناعة الحديثة المتطورة في الاتصال والمواصلات حيث سهلت عملية الانتقال للأفكار والمعتقدات حتى وجدنا العالم كتاباً واحداً تضج بين جنباته الأفكار والتصورات المختلفة والمتعددة وإذا بالأمة الإسلامية، وهي تعيش غربة عن قيم رسالتها، قد تحولت لميدان واسع تصول وتجول في أدمغة أبنائها الثقافة الأوروبية ذات النوازع المادية الحادة وستبقى الأمة أسيرة الثقافة الأوروبية في حربها ما لم تتحرر من قيود هذا الأسر وتبدأ بتبديل هذه الثقافة الأوروبية الجاهلية والتخلص من كل مساوئها واستبدالها بتلك الثقافة الإسلامية الأصيلة التي انطلقت منها أول مرة من بين روابي مكة في صحراء الجزيرة العربية الحارقة فإذا بها خير أمة أخرجت للناس لا تتحني لتحديات الحياة كلما عصفت بها أبداً حتى تمكنوا أن يشكلوا أعرق حضارة في التاريخ لأنهم خرجوا من طوق الشهوات وسلخوا عن أنفسهم عبودية الأهواء والملذات فصاروا⁽⁷⁾ أحراراً يعملون للعقيدة والمبدأ والإنسانية.

إن علينا أن نغير الثقافة الجاهلية لأن التغيير الثقافي يسبب تغيير المناهج العملية والمناهج السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

إن في المسلمين أفراداً يحملون ثقافة إسلامية وافية دون شك ولكن الكلام حول الأغلبية الساحقة منهم، هؤلاء علينا تغييرهم.

أما كيف؟ فهذا يكون بالتنوعية الشاملة ونسف المفاهيم الخاطئة واستبدالها بالثقافة الإسلامية ذات المفاهيم الإنسانية والعالمية التي لا تعرف معنى الحدود الجغرافية ولا تعرف طعم الذل والمسكنة والاستسلام.

اعتمدنا في آراء سماحة الإمام الشيرازي في مسألة التوجيه الثقافي على المنهج التالي وهو أن نفهم الفكرة المعروضة وننطلق بها تفصيلاً وتوسيعاً كما كنا في آخر كل بند نقوم بدرج بعض المقاطع من كلماته وأقواله... دام ظله اعتماداً على كتابه السبيل.

الهوامش

- 1 - السبيل لإنهاض المسلمين ص 37 ص 33 ص 47
- 2 - المصدر نفسه ص 20
- 3 - المصدر نفسه ص 21
- 4 - المصدر نفسه ص 26
- 5 - المصدر نفسه ص 26
- 6 - المصدر نفسه ص 29
- 7 - المصدر نفسه ص 42

المنهج الدعوي عند الإمام الشيرازي
الشيخ فريد الشيوخ

الإمام الشيرازي والتصدي

إنّ الإمام الشيرازي (دام ظله) الذي ما يزال يتصدى لشؤون المرجعية الدينية للطائفة الإمامية الشيعية يعدّ اليوم أكبر مراجع الدين والخيار الأنسب من نواح كثيرة لا تخفى على أهل العلم والخبرة خصوصاً من تحمل بعض هموم هذه الطائفة، واطلع على ما تحتاجه من عالم الدين.

الإمام الشيرازي (دام ظله) استطاع من خلال منهجه الذي يتبعه في تسيير شؤون المرجعية أن يخطو بالمرجعية الدينية خطوات رائدة وأن يظهر المرجع الديني عند الشيعة بصورة مشرقة.

فإنه جعل المرجعية في هذا العصر تهتم بالشأن السياسي وربطها بواقع الأمة الإسلامية التي تحتاج إلى نهضة جبارة تتجاوز بها الكثير الكثير من السلبات التي تشكل جزءاً من واقع الأمة في عصرنا الحاضر.

إذ إن الإمام الشيرازي يرى أن من أهم واجبات رجال الدين وبالأخص المراجع والمجتهدين التصدي لهموم الأمة من مختلف الجوانب باعتبارهم الامتداد الحقيقي لخط الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة فهم الحفاظ للدين والأمناء على الأحكام. مقابل ذلك هناك أصوات تعلو من هنا وهناك تنادي بعزل رجال الدين عن الأمة بدعوى أنهم يشكلون مجتمعاً داخل الأمة ولا ربط لهم بالناس إلا من زوايا محدودة وفي أماكن محدودة وضمن ظروف وأوقات محددة.

في مقابل هذا التوجه الموجود الذي يستفيد من حال الجهل الذي سيطر لمدة طويلة على مختلف المجتمعات في الأمة الإسلامية كان لا بد من التصدي لمثل هذا التيار لإخراج الأمة من الظلمات إلى النور ومن التعامل السطحي مع رجال الدين إلى بناء الارتباط القوي بين رجال الدين ومختلف قطاعات المجتمع كي يساهم الجميع في بناء حضارة هذه الأمة.

وهذا العمل الخطير لا يمكن إنجازه إلا بعد ممارسة دور الدعوة والتبليغ في الأمة الإسلامية التي أضحت بأمس الحاجة لهذا الدور الذي يسعى الكثيرون إلى طمسه بوضع العراقيين أمام توجه رجال الدين لممارسة هذا الدور.

لذا كان الإمام الشيرازي (دام ظله) ممن أخذ على عاتقه ممارسة هذا الدور في الأمة بشكله الصحيح.

الإمام الشيرازي بداية العمل (الدعوة)

يعد الإمام الشيرازي من أكثر رجال الدين في الطائفة الشيعية تحركاً ونشاطاً في مجال الدعوة والتبليغ. فلقد بدأ ممارسة هذا الدور بشكل فعال ومثير للاهتمام وهو شاب لم يتعد العقدين من عمره المبارك، وهما هو اليوم مازال على حيويته ونشاطه وقد ذرف على العقد الثامن من عمره — أطال الله بقاءه — دون كلل أو ملل أو هبوط في العزيمة أو تغيير لأصل منهج الدعوة والتبليغ واعتزاله والتقليل من شأنه بل على العكس لقد بدأ الإمام الشيرازي العمل الدعوي في سبيل الله في أيام والده العالم الورع آية الله العظمى الميرزا مهدي الشيرازي (قدس) الذي أبدى اهتماماً بهذا الجانب أيضاً. فكان (قدس) المدرسة العلمية والعملية لولده (الإمام الشيرازي).

كربلاء المحطة

كربلاء زمن وماضٍ وذاكرة في حياة الإمام الشيرازي فكربلاء شاهد حق لبداية انطلاقة مازالت مستمرة لمدة تجاوزت الأربعين سنة قادها السيد الشيرازي برفقة والده حين الانطلاقة في سبيل الله بالدعوة والتبليغ بتشييد المدارس وإعداد الطلبة وبناء المبلغين الذين يحملون الهدى ليلبغوه للناس.

ففي كربلاء المقدسة قبر الإمام الحسين (عليه السلام) سيد الشهداء والذين سقطوا معه في معركة الطف التي استطاع بها الإمام الحسين (عليه السلام) حفظ الإسلام من الاندساس. فلقد عاشت كربلاء عشرات السنين تشهد نشاط الإمام الشيرازي (دام ظله) المميز بالنشاط الفعال والحركة التبليغية والتنقيفية والذي كان ملفتاً لأنظار العلماء والفقهاء آنذاك.

فلقد شهدت كثير من الدول الإسلامية وخصوصاً العراق وبالأخص مدينة كربلاء نشاطاً تبليغياً كبيراً زمن وجود الإمام الشيرازي في العراق قبل أن يضطر للخروج منه سنة 1371هـ إلى الكويت التي شهدت هي الأخرى النشاط التبليغي الواسع لسماحته فيها ومنها لمختلف الدول الإسلامية وبعض من دول العالم التي توجد فيها الأقليات الإسلامية. لقد استطاع الإمام الشيرازي أن يشخص الداء الذي أصاب الأمة الإسلامية، فالجهل يسيطر على قطاع واسع من أبنائها، وقسم من خيرة أبنائها قد ابتلعتهم التيارات الفكرية الوافدة بمنشآتها الغربية والمتلبسة بالأثواب الخادعة.

فرأى سماحته أن الدواء الناجع هو العمل الثقافي الإسلامي الواسع والمختلف الجوانب، والذي يجب ألا يعتمد على أسلوب واحد بل من اللازم أن يتعدد بحسب ما تسمح به الظروف.

فالثقافة أساس لكل بناء حضاري وهي جزء من هوية الأمة وحضارتها فكان لا بد لها من تقويم وإصلاح يبدأ بالتوجه إلى الجانب التبليغي.

فلذا أعطى الإمام الشيرازي الجانب التبليغي الاهتمام الكبير المبني على تخطيط وتفكير مسبق تلاه عمل وتطبيق لبرنامج على المديين القريب والبعيد في سبيل الدعوة والتبليغ لتحقيق أكبر قدر ممكن من التنقيف والوعي بين جماهير الأمة الإسلامية ولجميع شرائح المجتمع.

وعهد عن السيد المرجع تشدده في هذا الجانب مع طلبته ويرى أن حضور الدرس واجب فكذا التبليغ واجب على رجل الدين وطالب العلم كوجوب حضور الدرس.

في كل عمل يبدأ الانطلاق بالخطوة الأولى والتي هي فاتحة الخطوات المقبلة وهذه الخطوة هي الممارسة والنشاط وجعل القرار والأفكار على أرض الواقع لئلا يبقى في حيز النظرية.

ولا بد من أن تكون هذه الخطوة الأولى خطوة واثقة ليكتب لها الاستمرار فكانت إنشاء المدارس والمعاهد الدينية وفق توجيه مركز.

فأنشئت تحت إدارة سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) عدد من المدارس الدينية في كربلاء وما حولها ومن تلك المدارس والمعاهد:

1 — المدرسة الحسينية في كربلاء المقدسة. وهي من أكبر المدارس في مدينة كربلاء المقدسة شهدت نشاطاً كبيراً في التدريس والتوعية.

2 — مدرسة شريف العلماء.

3 — مدرسة البروجردي.

4 — المدرسة الهندية.

5 — مدرسة ابن فهد الحلي.

6 — مدرسة باكوب.

7 - مدرسة حسن خان.

8 - مدرسة خان.

9 - السليمية.

10 - المدرسة الرضوية.

ولقد أسس السيد المدارس خارج العراق مدرسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في الكويت ومدرسة جابر بن حيان في قم ومدرسة الرسول الأعظم في قم ومدرسة في مشهد ومدارس في الهند وباكستان وأنحاء إيران وسوريا وإفريقيا.

الاهتمام بالقرآن الكريم

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لابنه الإمام الحسن (عليه السلام):
(الله الله في القرآن لا يسبقنكم إلى العمل به غيركم).

عمد الإمام الشيرازي دام ظله إلى بناء علاقة أمتن وأقوم بالقرآن الكريم قائمة على مفاهيم تتطلع إلى معرفة المجتمع وخلق البصائر الحية وتعميق الارتباط بين القرآن الكريم الذي هو أساس المسلمين في التشريع - الفقه - وفي بناء المجتمع والحفاظ على سلامته من أي انحراف بالارتباط بالقرآن وبالتمسك به.

ومما كتبه سماحته حول القرآن: الفقه القرآن الكريم وتقريب الأذهان في تفسير القرآن وهو تفسير مختصر يقع في (10) مجلدات.

1 - مدرسة حفاظ القرآن الأولى

وهي من المدارس الرائدة في تعليم القرآن الكريم في كربلاء المقدسة، وكان يتولى الإشراف على هذه المدرسة الشيخ ضياء الزبيدي والخطيب الكبير السيد عبد الحسين القزويني والعلامة عبد الحسين الموسوي.

إضافة إلى العلامة السيد مجتبی الحسيني الشيرازي (الأخ الأصغر للإمام الشيرازي) وحجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي أصغر.

2 - مدرسة حفاظ القرآن الكريم الثانية

وكانت مكملاً لمدرسة حفاظ القرآن الكريم الأولى في سبيل إعداد المبلغين الواعين والمطلعين على علوم القرآن.

المعهد الخطابي

إن الخطابة لها دور كبير في توجيه المجتمع نحو الخير والصلاح ولا يمكن تجاهل دور الخطابة في نشر الوعي الديني خصوصاً في المجتمعات الشيعية حيث يقام مجلس عزاء الإمام الحسين (عليه السلام) والأئمة الباقيين (عليه السلام). ولقد كان للخطابة الحسينية ومجالس الوعظ والإرشاد الديني التي تقام في شهري محرم وصفر وشهر رمضان المبارك، الأثر البارز، فكان لا بد من الاهتمام بالتبليغ في هذه الشهور والإعداد له بشكل يكون بالمستوى المطلوب بإعداد الخطباء الأكفاء.

مدرسة الكتاب والعتره

الإمام الشيرازي (دام ظله) قام بتأسيس مدرسة خاصة لإعداد خطباء حسنيين واعين قادرين على ممارسة الجانب التبليغي بالمستوى المطلوب. فكانت مدرسة الكتاب والعتره. وقد أقام الإمام الشيرازي علماء وخطباء واعين ممن أخذوا على عاتقهم تحمل مسؤولية الدعوة وممن شاركوا السيد المرجع في ذلك المرحوم الشيخ هادي الكربلائي. وقد أدار هذه المدرسة العلامة الكبير والخطيب المعروف السيد مرتضى القزويني وحجة الإسلام الخطيب الكبير الشهيد الشيخ عبد الزهراء الكعبي، وساعدهما على إدارة هذا المشروع عدد من الفضلاء.

وخرجت من هذه المدرسة المئات من الخطباء الذين انتشروا في أرجاء العراق في مواسم التبليغ والمناسبات.

منهم:

1 - المرحوم الشيخ عبد الزهراء الكعبي:

وهو غني عن التعريف.

2 - حجة الإسلام الخطيب الكبير الشيخ عبد الحميد المهاجر:

ولقد عرف الكثير من أبناء العالم العربي الشيخ المهاجر بمحاضراته الرائعة في أسلوبها والقيمة في أفكارها. ولقد كانت محاضرات الشيخ المهاجر المحاضرات التي يحتاجها أبناء الأمة فلذا لقيت إقبالاً واسعاً من مختلف قطاعات المجتمع ولقد أنتج الشيخ المهاجر موسوعة ثقافية ضخمة تربو على عشر مجلدات أسماها (اعلموا أي فاطمة).

3 - حجة الإسلام الأستاذ الشيخ حسن الصفار:

لقد عرف الساحل الشرقي من الخليج الشيخ حسن الصفار خطيباً وموجهاً وداعية ولا سيما في منطقتي القطيف والإحساء. ولقد كان لسماحة الشيخ الصفار الأثر الملموس في التغيير وتوجيه الناس نحو تحمل المسؤولية والتتقيف الديني. ولسماحة الشيخ الصفار محاضرات توعوية وحسينية تربو على السبعمئة وله مؤلفات كثيرة منها في مجال الدعوة والتبليغ ولا يزال يواصل المسيرة.

4 - العلامة الشيخ علي الحيدر.**5 - حجة الإسلام السيد صدر الشهرستاني.****6 - السيد علي الفالي.****7 - السيد باقر الفالي.****8 - المرحوم السيد صادق الشهرستاني.**

فلقد تخرج من مدرسة السيد الكثير من الخطباء المشهورين محلياً والمرموقين في مجتمعاتهم في الخليج وباكستان وإيران والعراق وأفغانستان ولا يسع المقام لذكرهم.

الكتابة

يعدّ الإمام الشيرازي دام ظله من أعظم المؤلفين في الأمة فلقد بلغت كتبه المئات. وإن إدراكه لأهمية هذا الجانب جعله يراعاه في الوسط العلمائي فلقد عهد عنه تشجيعه للقاصي والداني وطلبة الحوزة العلمية والشريحة المثقفة والواعية من أبناء الأمة على الكتابة والاهتمام بها.

الأساليب التي اتبعها سماحته

لقد كان للإمام الشيرازي الكثير من الأساليب في الدعوة والتبليغ التي نذكر بعضها:

1 - إرسال المبلغين.

أ - لقد احتضنت مدارس السيد الدينية والخطابية المئات من أبناء الأمة وقد تخرج الكثير منهم. لذا عمد الإمام الشيرازي إلى إرسال المبلغين إلى مختلف البلاد. وما زال كذلك إلى يومنا الحاضر وله وكلاء في كثير من المناطق الإسلامية.

ب - إرسال الخطباء:

لقد اعتمد سماحة السيد بادئ الأمر في التبليغ عدداً من الأساليب نذكر منها اثنين على سبيل المثال:

1 - التبليغ الاعتيادي:

بإرسال المبلغين إلى المناطق، وهم يقومون بدور الخطباء والموجهين والمصلحين في آن واحد.

2 - التبليغ السيار:

وكانت هيئاته ترسل إلى المناطق النائية والبعيدة عن كربلاء وكانت تهدف إلى نشر الوعي والإرشاد ولقد كانت هذه الهيئة من الهيئات الناجحة فلقد أمدت عدداً من المناطق المحرومة بالمبلغين وكانت تلك المناطق تقصر عنها خطوات المبلغين والخطباء وإن أبناء تلك المناطق مازالوا يحتفظون في ذاكرتهم بإنجازات السيد في هذا المجال.

هيئة التبليغ السيار:

أسسها سماحة السيد لتجوب المناطق لتعليم القرآن الكريم. ولقد أسهم بتوجيهاته وإرشاده فأسس أكثر من خمسمائة هيئة صغيرة لتعليم القرآن لعوام الناس الذين لا يستطيعون التفرغ وهذه الهيئات تمارس نشاطها عصراً وليلاً.

3 - أخرى:

أنشأ النادي الإسلامي الذي استطاع أن يجمع الكثير من الشباب ويوجههم نحو الالتزام الديني.

ولقد كانت كربلاء تشهد نشاطاً كبيراً للسيد وإلى اليوم مازال يفيض من عطائه ويواصل تبنيه واهتمامه بجانب الدعوة والتبليغ فمازال يؤسس المدارس الدينية ويوصي بإنشاء المعاهد الخطابية، وحركة التأليف الناهضة مازال يرعاها بتوصياته. وإن من يحظى بزيارته ويجالسه ويسمع حديثه يدرك مدى اهتمامه بجانب التبليغ والدعوة. وللإمام الشيرازي مئات الوكلاء في مختلف أنحاء العالم يمارسون دور الإرشاد والتوجيه.

الإمام الشيرازي من خلال موسوعة الفقه الاستدلالي

الشيخ شاکر الناصر

كانت كتب الفقه لدى المسلمين عند بداية تصنيفها مختصرة، ليس فيها تفصيل أو تفريع، حتى أن بعض الكتب - كالنهاية- للشيخ الطوسي هو متون أخبار كما يقول صاحب الجواهر رتبها الشيخ حسب أبواب الفقه، وكان كتاب الشيخ (المبسوط) في فقه الإمامية هو أول كتاب فقهي إمامي يتوسع في الفروع، بعد ذلك برزت ظاهرة كتابة الشروح والتعليقات على الكتب الفقهية وهي ظاهرة حسنة، إذ إن تلك الكتب مع شروحها وتعليقاتها تقدم أكثر من رأي للمطالع في علم الفقه وتبين مواضع القوة والضعف في عملية الاستدلال، وقد اتبعت طريقتان في الشرح:

أ - الشرح الممزوج بالمتن كما هو الحال في الروضة في شرح اللمعة للشهيد الثاني وهو شرح وتعليق مختصر على اللمعة للشهيد الأول، وجواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام وهو شرح مبسوط على شرائع الإسلام للمحقق الحلي (قده).

ب - الشرح المنفصل عن المتن كما هو الحال في مسالك الإفهام في شرح شرائع الإسلام للشهيد الثاني أيضاً، قدس الله أسرار الجميع.

وقد تميزت بعض المتون بميزات جعلت كثيراً من الفقهاء يكتبون شروحاً وتعليقات عليها، وأشهر كتابين نالا قسطاً وافراً من الاهتمام في هذا الجانب كتاب (شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام) للمحقق الأول نجم الدين أبي القاسم جعفر بن سعيد الحلي حيث زادت شروحه وتعليقاته على العشرين وأجل هذه الشروح شرح الشيخ محمد حسن النجفي المعروف بجواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ويقع في (43) جزءاً.

وكتاب العروة الوثقى للسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي(قده) حيث أصبح هذا الكتاب مدار بحوث الخارج في الفقه التي يلقيها في الحوزات الشيعية من يرى نفسه قد بلغ مرحلة الاجتهاد أي استنباط الأحكام من الأدلة، ومن أطول وأجل الشروح التي كتبت على هذا الكتاب شرح استدلالي لسماحة آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي.

سماء(الفقه) وتقع موسوعة الفقه في(110) مجلدات تبدأ: من كتاب الاجتهاد والتقليد الذي كتب بتاريخ 1374/7/12هـ في كربلاء المقدسة وتنتهي بكتاب القصاص والديات.

وقد أضاف سماحته إلى الموسوعة ستة مجلدات جمع فيها ما تشنت في الموسوعة وما لم يوجد فيها من: الواجبات، المحرمات، الآداب والسنن، وكذا أدخل في البحث الفقهي مجالات لم يتعرض لها من الفقهاء غير سماحته حيث ينظر إليها على أنها ليست من الفقه المصطلح في شيء وهي: الحقوق، السياسة، الإدارة، الاقتصاد، الاجتماع، الدولة الإسلامية، وذلك لأن هناك منظارين ينظر بهما إلى كلمة(الفقه):

الأول: المنظار الضيق الذي يقصر حدود تلك الكلمة على المواضيع التي اعتاد الفقهاء أن يطرقوها في كتبهم الفقهية ورسائلهم العملية بدءاً من كتاب الطهارة وانتهاءً بكتاب الحدود والديات وهذا خروج عن المعنى اللغوي لتلك الكلمة وإحاطتها بمعنى اصطلاحى.

الثاني: المنظار الواسع الذي يتعامل مع الكلمة بمعناها الشامل الذي وضعت له وهو الفهم العميق للدين بكل جوانبه التي تحدد حياة الإنسان وتوجهه نحو الطريق الأمثل ليسعد في الدنيا والآخرة وهذا هو المعنى الذي وردت به تلك الكلمة في كتاب الله وسنة المعصومين(عليه السلام) قال تعالى: (فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم)(سورة التوبة آية 122).

وجاء في الخبر: (تفقهوا في دين الله فإن الفقه مفتاح البصيرة وتمام العبادة والسبب إلى المنازل الرفيعة والرتب الجليلة في الدين والدنيا وفضل الفقيه على العباد كفضل الشمس على الكواكب ومن لم تفقه في دينه لم يرض الله له عملاً) ميزان الحكمة. وسماحة السيد الشيرازي دام ظله ينظر إلى الفقه بمعناه الصحيح، ولا يراه محصوراً في الأبواب التي يتناولها الفقهاء في كتبهم الاستدلالية ورسائلهم العملية، ولا يرى أن دور الفقيه محصور في أحكام العبادات والمعاملات المعهودة للناس بل يرى أن دور الفقيه يتعدى ذلك، فلذا

أدرج سماحته في موسوعته الفقهية كتب: الفقه السياسة، الفقه الاقتصاد، الفقه الاجتماع... وكان بالإمكان أن يجعل تلك الكتب منفصلة عن الموسوعة ولا يعنونها بعنوان الفقه، ولكنه أراد من ذلك أن يرمي إلى أن الفصل بين تلك الجوانب الحساسة في حياة الإنسان وبين الدين أمر مرفوض في الفكر الديني إذ ليس من الصحيح أن يترك الخوض في تلك العلوم الإنسانية إلى المتغربين البعيدين عن دينهم وأصالتهم. وبغض الطرق عن محتوى هذه الكتب ومستواها، فإن مجرد كون كاتبها فقيهاً من فقهاء الإمامية في هذا العصر لهو أمر يدعو إلى الفخر والاعتزاز. فلا يغترن أحد بما يصدر عن البعض من الغمز واللمز في إلحاق هذه الأبواب الجديدة بالفقه.

ومن ينظر في هذه الموسوعة حق النظر، ويكون منصفاً في حكمه يخلص إلى الملاحظات التالية:

1 - شموليتها لكل أبواب الفقه ومعظم مسائله، فهذه الموسوعة كتبها سماحة السيد تعليقاً على كتاب العروة الوثقى للسيد اليزدي (قده) وحيث أن هذا الكتاب لم يكن شاملاً لكل أبواب الفقه كما هو معلوم تعرض سماحته للأبواب والمسائل التي تركها السيد اليزدي وكتبها على أسلوب شرائع الإسلام وذلك تسهيلاً لمن أراد البحث الاطلاع، وقد بسط السيد المؤلف الكلام في كل مسألة ناقشها وفرع عليها تقريعات تعم بها البلوى خصوصاً في العبادات وفي النكاح — حتى أنه يقل أن يبحث المرء عن مسألة تخطر بباله فلا يجدها في تلك الموسوعة.

ويمكن القول بأن تلك الموسوعة لشموليتها تغني عن غيرها ولا يغني غيرها عنها، إذ لم تكتب موسوعة في الفقه لا عند الشيعة ولا عند غيرهم بهذا العدد من الأجزاء فجواهر الكلام على بسطه لم يصل إلى ذلك المقدار، إذ لو تنزلنا وعدنا كل جزء منه بجزئين من الموسوعة — لاختلاف نمط الطباعة — لا يصل إلى الموسوعة عدداً ولا يتوهم أحد أننا نحكم على جودة الكتاب بكثرة أجزائه ليقال عنا (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا)، بل مع ذلك القوة في الاستدلال وعدم التهيب من مخالفة القول المشهور إذا جاء الدليل على خلافه وذلك كما في قول سماحته بكون الشهادة الثالثة جزءاً من الأذان مخالفاً في ذلك كل الفقهاء — فيما أعلم —

2 - وضوح العبارة وسهولتها من غير ابتذال وينبغي الإشارة إلى أن البعض يقوم الكتاب بالنظر إلى عبارته، ويرى أن قوة الكتاب تكمن في صعوبة عبارته وإغلاقها بالإكثار من الضمائر والتراكيب غير المألوفة، حتى لو كان المحتوى العلمي للكتاب ضعيفاً بالقياس إلى غيره، وقد سرى هذا التصور إلى الكتب الدراسية التي تقرر في الحوزات، فنرى أن بعض الكتب يختار للتدريس ويكون الداعي الأول إلى ذلك هو صعوبة عبارته. وهذا قصور فاسد يفوت جزءاً من الغرض على الدارس في دراسته فالمراد من دراسته علم الأصول مثلاً فهم القواعد المذكورة فيه والمناقشات الدائرة حولها، والغرض من دراسة النحو هو فهم قواعد النحو والتمكن من تطبيقها لصون اللسان عن اللحن، وليس من الضرورة أن يجعل الطريق إلى ذلك شائكاً بأن يحمل الدارس عبء فهم ألفاظ العبارات أولاً ثم فهم ما تحتوي عليه من قاعدة أو مسألة، بل يُوصل إليه المعنى بعبارة بيّنة سلسلة. ولا يقصد من ذلك أن تكون العبارة مبتذلة جداً بحيث يخل بجمال تركيبها بل الجمع بين قوة التركيب ووضوح العبارة وهذا هو الأسلوب الأمثل ويؤيد ذلك كتاب الله تعالى فمع قوة بيانه ترى معانيه واضحة لمن يعرف اللغة، وأراد الله كذلك ليكون في متناول أغلب الناس (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)، وهذا هو الطريق المتبع في إيصال كل العلوم إلى دارسيها، فلا نجد اليوم في أي مؤسسة علمية أن يلجأ واضعو المناهج إلى تعقيد العبارة وإغلاقها على القارئ بل يلجأون إلى البساطة والوضوح ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً بل الحال كذلك في الكتب التي تصنف للنشر والقراءة. فمادام إيصال المعنى المراد إلى القارئ ممكناً بعبارة واضحة فلم يُصار إلى العبارة الصعبة؟.

نعم هناك مستوى من الوضوح لا يمكن النزول عنه وهذا مما تفرضه طبيعة العلم المبحوث فيه، فمثلاً لا يمكن الخروج عن الاصطلاحات التي تعورف عليها في هذا العلم بدعوى التسهيل للقارئ.

من هنا جاءت موسوعة الفقيه سماحة السيد واضحة في عباراتها متينة في تراكيبها، وهذه طبيعة في سماحته توجد في كل كتبه، إنه يكتب ناظراً إلى مستوى من يقرأ له لا إلى مستوى نفسه وكذا ينبغي أن يكون كل كاتب.

ولا يظن أحد أنه ليس بمقدور السيد أن يخرج عن ذلك ويصنف كتباً يستخدم فيها أسلوباً لا يتيسر فهمه للكثيرين إلا بمدرس يشرح لهم العبارة كما هو الحال في كفاية الآخوند الخراساني مثلاً، إذ لو أراد سماحته أن يجري في هذا المضمار لما بزّه أحد فيه وكتابه الأصول (مباحث الألفاظ) يشهد له بذلك، إذ أن من يقارن بينه وبين أحد أجزاء موسوعة (الفقه) يرى الفرق بيتاً، فكان يمكن أن تجعل كل أو جل أجزاء موسوعة الفقه على هذا النمط، فلسان سماحته لسان عربي مبين كما تشهد له محاضراته وكلماته التي يلقيها على المؤمنين، ويستطيع أن يصرف عنان الكلام كيفما يريد.

3 - طريقة العرض جميلة للمسألة والإنصاف في عرض الآراء فيها، إذ من ينظر في الموسوعة يرى أن المصنف يعرف المسألة أولاً ثم يذكر أن فيها أقوالاً أربعة - مثلاً - وينسب كل قول إلى قائله ولا يهمل أي قول وإن كان ضعيفاً أو القائل به واحد من الفقهاء ثم يعرض أدلة كل قول بأمانة ويضيف إليها ما يراه مؤيداً لها وإن كان هو لا يتبنى الرأي، ثم يذكر وجوه الضعف في الأقوال - إن وجدت - ويختار الرأي الأقرب إلى نظره.

وهذه الطريقة المثلى في العرض تسهل على المراجع لهذه الموسوعة الاستفادة منها دون جهد ومشقة، بخلاف بعض الكتب الفقهية الاستدلالية التي يتيه المراجع فيها ولا يتبين الآراء جيداً بسبب انعدام التبويب والترتيب الجيد لعرض المادة.

4 - الخلق الرفيع لسماحة السيد في بحثه الفقهي فعلى ضخامة الموسوعة وكثرة المناقشات فيها لم يحدث أن أساء القول مع أحد العلماء، مع أن الباحث والمطالع لكتب الفقه ولمسائله يرى آراءً غريبة وأقوالاً عجبية في بعض المسائل لبعض العلماء حينما يناقشها البعض يقولون فيها ما يقولون إلا أن سماحته لم يصدر منه تجريح لقول أحد لا في موسوعته التي هي محل كلامنا ولا في كتبه الأخرى فلم يقل عن أحد: (كلامه تضحك له التكلّي) أو (هذا كلام من لم يذق طعم الفقه) أو هذا الرأي غير جدير بالالتفات إليه... أو ما شابه هذه العبارات.

5 - إحاطة سماحة السيد المؤلف بمستجدات العصر وتشخيصه لكثير من المواضيع، حيث لم يعد من المقبول في هذا الزمن أن تقتصر معرفة الفقيه، على شيء من قواعد

الفقه والأصول وشيء من علم الرجال والعربية، وتُردد مقولة: (إن الفقيه شأنه بالأحكام دون المواضيع)، وبعد ذلك يجلس الفقيه بين أربعة جدران وتأتي إليه المسائل من شتى أنحاء العالم يطبق على بعضها الاحتياط وعلى البعض الآخر البراءة أو (الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم) وينتهي الأمر: إن لإحاطة الفقيه بالمواضيع ومستجدات الحياة في هذا الزمن له عظيم الأثر في الاستنباط والفنّي لذا يلاحظ أن الآراء التي تصدر من البعض ممن ليس لديه اطلاع على أمور الحياة نراها تستعصي على التطبيق، وسماحة السيد كما يظهر من (الفقه) وكتبه الأخرى محيط بدرجة عظيمة بكثير من العلوم والأمور المستجدة تصل أحياناً إلى العلم بالتفاصيل، فمن يطالع (الفقه الاقتصاد) مثلاً يرى إحاطة سماحته بالمذاهب الاقتصادية المعاصرة وباستدلالاتها، وكذا الفقه السياسة والاجتماع، وكذا ما تعرض له سماحته من مسائل وتفاصيل في مختلف أجزاء موسوعته (الفقه) إن هذه الموسوعة شاهد بيّن على سعة اطلاعه وإدراكه للحياة المعاصرة أكثر من غيره. هذه كلمات قليلة حول موسوعة (الفقه) ينقصها الاستشهادات النصية من نفس الموسوعة وتتقصها تفصيلات أخرى، عسى الله أن يمن بالتوفيق لإخراج دراسة متكاملة موثقة حولها يتبين من خلالها المنهج الفقهي للسيد المؤلف في هذه الموسوعة القيمة.

فقه الحقوق في فكر الإمام الشيرازي

محمد القاسم

يُرى الإمام الشيرازي في هذا الكتاب (فقه الحقوق)، نموذجاً للفقيه الموسوعي الذي أحاط بصورة شاملة، بكثير من الأمور ذات الصلة بعلم الحقوق. فالمسألة الحقوقية تمثل قضية مركزية في بنية الفكر الإسلامي. وهذا يتضح من تاريخية الممارسة النظرية الحقوقية في الإسلام. ومن هنا نجد أن الجهد الذي يبذله الإمام الشيرازي، موجه لخدمة استراتيجية إسلامية محددة فيقدم لنا نموذجاً للفقيه الذي لم يكن همه الوحيد صياغة أحكام الفقه المعتادة لدى الفقهاء، بل تجاوز ذلك فهو صاحب مشروع حضاري، يسخر جميع العلوم والمعارف لخدمة هذا المشروع المجيد.

فالتفكير الحقوقي لدى الإمام الشيرازي يستند إلى قوة تاريخية، تفوق قوة الفكر الفلسفة الإغريقية واليونانية والمعروفة لدينا نحن المسلمين عندما نقلها بعض المفكرين والفلاسفة إلى لغتنا أثناء حركة الترجمة في عصر الدول العباسية. والحديث عن المسألة الحقوقية أو فقه الحقوق في فكر الإمام الشيرازي يكون ضمن العناوين التالية:

- 1 - أصالة الحرية في الفكر الإسلامي.
 - 2 - حقوق الإنسان حجر الأساس في سلوك الدولة والمجتمع الإسلاميين.
 - 3 - ما هي حدود وضوابط الحق.
 - 4 - ما هي الضمانات للحفاظ على الحقوق في المجتمع المسلم.
- وقبل الدخول في تفاصيل هذه العناوين، ينبغي القول أن الهدف من إقرار الحقوق هو: (تأمين حالة الإنسان بكل أبعاده، بُعد الفردي، وبُعد الاجتماعي، وبُعد الكوني الشامل للدنيا والآخرة. فالحقوق ليست مفردة معزولة عن بقية مفردات المنظومة الفكرية الإسلامية. وإنما هي جزء من منظومة متكاملة. ولذلك فإن الحقوق (مبنية على العدل والنصفة لا على القدة)⁽¹⁾.

أصالة الحرية في الفكر الإسلامي

الأصل في الإنسان الحرية، إذ لا يحق لأي إنسان أن يسلب حرية وإرادة غيره أو يقيد بها. فقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً). فالحرية الإسلامية حرية واسعة تنتهي عند حدود العبودية لله تعالى. التي ليست بدورها سوى التسليم لقوانين الله تعالى وأحكامه من أجل الاستفادة منها. والحرية في الإسلام، لا تعرف لوناً معيناً. وإنما هي قيمة دينية مقدسة تشمل جميع الألوان والشعوب. حيث أن الناس سواسية كأسنان المشط. والدين الإسلامي يربي في نفوس المؤمنين به، قوة العقل ويبلورها حتى تتميز عن الهوى ودواعي المصلحة. ويبين المقاييس والمعايير الثابتة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في فطرة الإنسان من الإيمان بالحق والعدالة والكرامة والحرية.

وبذلك.. يحصل الإنسان المسلم على وعي كافٍ لكل ما يجري حوله ومحيطه. ويمكنه بعد ذلك من تقييم الأفكار والأقوال وتمييز أحسنها (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب). وعن طريق هذه العملية الواعية تتأسس اللبنة الأولى في المحافظة على حرية الإنسان في الحياة.

إذ تشكل هذه العملية حصناً منيعاً، يمنع ذوبان الإنسان في بحر المجتمع الذي لا يقدر قيمة الحرية ولا يراعيها في قوانينه وحركته العامة. وبهذا يمتلك الإنسان المسلم جهازاً داخلياً حساساً ضد الانحرافات التي تحدث في شخصه أو مجتمعه. ومن هنا فإن الحرية أساس التقدم، إذ لا يمكن أن يتقدم المجتمع بدون حرية. فالحرية من الشرائط الضرورية للتقدم والبناء الحضاري. وهذه الحرية لا تعني الفوضى والتعدي على حقوق الآخرين، وإنما لهذه الحرية حدود وشروط وهي:

- 1 - أن لا توجب ضرراً على الغير (فرداً أو مجتمعاً).
 - 2 - أن لا تكون كذباً أو تجاوزاً على الغير.
 - 3 - أن لا تكون نقداً للأخلاق العامة أو قيم الدين، أو تحريضاً للمواطنين على ارتكاب الأعمال المخالفة للأخلاق الإسلامية.
 - 4 - والجهة التي تحكم بأن العمل الفلاني ينسجم ومبادئ الحرية أولاً، هي السلطة القضائية، بما تتمتع به من استقلال ونزاهة.
- وحتى تتحول قيمة الحرية إلى مؤسسات وأطر هيكلية، يدعو الإمام الشيرازي إلى تحويل المجتمع المسلم إلى مؤسسات. إذ يقول: (المجتمع الإسلامي يجب أن ينقلب إلى ألوف المؤسسات حتى يصبح دولة عصرية آمنة من التزعزع والانهيار والانهزام أمام الأعداء. وفي الحديث (يد الله مع الجماعة)، والتكتل هو لأجل البناء والمنافسة في الخير وتقوية الإسلام وبلاده.

ثم يضيف الإمام الشيرازي (ولا فرق في المؤسسات التي ذكرناها بين خارج بلاد الإسلام وداخلها. ولذا كان من الضروري أن يكون من مهمة السفارات الإسلامية فتح الطريق

أمام الإسلام بكل إمكانياتها. ومن المعلوم أنه إذا تبدلت البلاد إلى المؤسسات، وحرّض الناس على أعمال طاقاتهم، وتفجير إمكانياتهم، وكانت كل أقسام الحريات متوفرة لهم، قفز بلد الإسلام في أقل مدة ممكنة إلى أعلى مراتب الاجتماع الإنساني⁽²⁾. وجماع القول أن قيمة الحرية ثابتة من ثوابت الفكر الإسلامي، ولصيقة به بحيث لا يمكننا تحقيق قيم الدين في الواقع الخارجي بلا قيمة الحرية.

حقوق الإنسان في الدولة و المجتمع

لا شك أن الدين الإسلامي شكل قفزة نوعية ومهمة في التاريخ الإنساني، بما قدمه هذا الدين العزيز من نظم وتشريعات، تكفل حرية الإنسان الفردية والاجتماعية. وتسعى نحو تحقيق السعادة للإنسان في هذه الحياة. وتبدأ هذه النظم والتشريعات ببيان أن الله سبحانه وتعالى، قد أوكل للإنسان خلافته في هذه الأرض، بعد تكريمه إياه وتفضيله على الملائكة. إذ قال تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون)⁽³⁾.

(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً)⁽⁴⁾.

فأصبحت جميع المخلوقات في خدمة الإنسان كرمز للكرامة الربانية التي وهبها الله عز وجل للإنسان.

ومن أبرز هذا التكريم للإنسان، التعبير الذي ينبغي أن يسعى الإنسان للحفاظ عليه، في هذه الدنيا، وهو إنسانيته والعمل على توفير جميع الوسائل للحفاظ على هذا التكريم. وينبغي التأكيد في هذا الإطار أن التكريم الإلهي لم يكن خاصاً بإنسان دون آخر، وإنما هو تكريم لنوع الإنسان دون تمييز أو فروق عرقية أو طبقية أو عنصرية أو ما أشبه (كلكم سواسية كأسنان المشط).

ومن الحقائق الثابتة، التي لا بد من التأكيد عليها أيضاً هو، أن حقوق الإنسان وحياته الأساسية والضرورية لصيقة بشخصه وأن كمال إنسانيته ونقصانها مرهون بقدر تمتعه

بحقوقه وحرياته. فإذا كان المرء يملك كل الحقوق والحريات فإن إنسانيته كاملة. وكلما تعددت الحقوق والحريات التي تسلب من الإنسان يكون الانتقاص من إنسانيته بنفس ذلك القدر.

والجدير بالذكر أن الإنسان الذي لا يتمتع بحقوقه وحرياته الأساسية، لا يشعر بحضور فعال في الوسط الاجتماعي والسياسي الذي يعيش فيه. بل يشعر بالاغتراب الاجتماعي والسياسي وما يترتب على ذلك من أمور سلبية سيئة كـ(اللامبالاة وعدم الاكتراث بالقضايا الكبرى والمصيرية التي تواجه مجتمعه وأمته). ويتزامن مع ضياع الحريات السياسية والحقوق الأساسية ضياع في العدل الاجتماعي. إذ أن الاستبداد السياسي سيفرز بحكم طبيعته وثقافته فئات وشرائح اجتماعية انتهائية مستغلة تعين المستبد وتؤيده للحصول على المزيد من الامتيازات والسلطات.

ومن هنا فإن الحفاظ على حقوق الإنسان جزء من النسق العقدي والحضاري للدين الإسلامي، وما مهمة الدولة والمجتمع الإسلاميين إلا الحفاظ على هذا النسق وتطويره بما يُسعد الإنسان، ويطور إجراءات الحفاظ على حقوقه ومكتسباته. وأهم الحقوق المكفولة من قبل الدولة والمجتمع الإسلاميين هي:

- 1 - حق الحياة، مع توفير كل شروط الحياة الكريمة، ولا يجوز لأحد أن يعتدي عليها. (إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقال سبحانه وتعالى في عدم جواز الاعتداء على أحد (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً).
 - 2 - حق الحرية، وهو حق مقدس، ليس لأحد أن يعتدي عليه، ويلزم على الدولة والمجتمع توفير الضمانات الكافية لحماية حرية الأفراد.
 - 3 - الناس جميعاً سواسية أمام الشريعة الإسلامية (إذ لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى).
- ولا يجوز تعريض شخص لخطر أو ضرر (فإن المسلمين تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم) ولكل فرد الحق في الانتفاع بالموارد المالية للمجتمع من خلال فرصة عمل متكافئة لفرص غيره.

4 - حق العدالة لكل فرد: إذ من حق كل فرد أن يلجأ إلى سلطة شرعية تحميه، وتتصفه وتدافع عنه إذا ما لحقه ضرر أو ظلم، ولا يجوز مصادرة حق الفرد في الدفاع عن نفسه، وعن عرضه، وعن ماله، وعن شرفه، وليس لأحد أن يلزم المسلمين أو غير المسلمين بأن يطيعوا أمراً يخالف الشريعة.

5 - حق الفرد في المحاكمة العادلة، فإن كل إنسان بريء حتى تثبت إدانته، ولا تغريم إلا بنص شرعي.

6 - حق صحة القول والعمل، فإن لكل فرد الحق في أن يحمل الناس أعماله على الصحة.

7 - حق الحماية من التعذيب، حيث أن التعذيب محرم في الشريعة الإسلامية، فقد جاء في الحديث الشريف (إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا).

8 - حق الفرد في حماية عرضه وسمعته. فقد قال تعالى (لا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب).

9 - حق الأقليات، فإنه لا يحق لمسلم أن يضطهد غير المسلم من اليهود أو النصارى أو المجوس أو غيرهم.

10 - حق المشاركة العامة.

هذه بعض الحقوق التي ينبغي أن تكفل من قبل الدولة والمجتمع الإسلاميين في فكر الإمام الشيرازي.

حدود وضوابط الحقوق

الحقوق ليست مسألة هلامية، وإنما لها حدود وضوابط، ولا يجوز بأي شكل من الأشكال تجاوز هذه الضوابط والحدود. ويحدد الإمام الشيرازي حدود الحق في النقاط التالية:

1 - أن لا يكون ضاراً بنفس صاحب الحق ضرراً بليغاً، فلا يحق للإنسان قتل نفسه أو إسقاط قوة من قواه كأن يعمي عينه أو يتلف عضواً من أعضائه كأن يقطع إصبعه إلى غير ذلك.

- 2- أن لا يكون مفسدة على من ربطه الشارع به كعائلته ومن أشبههم كالأيتام الذين هو ولي عليهم، وكذلك بالنسبة إلى القيم والوصي والناظر ومن أشبه وأن يكون بالنسبة إلى زوجته من المعاشرين بالمعروف. قال تعالى (لا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن).
- 3- أن لا يكون إضراراً للآخرين، ولا تصرفاً في حدود شؤونهم وحقوقهم.
- 4- أن لا يكون خلاف المصلحة العامة.
- 5- أن لا يكون محرماً شرعاً.

الضمانات والإجراءات المستخدمة للحفاظ على الحقوق في المجتمع المسلم هي الأمور التالية:

- نظافة النفوس بالأخلاق الفاضلة.
- الحريات التي وفرها الإسلام للإنسان، حيث إنه مع الحرية لا ضغوط وحيث لا ضغوط لا مانع للإنسان من الاستقامة.
- تماسك المجتمع الإسلامي بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- قلة الحاجات فإن من كثرت حاجاته، لا بد وأن يمد يده إلى المال الحرام ويهدر الحقوق.
- بساطة المحاكم من كل النواحي، كناحية الوصول إلى الحاكم بسهولة وناحية عدم وجود رسوم للمحكمة وما أشبه⁽⁵⁾.
- وتأسيساً على ما قيل أعلاه، نقول أن فقه الحقوق مهمته الأساسية هو تنظيم الاجتماع الإنساني في مستوياته المختلفة الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، الثقافية، العبادية، وما أشبه. وعلى ضوء هذا فإنه فقه الحقوق ليس للمزايدات الأيديولوجية أو السياسية، أو لتذكر مجد قديم قد ضاع أو انفصلنا عنه وإنما هو من أجل تكريس هذه القيم والمبادئ في حركة الفرد والمجتمع.

- 1 - أصالة الحرية في الفكر الإسلامي.
- 2 - حقوق الإنسان حجر الأساس في سلوك الدولة والمجتمع الإسلاميين.
- 3 - فقه الحقوق ص 10.
- 4 - الحكم في الإسلام (ص 76-77)
- 5 - سورة البقرة 30
- 6 - سورة الإسراء 70
- 7 - فقه الحقوق ص 338.

ملاحم المشروع النهضوي في فكر الإمام الشيرازي

الشيخ زكريا داوود

قال تعالى في كتابه:

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر). آل عمران /110 يرى أغلب المؤرخين والمفكرين بشتى مذاهبهم أن حضارة الأمة الإسلامية أعظم تعبير عن شموخ وعظمة الرسالة والرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ كانت أعظم إشراقة في التاريخ العام للبشرية، حيث جاءت في وقت خمدت فيه أنوار الهداية والمعرفة ونكست فيه المبادئ التي تؤمن للإنسان الحياة الكريمة، والطموح الذي يشد السواعد البناءة، وكانت الفوضى الاجتماعية والسياسية ضاربة بأطنابها في جميع المجالات. وقد جاء الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بمنهج حياة وعقيدة كاملة تحوي في ثناياها نهضة شاملة تخرج البشرية من الحالة السيئة آنذاك، وتؤسس لبناء صرح أمة أصبحت فيها أعظم مثال تحتذي به جميع الأمم الأخرى عندما تتبثق من أعماقها إرادة التصحيح والنهضة.

وقد حرر الإسلام بمفاهيمه وقيمه الإنسان من ربقة الثقافة الجاهلية وأعاد له إيمانه بنفسه وقدرته على التصحيح والنهضة، ولذلك فإن بداية إعادة الصرح الحضاري لهذه الأمة يكمن في وضع تخطيط ومنهج متكامل يستمد طاقته من مصادر التشريع الإسلامي ويرسي كلياته وجزئياته قادة الأمة وروادها من مراجع ومفكرين.

ولو نظرنا إلى التاريخ الإسلامي وعلى الأخص القرن التاسع عشر لرأينا كثيراً من القادة والمفكرين قد سعوا إلى إعادة الروح الحضارية لهذه الأمة وذلك عبر وضع مناهج تكفل تصحيح أوضاع الأمة والمجتمع الإسلامي وتعيد الحياة والروح المتحررة والوثابة، لكن أغلب هذه المشاريع التصحيحية لم يكتب لها النجاح وذلك لعوامل كثيرة كان أحدها عدم وفاء هذه المشاريع بمتطلبات الأمة وحاجاتها الحقيقية، ولضعف التشخيص بالنسبة لعوامل التخلف التي تعاني منها.

وكانت المرجعية الشيعية وفي فترات كثيرة من تاريخنا تسعى لتفعيل فكرها ورؤيتها الإسلامية في الواقع الاجتماعي قاصدة بذلك إرجاع الأمة إلى جذورها وهويتها كمنهج فكري يمارس ويطبق على الواقع العام للأمة.

لكننا دائماً وفي كثير من المراحل الزمنية نلاحظ أن المرجعية الشيعية كانت تمارس الحالة القيادية للأمة ولو في حدود ضيقة في بعض المراحل إلا أنها كانت دائماً تمثل صمام الأمان لديمومة وبقاء روح الشرع الإسلامي النابض بالحياة والنشاط في الواقع والمجتمع الإسلامي.

وبما أننا نعيش إحدى المراحل الصعبة بسبب ما تعانيه الأمة من الأزمات والنكسات التي تصيب قطاعات كثيرة من أبنائها، كما في البوسنة والهرسك، والعراق وفلسطين والسودان والصومال، نتساءل من هي المرجعية الرائدة، التي تملك القدرة والفكر والرؤية الواضحة لإعادة الأمة إلى جذورها وتصحيح أوضاعها؟.

إننا لا نريد الإجابة عن هذا السؤال دون الرجوع إلى طرح حقائق ملموسة في الواقع الإسلامي توضح ملامح هذه الشخصية العظيمة وأثرها على الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية لأمتنا الإسلامية.

وقبل البدء في توضيح معالم الفكر التطويري لهذه الشخصية العظيمة، الا وهي شخصية آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (دام ظله)، لا بد من معرفة مواصفات المرجعية الرائدة، كي يكون البحث أبلغ في إبراز معالم الشخصية لهذا القائد العظيم الذي وإن خصصنا هذا البحث عنه، إلا أننا لا نستطع في هذه العجالة تناول أبعاد شخصيته الفذة.

مواصفات المرجعية الرائدة

تتبع الحالة الريادية والقيادية من تحليه بعدة صفات تكون بوجودها وتكاملها دلالة واضحة على كفاءته وقدرته على قيادة الأمة وتوجيه مسارها بشكل صحيح في عالم تسوده الصراعات السياسية والاجتماعية والدينية، والمواصفات هي:

أولاً: إدراك الوضع العام للأمة.

وهي مسألة مهمة، إذ أن أي عامل تصحيحي لا بد أن يستند على فهم الواقع ومكوناته، وبالتالي معرفة حاجات جميع قطاعات أبناء الأمة، وما تعاني منه، من أزمات مادية واجتماعية ودينية، حيث أن الأمة تعيش حالة فراغ تشريعي نابع من حالة الفرقة والطلاق بين الأصول والمباني التشريعية والمجالات المذكورة، وبالتالي فإن إدراك الحالة العامة للأمة كما هي، مسألة مهمة جداً في إعطاء نظرة صحيحة وواقعية لهذه المشاكل والأزمات التي تخنق أكثر الطبقات الاجتماعية.

ثانياً: متابعة الأحداث والتفاعل معها.

كثيراً ما نقرأ هذا الحديث النبوي الذي يقول: (إن العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس)، وذلك يعطينا ويوضح لنا أهمية المتابعة والتفاعل نفسياً وعملياً مع الأحداث ومحاولة وعيها بصورة عميقة.

ومتابعة الأحداث التي تجري في واقعنا الإسلامي وما يحيط به من مجتمعات مسألة مهمة لمن يقود الأمة ويوجهها، وقد تحلى آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي بهذه الصفة بصورة واضحة، إذ أننا وفي كل حادثة تقع للأمة الإسلامية نرى له رأياً

متميزاً وواقعياً فيها، وهذا يدل على سعة اطلاعه ومتابعته، وبالتالي وعيه العميق وتفاعله مع هذه الحوادث.

ثم إن هناك حالة تعبر عن وعي الأمة وإرادتها في انتخاب الأصلح، وهي أن لا تقبل بأي شخصية لا تتفاعل مع همومها ولا تعي قضاياها، ولا تسعى لحل مشاكلها والأزمات التي تمر بها، ولهذا نرى أن قسماً من المجتمعات الإسلامية اتخذ الإمام الشيرازي قائداً وموجهاً، باعتباره يملك وعياً ويعيش هموم الناس وقضاياهم.

ثالثاً: تكامل المشروع النهضوي ووضوحه.

عندما ندرس تاريخ المذاهب والمشاريع النهضوية نلاحظ أن كثيراً منها فشل ولم يستطع أن يصمد في مواجهة المصاعب والعقبات التي وضعت أمامه، وكان ذلك نتيجة لفقدان مقومات عدة، أبرزها النظرية الشمولية والتكاملية في المشروع النهضوي، إذ أن أي مشروع بقدر شموليته وسعته يلتف الناس حوله، ويستقطب الجماهير بالقدر الذي يسعى هو لاستقطابهم به.

ونحن عندما نبحث في ثنايا المشروع النهضوي لدى الإمام الشيرازي نلاحظ وبصورة واضحة أنه يتسع ليس فقط للأمة الإسلامية فحسب، بل وأيضاً للمجتمعات التي لا تدين بالإسلام كدين ورسالة إلهية.

فالمشروع من الناحية الفكرية النظرية، والسياسية والاجتماعية والقانونية، يتصف بالشمول والوضوح ولهذا يقول في كتابه السبيل إلى إنهاض المسلمين:

نحن نريد توحيد البلاد الإسلامية تحت ظل القوانين الإلهية حتى تكون بلداً واحداً، فيسير المسلم من طنجة إلى جاكارتا ويشعر بأنه في بلد واحد، لا ترفع أمامه في كل بلد حدود استعمارية وقوانين جاهلية وضعية⁽¹⁾.

إن تكامل المشروع النهضوي في فكر الإمام الشيرازي، سمة بارزة تجعله يمتاز بها عن غيره، إذ أن عدم امتلاك المرجع لمثل هذا المشروع يُعد نقصاً كبيراً وخاصة في هذا العصر، الذي تسعى فيه جميع الجهات إلى السيطرة على الأمة الإسلامية ومقدراتها وذلك عبر طرح مشاريع كثيرة تسعى من خلالها إلى توجيه أبناء الأمة وجميع فئاتها لخدمة أهداف مناهضة للمصلحة الإسلامية العليا، وبالتالي تكريس الواقع المتخلف الذي ترزح تحت وطأته الأمة منذ قرون عديدة.

إننا كأمة إسلامية وكيان شيعي يسعى لتفعيل دوره على الصعيد العالمي، ولإصلاح أوضاعه الداخلية يجب أن نضع العواطف جانباً ونختار بعقلنا عبر تحكيم الموازين الشرعية التي وضعها الفقهاء لاختيار المرجع الأصلح والذي يمتلك الكفاءات العالية والذي يواكب الروح العصرية، فإن الأوضاع داخل الكيان الشيعي لم تعد تحتل المعالجة، بالطرق البدائية، إننا نعيش في القرن الخامس عشر للهجرة، فيجب أن نختار المرجع الذي

يعني ظروف وتغيرات هذا العصر الذي أصبحت الحياة فيه تتغير بسرعة مذهلة، مما يعني أننا لا بد أن نعتمد على مرجع يمكن بقدرته وكفائه أن يؤسس لثوابت جديدة، لإرساء الثوابت والتقنين للمتغيرات التي تطرأ بفعل التقدم الهائل في جميع الميادين المعرفية والعلمية والاجتماعية.

ولو أمعنا النظر جيداً لرأينا الإمام الشيرازي يمتلك هذه القدرة، إذ أنه يمتلك نظرية معرفية تعي ظروف العصر ومتطلباته، وكذا يمتلك نظرية اجتماعية وسياسية وقانونية تأخذ بعين الاعتبار المتغيرات الزمنية، وترتكز على ثوابت إسلامية استمدت من عمق الدين الإسلامي وتجارب النجاح والفشل التي مرت بها أمتنا الإسلامية عبر تاريخها الطويل، وقد عبر عن ذلك كله في كتبه القيمة التي تعتبر بحق أعظم الدلائل على كفاءته العلمية، إذ لم نرَ أحداً من الفقهاء في هذا العصر يمتلك تلك المعرفة وذلك الاطلاع على الثقافة والمجريات والنظريات العصرية، في الوقت الذي يمتلك فيه القدرة على استنباط الأحكام الشرعية.

إننا كأمة نريد إعادة حضارتها وإثبات جدارتها في عصر العواصف السياسية والفتن الاجتماعية، لا بد وأن تختار المرجع الفقيه ذا العقلية الواعية لمتطلبات هذا العصر، والقادرة على تحقيق هذه الرغبة التي تحقق هويتنا وتثبت عظمة رسالتنا، والإمام الشيرازي برؤيته الثاقبة وبعد نظره يمتلك جميع مقومات الفقيه الذي يحقق هذه النقلة عبر امتلاكه منهجاً فكرياً ومشروعاً نهضوياً متكاملًا، إذ أنه يعبر بمشروعه هذا عن روح التشريع الإسلامي في أرقى صوره التقدمية التي تواكب التطورات، وتؤسس لنقلات تطويرية أخرى... إذ أن الروح الإسلامية لا تقبل الجمود، ولا تجمد أمام التخلف، بل هي الحركة الدائمة الواعية المبنية على الثوابت الشرعية والقادرة على ردف التطورات الزمنية بروح ومباني التشريع، فالإسلام كمنهج لا يعني الجمود على الثوابت وتثبيت المتغيرات، بل هو الانطلاق من الثوابت لوعي وأسلمة المتغيرات، وهذا ما يميز فكر ومشروع الإمام الشيرازي عن غيره.

رابعاً: التصدي لقيادة الأمة

في الفكر الشيعي عند الإمامية لا تنفك مسألة التصدي للشؤون الدينية عن الأدوار والأبعاد الأخرى، وذلك أن البعد الديني ليس محصوراً بزوايا المساجد وأماكن العبادة، بل هو حالة عامة باعتباره يمتزج بصورة قسرية بجميع أبعاد النفس الإنسانية، ولهذا فالتصدي القيادي للمرجعية ليس ذا بعد واحد، لأن مقام المرجعية هو النيابة عن الإمام المعصوم (عليه السلام)، وبما أن قيادة الإمام للأمة ليست محصورة بجوانب محدودة، فإن نائبه عندما يتحلى بمواصفات وكفاءات عالية ينوب عنه في جميع مقاماته إلا ما خصص بالأدلة الشرعية.

لكننا عندما نبحث في تاريخ المرجعية نلاحظ أن الغالبية قد اقتصرت على أبعاد من التصدي، وغالباً ما يكون جانب الفتوى والتدريس ومتابعة شؤون الحوزة العلمية وقليل هم أولئك الذين خرجوا عن هذا الإطار وخاضوا المعترك السياسي، ولذا نجد أن هؤلاء بنزولهم إلى المعترك السياسي أوجدوا حالة نشاط وتحرك اجتماعي ليس له مثيل في التاريخ العام للمرجعية، أمثال الآخوند الخراساني، والمجدد الشيرازي، وأخيراً الإمام الخميني (قدس الله أسرارهم) الذي قاد ثورة إسلامية تمخضت عن قيام دولة تسعى لتحكيم الشرع الإسلامي في الحياة العامة للناس.

وعندما نبحث في مشروع السيد الشيرازي النهضوي نلاحظ أن الجانب السياسي يحظى باهتمام كبير جداً، إذ يعدّه من الأولويات التي يجب أن يقوم بها الفقيه ويمارسها كما يمارس نشاطه في جوانب الاستنباط والتدريس وغيرها.

ولم يكتفِ بالتنظير للجانب السياسي وامتلاكه نظرة ثابتة وبالتالي القول بنظرية سياسية متميزة، بل خاض المعترك السياسي، إذ أن تاريخه الجهادي يكشف لنا ذلك بشكل جلي، حيث أنه بعد وفاة أبيه سنة 1380هـ تصدى للمرجعية والقيادة الدينية، ومارس جوانب من النشاط السياسي حسب ما تسمح به الظروف آنذاك، وغادر العراق إلى الكويت سنة 1391هـ نتيجة الضغوط التي مارسها النظام العراقي ضده، فقد كان نشاطه السياسي يزعج السلطات حتى سعت إلى اغتياله لكن المحاولات لم تنجح والحمد لله ومنته، وقد غادر الكويت إلى إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية عام 1399هـ، وما زال في إيران يلقي دروس بحث الخارج العليا في الحوزة العلمية في قم المقدسة⁽²⁾.

هذا وقد ردد الإمام الشيرازي الحركات الإسلامية بفكر سياسي أصيل يعبر عن قوة النظرية الحضارية للإسلام، وذلك أن المشروع النهضوي الإسلامي كما عبر عنه السيد الإمام في مؤلفاته التي تربو على (650) كتاب بمختلف الأحجام ولمختلف المستويات الاجتماعية، يؤسس لحالة إسلامية عامة مع أخذ الواقع الذي سوف يقوم عليه المشروع بعين الاعتبار، فهو ينظر للواقع بما أنه متحرك ومتغير، وهي ميزة لا تكاد توجد في أغلب المشاريع التي صيغت للنهضة الإسلامية.

إن التصدي القيادي للأمة عند الإمام الشيرازي ذو أبعاد متعددة ومختلفة وذلك يعود لعاملين أساسيين يستمد الإمام الشيرازي طاقته المعرفية منهما:

أ - الدين الإسلامي باعتباره يمثل نظرة شمولية للحياة.

ب - الواقع المتغير والمتعدد الأبعاد، مما يفرض تأسيس المشروع النهضوي انطلاقاً من هذين العاملين.

وجدير بالذكر هنا، أن الإمام الشيرازي في فكره يضع هم الحياة في المقدمة، ولذلك جاءت بحوثه حول الحكم والاقتصاد والاجتماع والسياسة والدستور أكثر وأعمق وأشمل مما هي في مجالات أخرى، ومن هنا نفهم البعد العملي الواقعي في فكر واهتمام الإمام الشيرازي⁽³⁾.

وقبل البدء في بحث المشروع النهضوي عند السيد الإمام، نلفت نظر القارئ إلى أن الإمام الشيرازي ينتمي إلى عائلة عريقة من الناحية العلمية والجهادية فلا عجب إذا أنجبت هذه الأسرة رجلاً عظيماً مثله، إذ أن أباه الميرزا مهدي الشيرازي كان مرجعاً معروفاً في زمنه وله شهرته العلمية، والإمام المرحوم السيد محمد حسن الشيرازي المجدد الكبير الذي طرد بفتواه الشهيرة حول التتباك الاستعمار البريطاني من إيران، يعد من رجالات أسرته المرموقين الذين سطر التاريخ حياتهم بفخر واعتزاز وكذا الإمام القائد الميرزا محمد تقي الشيرازي زعيم ثورة العشرين التحريرية في العراق⁽⁴⁾.

ملاحم المشروع النهضوي في فكر الإمام الشيرازي

عندما نبدأ في استجلاء المشروع النهضوي عند الإمام الشيرازي نعتزف ضمناً أن هناك واقعاً مأساوياً يجب أن يتغير، وهذا المشروع إنما يسعى لتغيير الأوضاع المتخلفة والانتقال بالأمة إلى مدارج الرقي الحضاري.

ولهذا نتساءل كيف يرى الإمام الشيرازي الوضع العام للأمة؟

الحديث عن رؤية الإمام الشيرازي لأوضاع أمتنا الإسلامية يجعلنا نقف معجبين بقدرته العميقة على الإحاطة بفهم هذه الأوضاع، إذ أنه يعي جيداً الحالة العامة ومن جميع زواياها وأبعادها، ولهذا فهو يطرح علاجاً يتناول جميع أبعاد التخلف.

فهو يرى أن التخلف الذي تعيشه أمتنا ليس ذا بعد واحد بل هو ذو أبعاد مختلفة، وإذا أردنا إيجاز نظرته، نقول أنها عبارة عن: انهيار الحضارة الإسلامية في شتى الميادين.

ويقول دام ظله وهو يصف لنا أبعاد المشكلة الحضارية التي تعيشها الأمة:

يبلغ عدد المسلمين — حسب بعض الإحصاءات — ألف مليون ولكنهم مبعثرون جغرافياً وإقليمياً ولغوياً، ويعيشون تحت سيطرة الاستعمار والاستغلال. فأما قوانينهم فقد أصبحت وضعية بعدما كانت إلهية، وإنما أصابهم هذا التبضع والتشتت لعدم اتخاذهم الإسلام منهجاً عملياً في الحياة⁽⁵⁾.

(هذه العبارة توضح لنا أبعاد التخلف كما يراها الإمام الشيرازي وهي:

- 1 — اختلاف وتشتت المسلمين من الناحية الجغرافية، والإقليمية، واللغوية.
- 2 — سيطرة الدول الأجنبية (الاستعمار) على المسلمين واستغلال ثرواتهم وطاقاتهم الفكرية والمادية.
- 3 — فقدان القوانين التي توحد المسلمين، واتخاذ قوانين وضعية مما يزيد حالة الفرقة والشقاق بين فئات ومجتمعات الأمة الإسلامية.
- 4 — غياب الدين الإسلامي كمنهج عملي يمارس في حياة المسلمين في جميع الحقول والميادين.

وكنتيجة طبيعية للابتعاد عن تطبيق التشريع الإسلامي تزداد المشاكل الاجتماعية وتتجذر عوامل التخلف ويصيب الاضطراب جميع مجالات الحياة لدى الأمة الإسلامية إذ يصبح (المسلمون متأخرين في كل مكان، ثقافياً وسياسياً واقتصادياً)⁽⁶⁾.

ولهذا فهم حالياً قد تشنتوا وأقيمت الحدود المصطنعة بين بلادهم، فبعدما كان المسلم أخا المسلم أصبح عدواً له⁽⁷⁾.

ولكي تستوعب كيفية تجذر عوامل التخلف لا بد من ملاحظة الظواهر العامة التي تصبغ المجتمعات الإسلامية، وكمثال لتلك الظواهر الحالات التي تعبر عن زيادة الشقة والاختلاف والتجزئة بين شعوب الأمة إذ نرى تلك الظواهر التي تدعو إلى الافتخار بالقوميات أو بالقبليات أو بالإقليميات أو باللغات، وهذه كلها دعوات جاهلية، قومية، ليست إلا دعوة من دعوات الجاهلية، فلماذا اتخذها قسم من المسلمين شعاراً ومنهجاً؟

القومية العربية — التي دامت إلى الآن — القومية الفارسية، القومية التركية في زمان أتاتورك، القومية الكردية، وإلى آخر القوميات، هي التي سببت ضياع فلسطين. ثم يستعرض السيد الإمام المأساة التي تتعرض لها المجتمعات الإسلامية فيقول: (قتلونا في فلسطين ولبنان ومصر، والأردن والجزيرة العربية (البريطانيون) وعملاؤهم قتلوا في وجبة واحدة في أطراف الجزيرة العربية أكثر من مائة وخمسين ألف إنسان مسلم).

قتلونا في الفيليبين، وكشمير، وأريتريا، وأوغادين، وبورما (باكستان الشرقية والغربية — يوم انفصال باكستان عن غربها — وقتلونا في اليمن وشطروها نصفين). منذ قرون ونحن نقتل ونسجن وتهتك أعراضنا لماذا؟

(لاحظوا البلاد الأوروبية الشاسعة والتي يبلغ نفوسها ما يقارب ستمائة وخمسين مليون نسمة، فمذ أربعين سنة لا توجد بينها حروب والانقلابات عسكرية والحروب الانقلابات تقع بكثرة في البلاد الإسلامية)⁽⁸⁾.

من خلال هذا العرض البسيط نلاحظ أن الإمام الشيرازي يعي جيداً الحالة العامة التي تعيشها أمتنا الإسلامية، إنها التشتت والضياع وفقدان المنهج، عدم الثقة بالذات في مقابل الأجنبي (الهزيمة نفسياً)، إنها حالة الحرب التي تعيشها فئات الأمة تجاه بعضها، وأخيراً الابتعاد عن تحكيم الشرع المقدس في جميع جوانب حياتها.

وبعد هذا العرض نأتي إلى المشروع النهضوي عند الإمام الشيرازي، ونقوم بجولة سريعة في كتبه كي نستجلي ملامح المشروع عند سماحته، ونحاول أن نستعرض

المرتكزات التي يقوم عليها دون أن نذهب بعيداً في تفصيلها، لأن ذلك يحتاج إلى بحوث كثيرة قد نتعرض لها في وقت آخر.

مرتكزات المشروع النهضوي عند الإمام الشيرازي

يقوم المشروع النهضوي عند سماحته على مرتكزات ستة، وكل واحد من هذه المرتكزات يمكن تفريعه إلى عدة مشاريع تساهم بمجموعها في تكامل النظرية العامة للمشروع وهي:

المرتكز الأول: الوعي والتغيير الثقافي

إن أعظم دعائم النهضة الحضارية لأي أمة هو الوعي وانتشار الثقافة، إذ أنها ترسم خطأً فكرياً وسلوكياً، يدعو إلى تخطي العقبات في سبيل الوصول إلى الأهداف العامة التي تؤمن بها الأمة، ولأن الثقافة الإسلامية هي التي تؤسس وحدة فكرية تتبعها وحدة في الميادين العملية في إطار الأصول العامة، اعتبرها السيد الإمام أهم المرتكزات التي تدعو الأمة إلى النهوض وبناء الحضارة... ولذا يقول:

الثقافة هي التي ترسم للأجيال مسيرتها، وهي التي تحدد طريقة تعامل الأمة مع الأحداث والوقائع، وهي التي تعين مستقبل الأمة.

(الثقافة الإسلامية الأصيلة تجعل الأمة تسير سيراً متميزاً في الحياة فكراً وعملاً، والمسلمون في الصدر الأول حملوا هذه الثقافة فحرروا نصف الكرة الأرضية بعد أقل من ثلاث قرن من بداية جهادهم المقدس في السنة الأولى للهجرة)...⁽⁹⁾.

إن الثقافة الإسلامية الأصيلة مرتكز هام في التوحيد وبناء مجد الأمة، لأن انتشارها يؤدي إلى صياغة نفسية أبناء الأمة وتوحيدها للوصول إلى الأهداف العليا التي قامت الثقافة بزرعها في النفوس وتغذيتها بالوعي والتخطيط السليم والثقافة ليست ذات بعد واحد، بل هي متعددة الأبعاد، وهذا يعني أن العمل الثقافي يجب أن يؤسس على مراعاة هذه التعددية، ومع رفد وبلورة نظرية ثقافية متعددة الأبعاد تستمد روحها من وعي التشريع وانتشارها بين أبناء الأمة نكون قد بدأنا الخطوة الأولى والمهمة في سلم النهضة الحضارية الشاملة ولذا يقول الإمام الشيرازي:

إن الواجب أن توحيد الجهود ونعيد وحدتنا ووحدة أمتنا، أما كيف ذلك؟. فيأتي في طليعتها تعميم الوعي الإسلامي (فمن الواجب على كل مسلم أن يعمم الوعي الإسلامي العقائدي والاقتصادي والسياسي والشرائعي والاجتماعي والتربوي والعسكري والزراعي والصناعي والاستقلالي وفي كل البلاد الإسلامية بواسطة الإذاعة والمجلات والنوادي والكتب والمؤتمرات وغيرها)⁽¹⁰⁾.

إن التخلف الذي تعاني منه الأمة الإسلامية قد سيطر على جميع المجالات الحياتية وهذا يعني أن الثقافة الإسلامية التي تؤسس الأسس للنهضة الفكرية والحضارية يجب أن تمتد أجنحتها في جميع هذه الأبعاد، إذ أن النهضة هي حركة المجموع وليست عملاً نخبياً تقوم به فئة من الأمة، كلا، إن النهضة الإسلامية تقوم بها جميع الطبقات الاجتماعية، فهي فعل الأمة ككل، ولهذا لا بد أن تنتشر الثقافة بين جميع هذه الفئات وهذا ما يقوله السيد الإمام في النص التالي:

(إننا لو طبعنا ألف مليون كتاب ووزعناها في كل البلاد الإسلامية ستكون حصة كل فرد مسلم كتاباً واحداً، وهذا أقل الواجب، فاللزام علينا أن نشمر عن سواعدنا لطبع مثل هذا القدر من الكتب — على أقل تقدير — في سبيل التوعية)⁽¹¹⁾.

ولأن الثقافة أمر مهم بالنسبة لنهضة الشعوب وقيام حضارتها نرى أن الاستعمار لما ورد بلاد الإسلام فعل أمرين:

الأول: تضعيف ثقافة الإسلام ولغته العربية، فأعاد تقوية اللغات والآداب و الرسوم المحلية التي كانت قبل الإسلام: كالسنسكريتية في الهند، والبهلوية في إيران، والبشتو في أفغانستان وأوجد رجالاً يدعون للهجة العامية بدل العربية الفصحى.

الثاني: تقوية ثقافة المستعمر من لغة وآداب ورسوم وما أشبه⁽¹²⁾. وإذا كان واقع المجتمع الإسلامي هكذا، فإن النهضة الثقافية تمر بمرحلتين على الصعيد الفردي والاجتماعي، وهي مسألة طبيعية في أي ممارسة تغييرية وهما:

1 - تحطيم وهدم الأسس الثقافية التي ركزها الاستعمار في عقول أبناء الأمة.

2 - بناء وتركيز الأسس العامة للثقافة الإسلامية الأصيلة التي تعبر عن روح الشرع وقيمه السامية.

وهاتان المرحلتان ليستا مختصتين بالعمل الثقافي على الصعيد الاجتماعي أو الفردي بل هما حركة شاملة تنطلق من التكوينات الفردية حتى تعم في النهاية جميع الفئات التي تتألف منها الأمة، وإذا أردنا الدقة نقول أن العمل الثقافي ذو شقين يسيران في خط متوازٍ، ولا يمكن أن ينفصل أحدهما عن الآخر، وهذا ما يعبر عنه التشريع الإسلامي في جميع أحكامه وقوانينه.

فالإسلام كدين ورسالة ومنهج حياة نلاحظ في تعاليمه الاهتمام بالجانب الشخصي كأفراد لهم خصوصيات وتميزات وبالتالي لهم حالات استثنائية أو ظروف خاصة تحتاج إلى نظرة الشارع لها بتلك التميزات والخصوصيات، ولهذا نرى تعاليم وممارسات عبادية ذات شكل شخصي، وقد حث الأفراد على الالتزام بها وتطبيقها بتلك الحدود.

ومن جانب آخر نلاحظه أيضاً يهتم كثيراً بالجانب الاجتماعي لتعاليمه وقيمه، إذ أنه يدعو إلى تطبيق كثير من القيم بصورة جماعية وسبب ذلك أن الأفراد الذين يتكون منهم المجتمع الإسلامي كما أن لهم مميزات وخصوصيات كذلك لهم صفات وعوامل مشتركة يجب التركيز عليها في بناء روح قيمية عامة تساعد في بناء الحضارة وقيام النهضة. والجانب الثقافي هو أحد الجوانب المهمة في النظرية المعرفية العامة للتشريع الإسلامي، ولذا فإن البناء الثقافي ينطلق من الاهتمام بهذين البعدين، وقد عبر الإمام الشيرازي عن ذلك حيث قال:

(لبناء الشخصية الإسلامية ثقافياً، نمر بمرحلتين طبيعيتين هما الهدم أولاً... والبناء ثانياً... فالمرحلة الأولى هي تحطيم الثقافات الاستعمارية الغازية، وهدم البنى الفكرية المستوردة... وأما المرحلة الثانية فتتم بأمر هام هو: العلم.

ويعني معرفة الأمراض الكامنة في جسد الأمة الإسلامية، ومعرفة كيفية تحقيق الهيمنة الاستعمارية علينا، وما هي خطط العدو ومؤمراته التي يحيكها ضد الإسلام من وراء الكواليس....)⁽¹³⁾.

ويذهب الإمام الشيرازي إلى أبعد من ذلك، حيث يرى أنه يجب أن نوصل الثقافة الإسلامية كذلك إلى من لا يدين بالإسلام كمنهج حياة وكرسالة إلهية، كالدول الأوروبية وله تبريره المنطقي لذلك حيث يقول:

(إن الاقتصار على تثقيف المسلمين الموجودين في بلاد الإسلام فقط بالثقافة الإسلامية يؤدي إلى تضيق الحركة الإسلامية وعدم توسعها، ومن هنا فإن من الضروري إعطاء الوعي الإسلامي المتكامل للبلاد الأجنبية. ويعتمد ذلك على دعامتين:

1 - تثقيف المسلمين الموجودين في البلاد الأجنبية بالثقافة الإسلامية وتعليمهم كيفية التبليغ للإسلام.

2 - إيصال صوت الإسلام إلى الكفار والمعادين للإسلام عبر محطات للإذاعة مخصصة لهذا الغرض..)⁽¹⁴⁾.

وإذا أمعنا النظر في هذه المسألة نلاحظ أنها صادرة من صميم التعاليم الإسلامية التي تحث المسلمين جميعاً على الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته وإخراج المستضعفين من حالة الهيمنة التي تمارسها القوى الكبرى، وذلك عبر إدخالهم في الهدى الإلهي، لأن الرسول محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث للناس كافة، بل إن عدداً كبيراً من الآيات والروايات تلتفت أنظار الدعاة الإسلاميين إلى هذه القضية. قال تعالى:

(وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) سورة التوبة / آية 6.

وواضح أن مناط الإبلاغ في هذه الآية، هو عدم العلم والمعرفة بالدين الإسلامي لذا، فإن توضيح وتوصيل الثقافة الإسلامية يساعد في تقوية دفاعات الأمة وتحصيناتها.

إذاً انتشار الثقافة الإسلامية الأصيلة أهم أركان قيام النهضة الإسلامية في مشروع الإمام الشيرازي، إذ أنها كما يقول تغير مسيرة الإنسان إلى الأحسن وذلك لأنها تؤسس لوحدة فكرية سلوكية عبر غرس الأهداف الإسلامية النبيلة والسامية في النفوس، وبذلك تقتلع جذور الثقافة التي تدعو إلى التحلل وعدم الإحساس بالمسؤولية⁽¹⁵⁾.

المرتکز الثاني: التنظيم الاستشاري.

بما أن النهضة الإسلامية هي فعل الأمة كمجموع، فإن إشراك جميع الفئات والطاقات والكفاءات أمر مهم لإنجاحها، لكننا يجب أن نراعي أفضل السبل لاستثمار هذه الكفاءات في الحركة العامة للنهضة، وذلك لا يكون إلا عبر إيجاد وفتح قنوات تحتوي ذلك كله وتقوم بتوظيفه في رفد حركة أمتنا الناهضة.

وتلك القنوات في رأي الإمام الشيرازي هي التنظيم الذي يقوم على الشورى كأساس تفكير وعمل، وتتعلق أهمية التنظيم من أمور ثلاثة هي:

1 - التنظيم — أولاً — واجب شرعي، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: (الله الله في نظم أمركم).

2 - والتنظيم — ثانياً — هو سنة كونية.. فقد خلق الله سبحانه الكون كله منظماً، وقال تعالى في ذلك: (من كل شيء موزون).

3 - التنظيم — ثالثاً — هو ضرورة حيوية.. وقوة، وقد قال الله سبحانه: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة).

أما إذا لم ننظم أنفسنا — في تنظيم واسع كبير - فسيعترينا الضعف، ويتغلب علينا الأعداء، وإن واقعنا المعاصر خير دليل على ذلك، فإن المسلمين يبلغ عددهم حالياً ألف مليون مسلم، ولكن بلادهم واقعة تحت السيطرة الاستعمارية، قطعة من بلادهم بيد الشيوعية العالمية، وقطعة بيد الرأسمالية العالمية، وقطعة ثالثة بيد الصهيونية وسائر بلادهم خاضعة لألوان مختلفة من الاستعمار المعلن والمبطن⁽¹⁶⁾.

وبما أن الطابع العام لرؤية الإمام الشيرازي بالنسبة لشؤون الحياة هو القيام على مبدأ الشورى في جميع الميادين، فإن التنظيم الإسلامي كي يكون أكثر فاعلية عليه أن يؤسس قوانينه ومبادئه الفكرية والعملية على هذا المبدأ.

يمتاز الإمام الشيرازي بنظرية متكاملة تسعى لصبغ الطابع العام للفاعليات الحياتية والعامة في الأمة بهذه الصبغة، إذ أنه في المجال القيادي المرجعي يؤمن بنظرية شورى الفقهاء المراجع، التي تعبر عن فهم عميق للأسس والمبادئ الشرعية للدين الإسلامي،

والإسلام يحب (الاستشارة) في كل شيء حتى في الأمور الصغيرة. يقول الله سبحانه: (فإن أرادوا فصلاً عن تراضٍ منهما وتشاور فلا جناح عليهما).

أي أن أحد الأبوين إذا أراد فطام الطفل عن الرضاع فعليه أن يستشير الآخر حول ذلك.

هل إن الأفضل استمرار إرضاع الطفل، أو فطامه؟ وإذا كانت الاستشارة مرغوبة في مثل هذا الأمر الصغير، فكيف بالأمور السياسية التي يتوقف مصير الأمة عليها؟⁽¹⁷⁾.

ولهذا فإن التنظيم يجب أن يكون استشارياً من القمة إلى القاعدة، أما قانون الاستبداد فليس إلا قانون المستعمرين المستعبدين⁽¹⁸⁾.

وعلى التنظيم — كي يقوم بدوره الصحيح والمطلوب في إطار النظرية العامة — أن يعمل على إعطاء الرشد الفكري على صعيدين هما:

1 - الصعيد الاجتماعي العام. وذلك بتوضيح الثقافة الإسلامية الأصيلة لجميع أفراد الأمة، كي يتواصل المجتمع وأبناء الأمة من الناحية النفسية والفكرية مع التنظيم في سبيل تحقيق أهداف النهضة الإسلامية الشاملة.

2 - الصعيد التنظيمي الخاص... وذلك بتوعية أفراد التنظيم وبث الثقافة السليمة في نفوسهم، لأن التنظيم إذا لم يكن توعوياً لم ينجح في تخطيطه، وعمله وسلوكه أولاً، ويقع ألعوبة بيد المستعمرين والمستبدين ثانياً⁽¹⁹⁾.

ولأن هدف التنظيم الأساسي هو إيجاد القنوات التي توظف كفاءات أبناء الأمة وطاقاتها لتحقيق النهضة الشاملة فعليه أن يكون جماهيرياً وذلك بأن تكون مؤسساته وعناصره ملتزمة بالجماهير، لأن ذلك يحقق له النمو والتوسع الذي يستوعب العالم الإسلامي وتحدث عندئذ اليقظة الكاملة والحركة الشاملة ثم مكافحة الاستعمار وطرده⁽²⁰⁾.

ولكى يكون التنظيم جماهيرياً لا بد أن يعتمد على مقومين رئيسيين:

الأول: القيادة النمذجية النزيهة. تابع مقالة ملامح المشروع النهضوى.

الثاني: احترام الجماهير... فالواجب على القيادات التنظيمية أن يربّوا أفرادهم على احترام الناس وإكرامهم بقضاء حوائجهم وعدم بناء الحواجز دونهم⁽²¹⁾.

ويرى الإمام الشيرازي أن التنظيم كي يصبح أكثر فاعلية وقدرة على أداء المهمات التغييرية عليه أن يؤسس جميع أعماله على التواصل مع الجماهير، ثم يخلص إلى نتيجة أخيرة وهي مهمة في رفق حركة النهضة الإسلامية⁽²²⁾، وذلك بتوحيد الحركات والتنظيمات الإسلامية في العالم الإسلامي جهودها لبناء وحدة الأمة ثم لتقوية العمل النهضوي وتكامله في ظل الشورى، يقول الإمام الشيرازي:

(من الضروري على التنظيم الإسلامي الواعي الذي يريد إقامة حكم الله تعالى في الأرض وإقامة حكومة ألف مليون مسلم أن يعمل جاداً لأجل أن يصب كل هذه الجهود الإسلامية في تيار واحد، (وهذا يجعل) التيار الإسلامي الواحد يتمكن من التحرك في البلاد الإسلامية تحركاً واحداً، ويلتف حوله المسلمون)⁽²³⁾.

المرتکز الثالث: التعاون الإسلامي الشامل:

التعاون يعني نبذ كل التفرقات ويعني التنسيق بين كافة المنظمات والأحزاب والجمعيات والمكتبات ودور النشر والمؤلفين ووسائل الإعلام وما أشبه. يجب علينا أن نفكر في التعاون تفكيراً جدياً وأن نجعله تطبيقاً خارجياً.

عندما نسعى لتحليل واقع أمتنا المتخلف نلاحظ أن الفرقة والشقاق والتجزئة من أكبر العوامل التي كرس ذلك التخلف، إذ أن الأمة المتحضرة هي في الواقع تمثل أرقى صور المتحدات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وقد كانت أمتنا الإسلامية في تاريخها الحضاري كذلك وإنما بدأت الحالة الحضارية تتدهور وتسوء عندما فقدت ذلك الالتحام العام، وتشكلت وحدات متفرقة الأهداف، ولكي نقفز على تلك العقبات علينا أن نمارس العمل التعاوني، ونسعى لإعادة روح التعاون على القواعد العامة للعقيدة الإسلامية. وعندئذ نكون قد تخطينا أعظم العقبات التي تحول دون حصول النهضة الإسلامية.

المرتکز الرابع: السلام... يصنع التيار العام.

يعتبر الإمام الشيرازي من أعظم المنظرين للحركة السلمية، إذ إنه يدعو إلى السلام باعتباره مبدأ ينطلق أولاً من الفكر الإسلامي وثانياً من الطبيعة السوية والمستقيمة للإنسان، لأن العنف لا يمثل الطبيعة السوية للإنسان، ولذا فإن النظرية السياسية التي يطرحها الإمام الشيرازي في كتبه وبحوثه ودراساته هي السلام، فالسلام:

— هدف وغاية، من جهة.

— وهو وسيلة وطريقة من جهة أخرى.

— أي أن السلام مبدأ استراتيجي شامل وفي هذا الإطار يقرر الإمام الشيرازي الشعارات التالية.

— السلام دائماً.

— السلام ضماناً بقاء المبدأ.

— السلام أحمد عاقبة.

— السلام قولاً وفعلاً وكتابة وفي كل موقع ومع كل الناس.

إن السلام بهذه السعة لا يشكل هاجساً مخيفاً كما قد يتصور البعض، وإنما هو رؤية سياسية كاملة⁽²⁴⁾.

إذا اعتمدنا السلم قاعدة عملية دائمة فإننا نتمكن بإذن الله تعالى من إيجاد تيار عام لحركة إسلامية صحيحة تكون مقدمة لإنقاذ البلاد الإسلامية من المستعمرين والديكتاتوريين ولإقامة حكم الله تعالى لألف مليون مسلم⁽²⁵⁾.

إن أهم ركائز قيام النهضة الإسلامية كان ولا يزال هو السلام، إذ أن سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت حافلة بأمتثلة تدل على أن المبدأ العام الذي اتخذه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في جميع أفعاله وأقواله هو السلام باعتباره حركة تدعو الجميع إلى الثقة والاطمئنان وبالتالي تقديم المساعدة لدفع هذه الحركة السلمية، وقد قال تعالى في كتابه:

(يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) سورة البقرة / آية 208.

إن السلام عند الإمام الشيرازي هو فكر استراتيجي وليس تكتيكاً، إذ أنه يرى العمل السلمي أمراً مرغوباً فيه في جميع الحالات، وليس استثناءً. لأن ذلك يؤدي إلى أفضل النتائج، فالحركة الإسلامية (عليها أولاً) أن تبدأ بجمع الأنصار والتنظيم والتوعية، ثم تسقط الأنظمة الاستعمارية والعميلة بالإضرابات والمظاهرات والتمردات، وإذا اضطرت إلى الحرب، فلا تبدأ بها لتكون لها الحجة على المعتدي أمام العالم وإن أمكن فتدفع الحرب بالطرق السلمية، وإذا لم تتفع الطرق السلمية، تجعل العمل الحربي رباعاً للحرب، وثلاثة أرباع للحلول السلمية⁽²⁶⁾.

إذا فالواجب علينا أن نلن أنفسنا السلام الدائم والعطف حتى نحو الأعداء، حتى نهديهم إلى الصراط المستقيم، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا اشتد أذى قومه له كان يقول: (اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون) ولم يكن يدعو عليهم وإنما كان يدعو لهدايتهم: وبالنتيجة نجح رسول الله ذلك النجاح المنقطع النظير في كل العالم⁽²⁷⁾.

إن مبدأ وغاية النهضة عند الإمام الشيرازي كما رأينا من النصوص المتقدمة هو السلام لكونه أقوى العوامل التي تدعو النفوس الخائفة إلى الاطمئنان والثقة بالحركة، خاصة ونحن نلاحظ بوادر حالة العنف التي بدأت تسود المجتمعات الإسلامية وإذ أن العنف لا يولد إلا العنف مما يبعد النفوس التي تتشد الاطمئنان عن هذه الحركة، وعندها تكون النتيجة عكسية، إذ تؤدي حالة العنف التي لا تستند إلى الفعل والمنطق السليم إلى انتكاس المشاريع النهضوية والتطورية في العالم الإسلامي.

إن الشخصية الإسلامية في بعديها الاجتماعي والفردى لا بد من صياغتها بحيث يستمد التكوين النفسى العام مقوماته الموضوعية ذات الطابع السلمى من الأطر الإيديولوجية والثقافية والتاريخية لهذه الأمة، كي يكون ذلك أقوى دعائم قيام الحركة العامة في سبيل الوصول للنهضة الإسلامية المنشودة.

المرتکز الخامس: الاكتفاء الذاتى.

يعدّ الاكتفاء الذاتي لأي أمة من الأمم مما تمتاز به تلك الأمة عن غيرها إذ أن الأمة التي تعبر مبادئها الأخلاقية عن حب العمل واحترامه ويقوم كيانه على نظرية اقتصادية تواكب العصر وتستفيد من جميع الطاقات المادية والمعنوية، وتشكل الإيديولوجية الحافز القوي في رفد تحرك الإنسان ومثابرته، وتحافظ الحالة القيمية في المجتمع على هذه الروح وتضعيف مكاسبها في قيام حركة نهضوية ديناميكية، هذه الأمة تمثل أرقى الصور الحضارية للإنسان.

وقد كانت الأمة الإسلامية إلى وقت قريب تمثل هذه الصورة، لكن عوامل كثيرة أدت إلى انهيار هذا الكيان الحضاري العملاق، لكن بقايا من هذه الروح لازالت تتحرك في جوانب أمتنا بين فترة وأخرى، لكن المخاض لازال عسيراً ويحتاج إلى جهد كبير جداً. وإذا أردنا إعادة المجد لا بد من إعادة القدرة على التحمل والصبر وتقوية أنفسنا في سبيل الوصول لهذه الغاية، ويعدّ الاكتفاء الذاتي أفضل برنامج يكفل لنا ذلك، إذ أنه يعيد لنا أخلاقيات النهضة وقيمها، وهو ما نحتاجه بشكل ملح لنجاح هذه المحاولة الجادة. والاكتفاء الذاتي كما يعبر عنه الإمام الشيرازي هو أن يهتم المسلمون بأن تكون حوائجهم عند أنفسهم فلا يطلبون من الشرق والغرب حاجة سواء أكانت صغيرة أو كبيرة. وذلك ممكن، فالبلاد الإسلامية إذا صارت يداً واحدة من غير فرق بين بلد إسلامي وآخر أمكن أن يعطي كل بلد حوائج البلد الآخر⁽²⁸⁾.

ويقوم الاكتفاء الذاتي على بعدين، أحدهما سلبي والآخر إيجابي، ويتمثل البعد السلبي في المقاطعة العامة للبضائع الأجنبية، ويرى الإمام الشيرازي أن مقاطعة البضائع الأجنبية التي لا تنتج في بلاد الإسلام يتضمن مشكلات ثلاث:

الأولى: مشكلة الحرمان، إذ أن جملة من البضائع دخلت في حياتنا نحن المسلمين، فإذا تركناها وفقدناها ولم نجد بديلها في البلاد الإسلامية سبب لنا ذلك صعوبة.

الثانية: مشكلة الصعوبة في تبديل البضاعة بشيء آخر، كتبديل الشيء السهل إلى الشيء الصعب، مثلاً: قد اعتادت الكثيرات من نساءنا على الغسل بالغسالات الكهربائية فإذا تركن الغسالات الكهربائية يجب الغسل باليد وفي الغسيل باليد صعوبة كبيرة.

الثالثة: الضغط النفسي على المقاطعين للبضائع الأجنبية...⁽²⁹⁾.

لكن علينا أن نوطن أنفسنا على تلك المشكلات في سبيل الوصول إلى الاكتفاء الذاتي ووصول القوة الإنتاجية لنا إلى درجة عدم الاعتماد على الغير.

ويرى الإمام الشيرازي مقومات الاكتفاء الذاتي في الأمور التالية:

الأول: تشجيع المنتج للبضائع الداخلية في البلاد الإسلامية... فإن التشجيع له أثر بالغ في الكمية والكيفية للمنتجات الداخلية.

الثاني: التشجيع لمستهلك البضائع الداخلية في مقابل تركه للبضائع الأجنبية.

الثالث: جعل التعاونيات بالنسبة إلى مختلف البضائع الداخلية.

الرابع: صناديق الإقراض لأجل تشجيع البضائع الداخلية وترك البضائع الأجنبية.

الخامس: التنسيق، وهو يعني: أن تكون مكاتب للتنسيق بين المنتج والمستهلك وصناديق الاقتراض والتعاونيات، فإن التنسيق يوجب أن تسير الأمور بسرعة مطلوبة وبكيفية حسنة.

السادس: الدعاية الكافية لأجل هذا الشيء... فإن للدعاية وبيان أن الاستعمار إنما يدخل بلادنا بأسباب من جملتها اقتصادية، له أثر فعال في التفاف الناس حول الإنتاج المحلي⁽³⁰⁾.

ولأجل الوصول إلى أفضل النتائج لا بد من استغلال كل شيء، حتى أقل الأشياء وأقصرها في سبيل الوصول إلى الاكتفاء الذاتي⁽³¹⁾.

ثم يقرر الإمام الشيرازي أن الاكتفاء الذاتي يجب أن يشمل مختلف الأبعاد، وأن نسعى لصب جميع الطاقات في روافد الاقتصاد الإسلامي، حتى تتراكم عوامل القوة الذاتية وتصل في النهاية إلى قيام البناء الحضاري بالاعتماد على جميع سواعد الأمة وقدراتها.

المرتکز السادس: منهج الحكم الإسلامي.

يعتبر الإمام الشيرازي صاحب نظرية متكاملة وواضحة المعالم في مسألة منهج الحكم الإسلامي إذ أننا نلاحظ أن هذه المسألة المهمة اتخذت حيزاً كبيراً من اهتمام السيد الإمام وتأليفاته شاهدة على ذلك، إذ لم يخلُ كتاب فقهي أو ثقافي إلا وطرح مسألة الحكم

الإسلامي ومنهجه المتميز في ذلك. بل إنه أفرد له كتباً خاصة بذلك ككتاب الحكم في الإسلام والدولة الإسلامية التي بحث فيهما بشكل تفصيلي منهج الحكم الإسلامي. ونحن هنا سوف نبحث عن ملامح المنهج عند الإمام الشيرازي مكتفين بإبراز الخطوط العامة دون الولوج في الجزئيات لأن ذلك يحتاج إلى كلام طويل.

من مميزات منهج الحكم كما يراه الإمام الشيرازي، أنه يضع عيناً على الواقع المعاصر وأخرى على تاريخنا المشرق، ونعني بالتاريخ المنهج كما مارسه السيرة المعصومة المتمثلة في الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وخليفته الإمام علي (عليه السلام)، وهو بذلك يسعى لاستمداد الواقعية منه، وذلك لأن ما حدث يمكن أن يتكرر إذا ما وجدت المقومات الموضوعية والمنهجية لذلك.

— ملامح المنهج عند الإمام الشيرازي في نقاط:

— أولاً: يجب أن يكون منهج الحكم الإسلامي منهجاً استيعابياً، وذلك بأن يتمكن من استيعاب جميع المسلمين في كل بلادهم ثم يستهوي غير المسلمين حتى يدخلوا تحت ظل هذا الدين.

— قيام المنهج الإسلامي في الحكم على قاعدة العفو عما سلف، وذلك بأن يتخذ الحكم سياسة العفو عن كانوا يوالون الحكومات السابقة إذا أصبحوا حياديين غير مربوطين بالأعداء.

— منهج الحكم يلزم بأن يكون:

أولاً: استشارياً فليس في الحكم ديكتاتورياً واستبدادياً، وإنما يجب أن يستشير المسلمون بعضهم بعضاً ويدلوا بأرائهم حول مختلف شؤون هذا الحكم.

الثاني: أن تكون السلطة العليا في مثل هذا الحكم (الفقهاء والعدول)⁽³²⁾.

— يقوم المنهج على تعدد الحريات، إذ أن الحرية حقيقة ذاتية في الإنسان، والإسلام يؤكد أصالة الحرية⁽³³⁾.

— تقوم السلطة العليا للدولة الإسلامية على أساس الانتخاب، وذلك حسب النظرية العامة في مسألة شورى الفقهاء والمراجع.

— وأخيراً مسألة تطبيق الأحكام الإسلامية إذ أن سؤالاً عريضاً يطرحه كثير من الكتاب والمفكرين ألا وهو كيف يمكن تطبيق الأحكام الإسلامية؟:

وقد أجاب الإمام الشيرازي عن ذلك في أغلب كتبه، ويقول في كتابه الفقه السياسي: وحيث أن تبديل قوانين الشرق والغرب التي غزت بلاد الإسلام بقوانين الإسلام أمر صعب من ناحية الاستنباط، ومن ناحية التطبيق، لأنه قد حدث في المجتمع متغيرات كثيرة كلها بحاجة إلى استنباط أحكامها من الأدلة الأربعة.

كما أن وضع قانون السماء مكان قانون الأرض يحتاج إلى مزيد من الدراية والخبرة لئلا تحدث الفوضى في المجتمع، فاللزام أن يستعين مجلس الشورى الإسلامي بمئات الخبراء والفنيين في مختلف مجالات الحياة، وبمئات العلماء الراشدين الفقهيين للدين من اجتهاد واستنباط، فيقسم المجلس إلى لجان، لجنة للشؤون الاقتصادية، ولجنة للشؤون الزراعية، ولجنة للشؤون التجارية، ولجنة للشؤون العسكرية، ولجنة للشؤون الثقافية، وهكذا... وبمعاونة القسمين من الخبراء، خبراء الدين وخبراء الدنيا يضعون القوانين المؤطرة بالإطار الديني والملائمة للتطبيق، ثم يطبقون تلك القوانين على الحياة وبمعاونة السلطتين التنفيذية والقضائية.

ودون ذلك لا يمكن تطبيق قوانين الإسلام ببسر، إن سلم أنه ممكن، ولم نقل أنه مستحيل فإن صلاحية ذلك من شأن المجلس والمجلس وحده لا يقرر، إلا بالأسلوب الذي ذكرناه⁽³⁴⁾.

وفي نهاية المطاف لا يسعنا إلا أن نقول أننا لم نوفِ الموضوع حقه، إذ أنه بقيت هناك كثير من القضايا لم نتعرض لها، أو تعرضنا لها باختصار لأن بحث موضوع كهذا (النهضة في فكر الإمام الشيرازي) في مقال بسيط كهذا أمر في غاية الصعوبة.

الهوامش

-
- 1 – السبيل إلى إنهاض المسلمين للسيد الشيرازي ص7.
 - 2 – ملامح النظرية السياسية في فكر الإمام الشيرازي محمد غالب أيوب ص10.
 - 3 – نفس المصدر السابق ص12.
 - 4 – المصدر السابق ص9.
 - 5 – السبيل إلى إنهاض المسلمين للسيد الشيرازي ص8.
 - 6 – نفس المصدر ص9.
 - 7 – نفس المصدر ص8.
 - 8 – نفس المصدر ص9-10.
 - 9 – نفس المصدر ص26.
 - 10 – نفس المصدر ص13.
 - 11 – نفس المصدر ص13.
 - 12 – الفقه — السياسة ص80-81.
 - 13 – السبيل إلى إنهاض المسلمين للسيد الشيرازي ص19.
 - 14 – نفس المصدر ص23.
 - 15 – نفس المصدر ص27.
 - 16 – نفس المصدر ص51-52.
 - 17 – نفس المصدر ص63.
 - 18 – نفس المصدر ص64.
 - 19 – نفس المصدر ص67.
 - 20 – نفس المصدر ص81.
 - 21 – نفس المصدر ص81-82-83.
 - 22 – نفس المصدر ص92.
 - 23 – نفس المصدر ص99.

- 24 — ملامح النظرية السياسية محمد غالب أيوب ص 65—66.
- 25 — السبيل إلى إنهاء المسلمين للسيد الشيرازي ص 207.
- 26 — ملامح النظرية السياسية ص 70-71.
- 27 — السبيل إلى إنهاء المسلمين للسيد الشيرازي ص 229.
- 28 — نفس المصدر ص 233.
- 29 — نفس المصدر ص 238.
- 30 — نفس المصدر ص 250-251.
- 31 — نفس المصدر ص 254.
- 32 — نفس المصدر ص 276-281، 292.
- 33 — ملامح النظرية السياسية ص 27.
- 34 — الفقه السياسي للإمام الشيرازي ص 530-531.

تأملات في الفكر السياسي عند الإمام الشيرازي

الشيخ حسين صالح الشيخ

النظرية السياسية الشيعية هي أحد النتائج القيمة للمذهب الشيعي، ولكن المشكلة أن هذه النظرية مازالت لا تحظى بالاهتمام الكبير من قبل فقهاء المذهب لأسباب تاريخية وسياسية تحكم الحوزات العلمية وغالبية علماء الشيعة، بينما نرى أن هناك اهتماماً كبيراً بجوانب أخرى لدى الفقهاء والعلماء حتى أنها أصبحت في حكم الترف الثقافي والوقوع في مأزق الإبداع.

ولذا يمكن القول أن النظرية السياسية الشيعية والإسلامية عموماً لازالت كامنة في القرآن الكريم، وحبيسة في السنة الشريفة، برغم ظهور كتابات في هذا المجال في العصر الراهن وتغيرات ذات قيمة علمية وفكرية، تتسم بالنضوج والحكمة، إلا أن ذلك لم يساعد في كسر جدار التحفظ لينفتح الباب على مصراعيه للفقهاء والعلماء المهتمين بهذا الجانب.

فقبل عدة عقود من الزمن كتب الميرزا النائيني كتاباً للتظهير في الدولة والقيادة الإسلامية أسماه (تنزيه الملة وتنبيه الأمة) ويعدّ الكتاب أطروحة سياسية متقدمة وخصوصاً أنها احتوت على تأصيل شرعي للقيادة الإسلامية (ولاية الفقيه) وبالذات في ذلك الوقت.

وفي العصر الراهن إذا بحثنا عن فقهاء الشيعة الذين نظروا بيمشكول السياسي من خلال تأصيل شرعي لا نجد إلا قلة أبرزهم الإمام الخميني (قده) والإمام الصدر (قده) والشيخ المنتظري والإمام الشيرازي، حيث نرى هؤلاء الأربعة أعطوا الفكر السياسي أهمية بالغة، وخصوصاً أن الإمام الخميني (قده) استطاع أن يحكم دولة وأن يطبق فيها نظريته (ولاية الفقيه)، حيث أن وصول الشيعة إلى السلطة بعد أن كانوا مئات السنين في المعارضة السياسية فتح الباب بشكل واسع لإنضاج النظرية السياسية عندهم، لأن بقاءهم الطويل في المعارضة أفقدهم التفكير في كيفية إدارة الحكم الإسلامي.

ويمتاز الإمام السيد محمد الشيرازي باهتمامه البالغ بالنظرية السياسية، من خلال كتبه ومؤلفاته الغزيرة التي بلغت أكثر من (700) كتاب ودراسة، ويمكن القول أن هناك مجموعة من تلك الكتب تمثل قاعدة الفكر السياسي لدى الإمام الشيرازي:

1- فقه السياسة 2- فقه الاجتماع 3- فقه الحقوق 4- الدولة الإسلامية 5- السبيل لإنهاض المسلمين 6- الصياغة الجديدة لعالم الأمن والحرية والسلام 7- إلى حكم الإسلام، حيث تشكل هذه الكتب بالإضافة إلى الكتب الأخرى النظرية السياسية التي يتبناها الإمام الشيرازي، والتي تتصف بصفتين يلاحظهما المتتبع لكتاباتة:

1 - التأصيل الشرعي... عبر الأدلة الأربعة المقررة في الشرع وهي: الكتاب والسنة والعقل والإجماع.

2 - مواكبة العصر... ومحاولة نقد النظريات التي لا تمت للإسلام بصلة أو تحاول تقويضه مثل النظرية الماركسية أو الغربية.

أما عن ركائز الفكر السياسي لديه فلقد اخترنا خمس ركائز وذلك من خلال التأمل السريع لكتاباتة، حيث تعتبر هذه الركائز هي أمهات الأفكار لدى الإمام الشيرازي في نظريته السياسية.

1- الحرية

— أصالة الحرية

يقول السيد الشيرازي: (الأصل في الإنسان الحرية، في قبال الإنسان الآخر، بجميع أقسام الحرية إذ لا وجه لتسلط إنسان على إنسان آخر وهو مثله، كما أن الأصل في الإنسان العبودية لله سبحانه)⁽¹⁾ وبذلك يقرر الإمام الشيرازي أن الحرية أصل في الفقه والحياة مثلها مثل أصالة الطهارة، انطلاقاً من النصوص الشرعية حيث يقول الإمام علي(عليه السلام): (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً). ويخرج عن هذا الأصل استعباد أسراء الحرب إذا رأى الإمام ذلك صلاحاً.

وإذا كان الفكر الغربي يرى أن قمة نتاجه الفكري(الحرية) فإننا نرى أن ما جاء به ليس تأسيساً جديداً بل محاولة توضيح لمبدأ الحرية، وهذا ما يمكن تأكيده عند قراءة فكر الإمام الشيرازي في تناوله لأصالة الحرية.

حيث تزخر كتاباته بالحديث عن هذا الأصل، فهو يعدّه عامل تقدم وتنمية للأمم، وفي ذات الوقت تطبيقاً لمنهج الإسلام وشموليته، حيث يرى الإمام الشيرازي أن الأدلة أقيمت على لزوم هذا الأصل عقلاً وشرعاً.

— أقسام الحرية:

يقسم السيد الشيرازي الحرية إلى ستة أقسام رئيسية، وفي كل قسم تقسيمات فرعية على سبيل التفصيل.

1 — الحرية الجسدية والعملية... بما في ذلك حرية الإنسان وخصوصياته وحرية التساوي بين أبناء الأمة من دون الترحيح إلا بالكفاءة.

2 — حرية الدين والمعتقد... اعتماداً على(لا إكراه في الدين) بحيث لا يجبر الإنسان على ترك دينه سواء كان أهل كتاب أو غير أهل كتاب.. كما أن الكفار الذين يعيشون في بلاد الإسلام لهم الحرية في إبراز عقيدتهم بدون الدعوة لها في صفوف المسلمين.

3 — حرية البيان والقلم والطباعة... لأن تقييد هذه الحرية مدعاة للكبث وللديكتاتورية، إذ أن المعارضة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي التي تقف دون سير الحاكم في طريقه التي تمليه عليه أهواؤه وشهواته.

4 - حرية التجمعات والاجتماعات والإضرابات والمظاهرات.

5 - حرية أنواع الاكتساب الجسدي أو الفكري أو المهني.

6 - حرية سائر شؤون الإنسان الشخصية⁽²⁾.

ومن أجل التوضيح لمصاديق الحرية والتفصيل فيها يسرد الإمام الشيرازي أكثر من مائة أنموذج للحرية التي شرعها الإسلام⁽³⁾ وعموماً تصب أغلبها في المجالات العامة الأربعة المتعارف عليها وهي: الحرية الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية. وبهذا يضمن حقوق الإنسان المتعددة.

— ضوابط الحرية

يرى السيد الشيرازي أن ضوابط مبدأ الحرية أمران أساسيان هما:

1 - أن لا توجب الضرر على الغير ويمكن تحديده عبر العرف.

2 - أن تكون الهيئة المنصفة القضائية هي المرجع، في حال وقوع لبس في مصاديق الحرية - وبذلك يمكن أن تمارس الحرية بهذه الضوابط الرئيسية- وبشكل عام فإن السيد الشيرازي يرى أن مسألة الضوابط تتمثل في القانون العادل حتى لا تتعدى الحرية حدودها فتتحول إلى فوضى عارمة.

2- الديكتاتورية والاستبداد

بلا شك أن الديكتاتورية المرض الخطير الذي ينخر في الأمة الإسلامية اليوم، وهو أحد الأسباب الرئيسية التي ساهمت في تخلفنا، جعلتنا بعيدين عن التقدم والنمو، لأن الديكتاتورية والاستبداد ينعكس على كافة شؤون الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فهو يقمع الإبداع والتفكير الخلاق، فالتنمية ترتبط بشكل رئيسي بالواقع السياسي.

ولذا فإن الإمام الشيرازي لا يرى ديكتاتورية في الإسلام حيث يقول: (ليس للحاكم حق الديكتاتورية إطلاقاً، وكل حاكم يستبد يعزل عن منصبه في نظر الإسلام تلقائياً، لأن من شروط الحاكم العدالة، والاستبداد: الذي معناه التصرف خارج النطاق الإسلامي، أو خارج

نطاق رضا الأمة في تصرف الحاكم في شؤونه (الشخصية) ظلم مسقط له عن العدالة - كما يرى أيضاً أن الشرق والغرب يمارسان الديكتاتورية.

فالأول: وهو الاتحاد السوفييتي (السابق) تمارس أبشع أنواع الديكتاتورية، وبكل صراحة حيث تسمى (ديكتاتورية البروليتاريا).

والثاني: (الغرب) تمارس فيه الديكتاتورية تحت غطاء، وإن كانت تعطي بعض أقسام الحرية النسبية. وعليه فكلتا الطريقتين خلاف موازين الإسلام، كما أنها خلاف موازين العقل والمنطق، ولا يجوز لحكومة بلاد الإسلام احتذاء أي منهما⁽⁴⁾.

— القدرة السياسية

المقصود بالقدرة السياسية هي توفر وجمع السلطة في يد فئة معينة أو شخص واحد، وبالتالي تتوفر لهذه الجهة أو الشخص قدرة وقوة سياسية، وعبر هذه القدرة والقوة يتحكم بأمر البلاد وشؤونه، ويعتقد الإمام الشيرازي أن تركز القدرة في فئة أو شخص هي الطريق للديكتاتورية.

يقول السيد الشيرازي:

(....) وتقييد الدولة لا يكون إلا بتوزيع القدرة، وتوزيع القدرة أمر جذري لا فوقي، فيلزم أن تتقابل القدرات بعضها مع بعض من أصل الإنشاء، كالأحزاب المتعددة التي تنشأ وتتمو نمواً متقابلاً في مختلف فروعها الثقافية والإدارية والسياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها، حتى يكون في كل مجال قدرات، كل قدرة تقابل في نفس مجالها قدرة أخرى حتى تكون مراقبة ومراقبة، وبذلك يكون نفس القدرة في أمن وسلام، ويكون الناس في أمن وسلام⁽⁵⁾.

فالقدرة في رؤية الإمام الشيرازي هي صمام أمان، وقد تكون سبباً لا يصلح البلاد إلى هاوية الديكتاتورية عندما تتمركز هذه القدرة فتتلاعب بمصائر الناس وتتهك في دماءهم وأعراضهم سواء جاءت هذه القدرة باسم الدين أو جاءت باسم الدنيا، ويواصل الإمام الشيرازي فكرته حول القدرة قائلاً:

(وبعد تقسيم القدرة جذرياً يأتي دور حفظ التقسيم بمقومات الحفظ، إذ من الممكن أن تكون القدرة مقسمة ابتداءً، ثم تغطي قدرة على قدرة في غفلة من الزمن، وتتمركز القدرة في

استمراريتها، بعد أن كانت مقسمة في ابتدائها، وقد رأينا... كيف أن القدرة كانت موزعة بين الأحزاب والمنظمات في ابتداء الدولة، ثم أخذت بعض القدرات بمختلف الأسماء والتكتلات الوقتية تنمو على حساب سائر القدرات، حتى سيطرت، وأبادت القدرات الأخرى قتلاً وسجناً وتشريداً...⁽⁶⁾.

إن الديكتاتور لا يستطيع إعطاء الفرص لشعبه، أو أن يلبي حقوقهم أو مطالبهم، وبالتالي فإن الشعب يلجأ إلى المعارضة السلمية أو العنيفة، عند ذلك يقوم الديكتاتور باستخدام أجهزة المخابرات والتجسس لقمع الشعب وإسكاته بكافة السبل الهادئة والقمعية العنيفة لأجل الحفاظ على ما يمتلك من قوة أو قدرة أو سلطان.

— ملامح النظام الديكتاتوري

يذكر الإمام الشيرازي أن ملامح النظام الديكتاتوري تقارب (29) صفة تلازمه، وسوف نذكر أبرز هذه الملامح:

- 1 — إن الديكتاتور يمدح نفسه وذويه بإسهاب تعريضاً وتصريحاً وتلويحاً، بينما يتوقف عن مدح من سواه، وإن كان ذلك الغير أجل منه قدراً، وأحسن منه كفاءة.
- 2 — الديكتاتور يخفي أعماله السرية.
- 3 — التآمر على أعدائه والمكر بهم لإلحاقهم في التهلكة، وإلصاق التهم والأكاذيب بهم، لكن سرعان ما يظهر تأمره.
- 4 — الكذب والرياء والنفاق والخداع.
- 5 — عدم إشراك الناس في أمور الدولة، والاستبداد بها مع المتزلفين.
- 6 — عدم وجود الصحف الحرة.
- 7 — كثرة الضرائب لتكفي نفقات مخططاته الوهمية، وقد يكون الديكتاتور سارقاً كبيراً يجمع المال له ولذويه.
- 8 — خنق الحريات حتى الرأي والكلام.
- 9 — شدة العقاب والقسوة لمن يخالف أمره أو لم يطع رأيه.
- 10 — عدم الكشف عن صرف الأموال وكيفية صرفه وموارده.

- 11 - عدم الانتخابات إطلاقاً، أو انتخابات مزيفة حسب ما يمهد الجو لمرشحه، حيث إنه ليس هناك أحزاب حرة وصحف حرة، لتكشف زيف الانتخابات.
- 12 - كون المحاكم العوبة بيده، ينصب من يشاء ويعزل من يشاء، ويخفف كما يريد ويشدد كما يرغب.
- 13 - التكنيز من البوليس السري بمختلف الأسماء والعناوين.
- 14 - يحول دون الخدمات الاجتماعية فلا مدراس أهلية، ولا مؤسسات بيد الجمعيات... وذلك لأنه يريد انتساب كل شيء لنفسه.
- 15 - يطبع كل المؤسسات والشوارع والمشاريع باسمه وأسماء أصدقائه⁽⁷⁾.
- والخلاصة: إنها إحدى العوائق في طريق تقدم الأمة، وإن الدولة التي لا توجد فيها حرية الرأي والأحزاب والانتخابات هي دولة تنقص رداء الديكتاتورية، لأنها خالية من الشورى والحرية، وتتمسك بأفكار القرون الوسطى من الاستبداد وانعدام حرية التعبير.

3- الشورى والتعددية

ينطلق الإمام الشيرازي في تثبيت الشورى والتعددية من الشرعية التي جاءت في الكتاب (وأمرهم شورى بينهم) وغيرها من النصوص، والتي أقرت مبدأ الشورى وحق التعددية في اختيارات الأمة وقناعاتها. وذلك باعتبار أن الشورى إحدى الأساسات المهمة في الحياة السياسية للدولة الإسلامية، وباعتبارها صيغة حكم إسلامي في حال غياب المعصوم.

يقول الإمام الشيرازي (كل شيء يرتبط بشؤون الأمة، لا بد فيه من الاستشارة، سواء في أصل الجعل، أو توابعه، مثل: المدارس والجامعات، والمستشفيات والمطارات، والمعامل الكبار... وكذلك حال الوظائف من الرئاسة إلى الوزارة، إلى المجلسين، إلى المحافظين، إلى مدراء النواحي وذلك لجهتين:

- 1 - إنها تكون بمال المال، سواء أموال الخمس والزكاة أو المعادن وما أشبهه.

2 - إنها تصرف في الأمة، ولا يحق لأحد أن يتصرف في غيره، ومن الواضح أن رضا الأمة وإجازتهم في طول رضا الله سبحانه وإجازته، فاللزام أن يكون التصرف حسب الرضائين⁽⁸⁾

— شورى الفقهاء

وجوهر نظرية الشورى لدى الإمام الشيرازي يكمن في (شورى المراجع)، فهو برغم إيمانه بولاية الفقيه وتصديه للعمل السياسي والاجتماعي، إلا أن هذه الولاية يمكن ممارستها عبر قيادة مرجعية جماعية، وذلك لاعتبارات عديدة يراها الإمام الشيرازي وغيره من أنصار هذه الفكرة⁽⁹⁾ فالمراجع والعلماء عادة ما يختلفون في التصور السياسي والاجتماعي تجاه ما يحدث في الواقع.

وبالتالي فإن جمع هؤلاء في مجلس قيادي للتصدي لأمر الطائفة أو لقيادة الحكم في الدولة، يحقق مبدأ الشورى والتعددية في الآراء، وإذا جمعت هذه الآراء وطبق عليه مبدأ التصويت فإنه سوف تخرج الأمة بأفكار أكثر نضوجاً ودراسة أوفى.

ومن أجل حل المشاكل التي تحول دون تحقيق شورى الفقهاء مثل التعارض بين المرجع وشورى المراجع، أو كيفية جمع مراجع التقليد في مجلس واحد وهم متفرقون جغرافياً، فإنه يجيب على إشكال التعارض (الظاهر لزوم اتباع المقلد لشورى الفقهاء، فهو من قبيل تردد المقلد بين رأي مجتهده ورأي القاضي، حيث ذكروا لزوم أخذ رأي القاضي)⁽¹⁰⁾ أما الإشكال الآخر فيحل عبر أن يكون لهم — أي الفقهاء — ممثلون في المجلس يرفعون التقارير إليهم فإذا حصلت الأكثرية كان ذلك الرأي مورد التنفيذ بسبب السلطة التأطيرية⁽¹¹⁾.

ولشورى الفقهاء أصل شرعي وأدلة قامت على أساسها جوهر هذه الركيزة السياسية⁽¹²⁾، كما أن لها واقعاً عملياً وتأييداً لدى بعض العلماء مثل الميرزا النائيني والسيد البروجردى وقبلهما من القدامى العلامة المجلسي (قدس سره)⁽¹³⁾، بل إن السيد البروجردى حاول قدر المستطاع تطبيق الشورى في القيادة.

لقد تميز الإمام الشيرازي في العصر الراهن بتقديم هذه الفكرة والوقوف خلفها، ويتضح ذلك عبر التركيز الذي نشاهده في كتبه ودراساته ومحاضراته على ذلك، لأنه يعد تطبيق

حالة الشورى في أعلى الهرم الديني والسياسي هو الضمانة لإنهاء حالة الاستبداد والاختلاف المرجعي، والذي قد يجد له مجاًلاً في حال الإصرار على انحصار المرجعية في شخص واحد أو تعدد المراجع مع وجود الاختلاف.

— التعددية

وحالة التعددية الملازمة للشورى والحرية نراها واضحة في فكر الإمام الشيرازي السياسي عبر تشجيعه لتعدد الأحزاب والنقابات والأفكار والآراء، وذلك لكي تختار الأمة الأصلح من بين المطروح على الساحة، باعتبار أن التعددية في الآراء والاتجاهات لا يوجب الاختلاف السلبي مثلما يتصور أصحاب القصور الذهني، بل هو مدعاة للابتكار والإبداع والبحث عن أفضل الحلول لمشاكل الأمة، عبر التعددية والشورى، ولذا لا غرابة أن نرى الإمام الشيرازي يشجّع أنصاره وتلاميذه بالكتابة عن مبدأ التعددية وحرية الآراء.. وممارستها في مشاريعهم الدينية والسياسية والثقافية.

4- الدولة الإسلامية

أن تطلع الإمام الشيرازي والذي لا يفتأ يذكره في كتبه ومحاضراته هو حكومة ألف وخمسمائة مليون مسلم، وإعادة الحكومة التي أسسها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبهذا فهو يرشدنا إلى ميزة يتميز بها فكره وهي الثقافة والتفكير الكوني، بعيداً عن الأطر الضيقة التي حاول الاستعمار زرعها الاستعمار فينا وقسم بها العالم الإسلامي.

— أهداف الدولة الإسلامية

إن أهداف الدولة الإسلامية المرتقبة في رؤية الإمام الشيرازي هي كالتالي:

الأول: إرجاع الأمة الواحدة

حيث أن المسلمين أمة واحدة كما قال سبحانه: (إن هذه أمتكم أمة واحدة)، ولأن ما حدث كان نتيجة الانشطارات في الأمة عبر مسيرة التاريخ، ويرد السيد الشيرازي على السؤال القائل: كيف يمكن ذلك والحال أن قروناً طويلة مرت على المسلمين ولم تكن بلادهم دولة واحدة؟! إن نصرته الله هي الطريق، إضافة إلى أن التاريخ والحاضر يشهدان على أن دولاً

كانت وما زالت متوحدة حتى في العصر الحديث مثل الهند والصين فما المانع أن ترجع دولة المسلمين بعد التشتت إلى دولة واحدة عالمية.

الثاني: إرجاع أحكام الله تعالى إلى الأمة... فإن الأمة في عصور الإسلام المختلفة حتى في أيام الخلفاء المتأخرين من الأمويين والعباسيين ومن إليهم، لم تكن منسلخة عن أحكام الدين بهذا النحو الذي هي عليه بعد سيطرة الاستعمار عليها.. وذلك لإقامة حكم الله تعالى في (كافة مجالات الحياة) كالصناعة، والتجارة، والزراعة، والعمارة، وإبداء الرأي، وحياسة المباحات، والحريات، وإسعاف المحتاجين من بيت المال، وتزويج العزاب، وتشغيل العاطلين، وتنقيف الأمة وتعميم الأمن والصحة والرفاه.

الثالث: حفظ الأمة من الانهيار — لأن — المسلمين منذ قرون أخذوا في الانهيار، فبلادهم نهب لليهود مرة كما في فلسطين، وللنصارى مرة كما في السودان، وللملحدين ثالثة كما في الجمهوريات الإسلامية التي اقتطعها الشيوعيون فيما كان يعرف بالاتحاد السوفييتي.

الرابع: إنماء الأمة في مختلف الميادين. فقد تقدم العالم في الصناعة والنظام تقدماً مذهلاً، بينما بقي المسلمون متخلفين كثيراً.

فعلى المسلمين إنماء بلادهم حتى تصل إلى الركب العالمي، بل اللازم أن يكون الزمام بيدها كما كانت كذلك في الماضي.

الخامس: توسيع الأمة، كما فعله الإسلام بزيادة المسلمين عن طريق التبليغ والخدمة، وقد كنا نحن المسلمين نفعل ذلك سابقاً كما يفعله النصارى في هذا العصر، فإن الإسلام له جاذبية وإقناع بحيث أن من يراه وهو غير معاند لا بد وأن يعتنقه⁽¹⁴⁾.

— كيفية إعادة حكم الإسلام

أما عن كيفية الوصول إلى هذا الهدف الكبير؟ يقول الإمام الشيرازي: يتم ذلك بعدة وسائل:

أولاً: بالتنوع الإسلامية الواسعة النطاق على صعيد الأمة كلها، حتى يعي المسلم وظيفته، وذلك بطبع ونشر ما لا يقل عن ألف مليون كتاب توعوي-اقتصادي-سياسي-اجتماعي-تربوي، عقائدي.

ثانياً: بالتنظيم، بأن ننظم ما لا يقل عن عشرين مليون مسلم، لأن المسلمين ألف مليون نسمة، فيكون في دائرة توجيه كل شخص منظم خمسون مسلماً⁽¹⁵⁾.

كما يجدر الإشارة أن الإمام الشيرازي يعتقد أن أسلوب العمل السلمي واللاعنف هي الوسيلة الفضلى (سيأتي بحث ذلك) لتحقيق حكم الإسلام في البلاد الإسلامية، وهذان الأمران هما الرئيسيان، لأن الإمام الشيرازي يذكر في كتبه الأخرى وسائل وأساليب عديدة لإعادة حكم الإسلام.

— صفات الحاكم الإسلامي

الصفات والشروط التي يقررها الإمام الشيرازي في القيادة كما يذكرها الفقهاء الآخرون هي: البلوغ، العقل، الإيمان، العلم، العدالة، طهارة المولد للحياة، الذكورة⁽¹⁶⁾، أما الشروط الأخرى مثل العلمية والشجاعة والكرم والزهد ففي نظره أنها صفات إضافية وعلى سبيل الأفضلية⁽¹⁷⁾.

ويجمع هذه الصفات في شرطين رئيسين حيث يقول: الحاكم الإسلامي هو الذي يجمع بين شرطين:

الأول: كونه مرضياً لله — سبحانه وتعالى — ويعتقد أن هذا الشرط جامع للصفات الثمان.

الثاني: كونه منتخباً من قبل أكثرية الأمة⁽¹⁸⁾.

— الانتخابات

يرى الإمام الشيرازي أن الانتخابات ركيزة مهمة في الحكم الإسلامي: سواء كان على مستوى رئاسة الدولة أو على مستوى نواب الأمة أو على مستوى حكام الأقاليم والنواحي، ويوجب أن تكون هذه الانتخابات انتخابات حرة نزيهة، غير مزيفة كما يحصل في كثير من بلدان العالم، وإن وسيلة الاقتراع بين كل فترة وأخرى لانتخاب الحاكم العام والحكام المحليين حسب رأي الأكثرية هي الوسيلة الفضلى.

يقول الإمام الشيرازي:

(وعلى هذا يكون هناك انتخابان للناس:

الأول: انتخابهم للفقهاء العادل الجامع للشرائط.. حتى يتولى عامة الأمور وهذا ما يسمى (بولاية الفقيه) فإذا كان هناك جماعة من الفقهاء العدول، اختار المسلمون أحدهم رئيساً أعلى للدولة، ويحق لهم أن يختاروا جماعة منهم ليكونوا رؤساء الدولة بالاستشارة (شورى الفقهاء) وهذا الثاني أقرب إلى روح الإسلام.

الثاني: انتخابهم لنواب الأمة، الذين يكونون بدورهم تحت إشراف الفقهاء، وبعد ذلك إن شاءت الأمة انتخبت رئيساً للدولة وبالتشاور بين الثلاثة يكون انتخاب الوزراء (السلطة التنفيذية) و (الهيئة العليا) وإن شاءت الأمة، جعلت انتخاب رئيس الدولة للسلطة التشريعية مع السلطة القضائية، ولعل انتخاب الأمة لرئيس الجمهورية أقرب إلى روح التشاور. ولا يخفى أنه بانتخاب الفقهاء لا يسقط الفقيه عن منصبه التقليدي⁽¹⁹⁾.

إن نظرية الإمام الشيرازي في الدولة الإسلامية متشعبة وذات تفاصيل كثيرة، وأساس هذه النظرية تجاه الدولة أن تقوم على الحرية والعدل، ولقد ألف الإمام الشيرازي في العدل كتاباً أسماه (العدل أساس الملك) ولديه رؤية تجاه السياسة الداخلية والخارجية، ودور المرأة في الدولة الإسلامية، وحكم الأقليات في العالم الإسلامي، ودور الأحزاب وغيرها من الأفكار والتي أثرت تركها للدراسات المفصلة، وخلاصة نظرية الإمام الشيرازي في الحكم الإسلامي تقوم على الانتخابات والشورى في إدارة شؤون البلاد، كما أن صفة القيادة تقوم على شورى المراجع والتي تتربع على الهرم السياسي القيادي... مع التأكيد على وجود السلطات الثلاث: التنفيذية والتشريعية والقضائية والاستقلال بين هذه السلطات.

الثورة والتغيير الاجتماعي

يبدأ الإمام الشيرازي في أطروحة الثورة والتغيير بمبدأ رئيسي (لا للانقلابات العسكرية)، لأنه يراها نوعاً من اللصوصية ولا يقوم بها إلا قطاع الطرق، ولا يقبل منطق الانقلابيين. يقول: (وما يبرر الانقلابيون عملهم به، من استئراء الفساد في الحكومة السابقة وكبت الحريات... غير مبرر لعملهم، إذ لو كانوا صادقين، لأعطوا الأمر بعد انقلابهم بيد الأمة لتشكيل حكومة حرة انتخابية، ورجعوا هم إلى ثكناتهم..)⁽²⁰⁾.

— أسس الثورة والتغيير

ويرى الإمام الشيرازي أن: الانقلابات الاجتماعية، وهي التي تقوم بها أكثرية الناس، لإيجاد نظام جديد في الحكم هي الطريق الصحيح إلى التغيير، وتقوم هذه الانقلابات على أسس ثلاثة:

- 1 — عدم الرضا بالحكم القائم.
 - 2 — اليأس من إصلاح الحكم القائم بسلام.
 - 3 — الرجاء في تكوين نظام جديد يعطي آمال الناس، ويخفف من آلامهم⁽²¹⁾.
- ويعتقد الإمام الشيرازي أن الثورة إذا جعلت لها أسساً صحيحة تنتهي إلى الحكم الاستثنائي، وإذا لم تجعل أسسها صحيحة فسوف تنتهي إلى الديكتاتورية، ولذا يرى أن يضع الثوار نصب أعينهم هدفين مهمين:

- 1- هدم الحكم الجائر.
 - 2- كيفية الحكومة المستقبلية مع تهيئة أسباب تلك الحكومة وأهم تلك الأسباب:
- أ — توضيح معالم الحكومة في السلطات في الإسلام، التشريعية والتنفيذية والقضائية.
- ب — توزيع القدرة في الفئات والمنظمات والأحزاب، حتى لا تتمكن جماعة من الاستقلال بالحكم وضرب الآخرين⁽²²⁾.
- وبمجموعة هذه الأفكار يوضح الإمام الشيرازي رؤيته لأسس الثورة والتغيير وأهدافها، كما يوضح لنا تعريفه للثورة والذي يسميه انقلاباً اجتماعياً يستهدف تغيير الواقع الموجود، وإبداله بنظام جديد شامل في الحكم، وإن هدف الثورة والتغيير يجب أن يستهدف الحكم الجائر وصناعة البديل المستقبلي القائم على أسس إسلامية مثل الحرية والشورى.

— مراحل الثورة

يصور لنا الإمام الشيرازي بداية الثورة قائلاً: (إن الثورة الاجتماعية في بدء أمرها تكون بدون لون خاص، ولا أسلوب منظم ثم تدريجياً يتبلور الأمر، والغالب أن الثورات الاجتماعية لتبديل الحكم يقودها مخلصون مجهولون، يؤلمهم الحكم القائم، فيندرون أنفسهم لإنقاذ الأمة، ويضحون بكل شيء في سبيل ذلك، كما أن الغالب أنهم يقودون الثورة

بشجاعة فائقة ولامبالاة كثيرة، مع أنهم لا يعلمون وقت النجاح... ولذا يموت كثير منهم في السجون والمنافي أو على المشانق أو في عمليات فدائية⁽²³⁾. كما أنه يرى أن القائد العام وأعوانه يتبلورون أثناء الأحداث وبقدر عملهم، وأن الثوار عادة ما يكونون متبعثرين ثم يتلاقون كما تتلاقى الجذور تحت الأرض، وتتلاقى قطرات المطر لتكون النهر الكبير الذي يكون مجرى الثورة، وحينذاك تأخذ الثورة في النضج والارتفاع إلى أن تطيح بالحكم المنحرف. والثورة في فكر الإمام الشيرازي عمادها الجماهير (البحر الذي لا ينضب) وتتكون من خمس مراحل:

1 - الاضطراب والهيجان.. من جراء تصرفات الدولة، يعمل — كل شخص ما يراه — عملاً ملائماً بنظره من الشكاية ونشر بعض المناشير السرية... وكتابة بعض الشعارات على الحيطان... والدولة تقابل بشيء خفيف من العنف، إلا إذا أعنف الشخص، فالدولة تقابله بعنف مثله، أو أشد ليكون رادعاً، وتظن الدولة أنه حاسم.

2 - تصاعد الروح الثورية... وحيث يتماسك بعض المنتقدين ببعض، وحيث يوجب فعل الدولة رد فعل عند الناس تأخذ روح الثورة في الانتقاد، ويأخذ اليأس يعم القلوب، فيرون أنه لا بد من إصلاح للوضع بما يلزم أن يعملوا شيئاً للإيقاظ، فالدولة لا تلوي على شكاية، وتسكت الناس بالوعود الفارغة وبالتهديدات بدل الإصلاح.

3 - اتساع رقعة الثوار وتقوي بعضهم ببعض... وبذلك تتسع رقعة الثورة وتستشري فكرة ضرورة أن يعمل الشعب شيئاً، وليس ذلك الشيء بإصلاح جهة أو تبديل وزير، أو إنصاف مظلوم، لأن الأمر أوسع من هذا، والدولة تأخذ في غرورها أكثر... فتري أنها سيدة الموقف، وأن الذين يعملون ضدها شرذمة قليلون، إذا شاءت الدولة تخترقهم وتكتسحهم، وبذلك يقف الطرفان في صفين متقابلين.

4 - تبلور الفكرة الواحدة هدفاً وطريقاً... وتصميم الأمة على الإطاحة بالحكومة - بعد تبلور الفكرة الثورية - مهما كلفها من الثمن، وتأخذ القيادات الصغيرة في الظهور والبلورة، فتجلب انتباه الناس، ويرون فيها بدائل صالحة عن قيادة الحكومة السابقة.

5 - ثم يأتي دور المؤسسة الثورية... فتتوسع الطرق المؤدية إلى إنجاز الثورة وتقع الفوضى في البلاد، وتصطف مؤسستا الدولة والثورة إحداهما أمام الأخرى، وتسترخي قبضة الدولة، وتأخذ قبضة الثوار تشد وتشد... وتحاول الدولة أن تجعل الحل الوسطى، لكن الثوار يأبون، وتتفادى الدولة سقوطها ببعض الحلول، مثل تغيير بعض الموظفين، وإلغاء بعض الضرائب، وإطلاق سراح بعض السجناء وإشراك بعض الثوار في الحكم...⁽²⁴⁾ حتى يتم السيطرة على الحكم.

هذه هي مراحل الثورة الخمس في رؤية الإمام الشيرازي وهي تبين لنا عمق التفكير لدى سماعته، حيث أنه يختزل التجارب والتاريخ في أفكار مختصرة سريعة الهضم بعيدة عن أسلوب التعقيد الذي يتناوله غالبية الكتاب في مثل هذه المواضيع إضافة إلى السباحة في بحر الجماهير وإبعاد الثورة عن التأطير المهني أو النخبوي، ومن أجل إنجاز الثورة يرى الإمام الشيرازي أن هناك عناصر هامة هي:

- 1 -** توسعة التنظيم والاستفادة من الطاقات.
- 2 -** الوعي الجماهيري وجماهيرية الحركة.
- 3 -** أخلاقيات الثائرين، كيف يعامل بعضهم بعضاً؟ وكيف يعاملون الناس؟⁽²⁵⁾.

— وسائل الثورة والتغيير

الوسائل للوصول إلى الثورة والتغيير الشامل المطلوب يمكن استشفافها بوضوح من كتبه وهي ثلاثة:

- 1 -** التوعية الإسلامية العامة.
- 2 -** العمل الحزبي.
- 3 -** اللاعنف.

ويمكننا اعتبار الوسيلة الأولى ركيزة من ركائز فكر الإمام الشيرازي العامة، أما الثانية والثالثة يمكن اعتبارهما من الركائز السياسية في فكره، حيث ركّز عليهما كثيراً، وعدّهما وسائل وغايات وخصوصاً (اللاعنف) وهذا ينم عن فكر خلاق، لأنك سوف تجد من الصعوبة بمكان التفريق بين تصنيفهما كغاية أو وسيلة في الثورة والتغيير.

في بحثي عن الوسائل لن أركز على الوسيلة (التوعية الإسلامية العامة) لأنها واضحة للعيان، ولا تحتاج إلى بحث، لأنه يشترك فيها غالبية دعاة الإصلاح والتغيير. وقد أشبعها الكثيرون بالبحث والتقيب، وفي اعتقادي أن الوسيلتين الآخرين: (اللاعنف والعمل الحزبي) جديران بالاهتمام والتأمل وإلقاء الضوء عليهما.

— اللاعنف

اللاعنف أو السلم هو مبدأ رئيس في فكر الإمام الشيرازي، فهو غاية ووسيلة، فهو يرفض كافة أنواع العنف، وينطلق من التاريخ والسيرة والتجربة والنصوص الشرعية لتثبيت هذا المبدأ، ويرى أن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) هم القدوة الحسنة في ذلك المبدأ، ويرى أن الإسلام شعاره السلام والإسلام دين السلام، (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة).

ولذا فإنه يقرر بأننا يجب علينا الالتزام بهذا المبدأ، ومن خلال دراسته لهذا يثبت أن:

— السلام أحمد عاقبة.

— السلام دائماً.

— السلام: سنة الأنبياء والأئمة (عليهم السلام).

— السلام: ضمان بقاء المبدأ⁽²⁶⁾.

وعندما يأتي الإمام الشيرازي لدراسة فكرة الحرب في كتاب الاجتماع فإنه يرى أن الحرب حالة استثنائية في الإسلام، كإجراء العملية الجراحية وإلا فاللزام عند الخلاف تحكيم الحوار، والرضوخ للحق، ولذا فإنه يرى أن تعامل الدولة الإسلامية في سياستها الخارجية يجب أن يكون على أساس السلام، فهي تسعى إلى وقف سباق التسلح وإنهاء الانقلابات العسكرية ونشر العدالة الاجتماعية، والدعوة إلى الفضيلة الإنسانية... والخلاصة أن تكون رائدة في السلام.

كما يرى الإمام الشيرازي أن الحركة الناجحة هي التي تأخذ بسبل السلام وذلك من خلال التالي:

- 1 - يجب أن يتصف القائمون بالحركة بالسلام - تفكيراً وقولاً وعملاً- مع الأعداء والأصدقاء⁽²⁷⁾.
- 2 - الأخذ بالتعامل السلمي مع أعضاء الحركة... وذلك يعني أن الأعضاء يجب أن يكونوا على وفاق تام لا أن تكون بينهم خلافات أو منازعات أو ما أشبه⁽²⁸⁾.
- 3 - يجب أن يربي القادة أفراد الحركة على السلام لساناً، فكراً، تأليفاً، عملاً، مهما كلف ذلك..⁽²⁹⁾.
- 4 - الواجب أن تراعي الحركة الإسلامية العالمية السلام مراعاة دقيقة في شؤونها قبل الحركة وبعد الحركة حين النصر وإقامة الدولة الإسلامية العامة بإذن الله تعالى⁽³⁰⁾.
وإن تحقيق السلام داخل الحركة الإسلامية في نظر الإمام الشيرازي لا يتم إلا من خلال أمرين رئيسيين هما:
- 5 - (فتح المجال) للأجنحة الحرة والقوى المتكافئة والجماعات المختلفة ذات الاتجاهات المتعددة، وإن كان الإطار واحداً وهو الحركة الجماهيرية الإسلامية لكن الأنواع مختلفة بطبيعة الحال.
- 6 - الانتخابات الحرة في داخل الحركة كل سنة أو سنتين أو ما أشبه - حسب قرار الأكثرية- وعلامة حرية الانتخابات التغيير الشامل من القمة إلى القاعدة لا أن تكون الانتخابات مزيفة كما اعتادته بعض الدول وبعض الأحزاب⁽³¹⁾.
فالسلام واللاعنف في رؤية السيد الشيرازي مشروع يجب أن يسود في الحياة الشاملة بدءاً من الإنسان الفرد إلى العائلة إلى المجتمع إلى الحركات والأحزاب والتجمعات.. إلى الدول حتى يصل إلى السلام العالمي والشامل، ولذا فإننا نراه في كتابه (الصياغة الجديدة) يبشر بعالم جديد قائم على الإيمان والحرية والرفاه والسلام.

— العمل الحزبي

الأحزاب أو التنظيم يمثل قمة الفكر الشيعي الإسلامي، وواقع الأمر أن العمل الحزبي إذا استخدم في الإطار الصحيح، فإن له مردودات إيجابية على الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي، لأنه الأسلوب الأفضل للمشاركة السياسية، ووسيلة حضارية للنضال ضد

الواقع السيئ في الأمة، فهو يجمع الشتات ويوجهه نحو الهدف الأسمى، لذا فإنه أحد الوسائل الأكثر أهمية في الثورة والتغيير الاجتماعي، ولذا قلما نشاهد ثورة ما وصلت إلى أهدافها من دون وسيلة العمل الحزبي، وذلك لأنها هي الوسيلة الفعالة لتحريك الجماهير وانخراطها في مسيرة الثورة والتغيير.

يدرس الإمام الشيرازي مسألة العمل الحزبي من زاويتين رئيسيتين هما:

1 - التنظيم قبل الثورة.

2 - الأحزاب بعد تشكل الدولة الإسلامية.

وسوف يلاحظ المتتبع لقراءة فكر الإمام الشيرازي أن الزاوية الأولى درسها بشكل موسع في كتاب (السبيل إلى إنهاء المسلمين) أما زاوية الأحزاب الفكرية خصص لها بحثاً موسعاً في كتاب (الفقه السياسي) لتوضيح رؤيته الفكرية تجاه الأحزاب، فالإمام الشيرازي في تنبيهه للدعوة في العمل الحزبي يركز على أسس شرعية (أوصيكم بتقوى الله ونظم أمركم) وأسس حياتية وضرورية التنظيم، والأهم من ذلك الأساس الأهم وهي ركيزة الحرية التي تتيح تبني العمل الحزبي.

يعتقد الإمام الشيرازي بأن (التنظيم الأرضية الصلبة لحكومة ألف مليون مسلم... والتنظيم واجب شرعي وسنة كونية، وضرورة حيوية ملحة بالنسبة إلى الأمة الإسلامية)⁽³²⁾، كما أنه يرى أن صفات التنظيم الإسلامي عديدة أبرزها:

1 - الشورى.. من الضروري أن يكون التنظيم استشارياً، لا استبدادياً⁽³³⁾.

2 - التوعية.. فالتنظيم إذا لم يكن توعوياً لم ينجح في تخطيطه وعمله وسلوكه⁽³⁴⁾.

3 - أن يكون التنظيم حديدياً مع حرية القاعدة في انتخاب القيادة، وذلك لكي لا يتحول التنظيم ديكتاتورياً⁽³⁵⁾.

4 - الجماهيرية.. أن تكون مؤسسات التنظيم وعناصره ملتزمة بالجماهير، وأن ينظم طاقاتها ويقودها في معارك التحرر ضد الاستعمار والاستبداد. حيث يرى أن جماهيرية التنظيم لا تتحقق إلا بمقومين:

الأول: القيادة النموذجية النزيهة.

الثاني: احترام الجماهير⁽³⁶⁾.

وبعد أن يحدد الإمام الشيرازي أبرز سمات التنظيم الإسلامي الناجح يضيف صفات أخرى على شكل أخلاقيات يجب أن يتميز بها التنظيم وهي:

- 1 - الاستقامة.. فإن الاستقامة توجب جلب الناس حول المجاهد⁽³⁷⁾.
 - 2 - نظافة القائمين بالحركة... يجب أن يكون القائمون بالحركة نظيفين لساناً، قلباً، أذنًا، عيناً، يداً، رجلاً، جنساً، مالاً، أصلاً، وغير ذلك، لأن الإسلام بناء متكامل⁽³⁸⁾.
 - 3 - الصمود... يجب أن يكون الإنسان صامداً لأجل الله ولأجل ثوابه ولأجل رضاه لا لأجل أن ينال الدنيا الآن أو في المستقبل⁽³⁹⁾.
 - 4 - زهد القادة.. الواجب على القائمين بالحركة أن يتزهدوا في الدنيا، فإن الزهد يوجب أولاً كثرة العمل وثانياً التفاف الناس⁽⁴⁰⁾.
 - 5 - رعدم حب الشهرة.. إن حب الشهرة وحب السمعة وحب أن يقال عن الإنسان الخير.. هذا الحب يوجب غمط حق الآخرين⁽⁴¹⁾.
 - 6 - الإخلاص.. فإن للإخلاص فائدتين: لطف الله والتفاف الجماهير حول الحركة⁽⁴²⁾.
 - 7 - الابتعاد عن السلطات.. القائمون بالحركات يجب عليهم الابتعاد عن السلطات الديكتاتورية التي ملأت البلاد الإسلامية، لا لدفع الاتهام فحسب، وإنما لأجل أن يقترب من السلطان وأعوانه لا بدّ وأن ينزلق⁽⁴³⁾.
- أما من زاوية الأحزاب في الدولة الإسلامية فلقد أفرد لها الإمام الشيرازي بحثاً مطولاً في (الفقه السياسية) وخلاصة رؤيته أن الأحزاب عامل تقدم للحياة السياسية لأنه يتيح حرية التعبير في أطر منظمة وتحت ظل ولي الفقيه القيادة الإسلامية في الحكم الإسلامي المرتقب.

يرى الإمام الشيرازي أن للأحزاب معطيات وفوائد هي:

- 1 - انتخاب الأصلح.
- 2 - تحكيم إرادة الشعب.
- 3 - مدرسة السياسة التطبيقية.
- 4 - تحمل المسؤولية السياسية.
- 5 - مدرسة الانضباط الفكري والعملية.

6 - صنع التنافس الخلاق.

7 - تقديم الشعب إلى الإمام⁽⁴⁴⁾.

كما يرى الإمام الشيرازي أن النضج السياسي والفكري في الحزب أمر مهم، فالنضج في نظره عبارة عن:

1 - فهم السياسة والاقتصاد فهماً كاملاً.

2 - الاتصاف بالحزم واللين والاستقامة وروح الشورى والواقعية⁽⁴⁵⁾.

ويعتقد الإمام الشيرازي أن موقف الإسلام تجاه الأحزاب يتحدد بشروط إذا حازها الحزب فإنه يكون خارج عن نطاق التحزب الذي حرمة الشرع، والشروط هي:

1 - ألا يكون الحزب مقدمة للبرلمان الذي يحكم حسب الآراء والأهواء.

2 - أو أن يكون سبباً لقبض أزمة السياسة في البلاد من دون الانضواء تحت لواء الفقيه العادل الجامع للشرائط.

3 - أو يكون سبباً لتسليط من لا ترضى به أكثرية الأمة، ولو كان فقيهاً عادلاً⁽⁴⁶⁾.

وأخيراً يقرر أمور عديدة في هذا المضممار أهمها أمرين:

1 - لا يجوز للحزب أن يجنح إلى الأساليب الملتوية غير أسلوب الشورى وأكثرية الأمة، في سبيل تقديم مرشحه للرئاسة.

2 - أن لا يستبد الحزب بالأمر، فالحزب الواحد استبداد لا يجوز شرعاً، لأنه إضاعة لحق سائر المسلمين.

— كيف ينهض المسلمون؟

يجيب الإمام الشيرازي على هذا السؤال في كتابه (السبيل إلى إنهاض المسلمين). حيث خصص قرابة الخمسمائة صفحة للإجابة عن هذا السؤال، ولخص أسباب النهوض من المأزق الذي يعيشه المسلمون والوصول إلى حكومة ألف مليون مسلم بستة أسس:

الأساس الأول: مقومات الدولة الإسلامية الواحدة.

الأساس الثاني: التنظيم.

الأساس الثالث: التعاون.

الأساس الرابع: السلام.

الأساس الخامس: الاكتفاء الذاتي.

الأساس السادس: منهج الحكم الإسلامي.

تلك كانت إطلالة وتأملات الفكر السياسي عند الإمام السيد محمد الشيرازي، وبلا شك أن ما سطرناه لا يخرج عن نطاق الملاحظات الأولية، وهو ما اعتبرناه ركائز سياسية رئيسية، وتجدر الإشارة أن هناك الكثير من الأفكار والركائز تستحق الدراسة والمطالعة في فكر الإمام الشيرازي، فالوحدة الإسلامية على صعيد الحركات والشعوب أو المذاهب هي ركيزة مهمة في فكره، ولقد بشر بها في الكثير من دراساته، ومن يريد المزيد فعليه بمطالعة ثلاث كتب حول الفكر السياسي عند الإمام الشيرازي وهي:

1 - ملامح النظرية السياسية في فكر الإمام الشيرازي - محمد غالب أيوب - دار المنهل للطباعة والنشر، بيروت 1141هـ - 1991م.

2 - الفكر السياسي عند الشيعة: د. فهمي الشناوي، مؤسسة الفكر الإسلامي للثقافة والإعلام، بيروت 1141هـ - 1991م.

3 - الإسلام مشروع المستقبل.. دراسة في فكر الإمام الشيرازي، محمد قاسم، دار النخيل للطباعة والنشر، بيروت 1413هـ - 1993م.

حيث حاولت الكتب الثلاث تسليط الضوء بشكل قوي حول فكر الإمام الشيرازي، مع اعتقادي الجازم بأنه لا زالت هناك زوايا مظلمة تحتاج إلى من يلقي عليها الضوء، ويكشف ل جماهير الأمة الإسلامية عمق هذه الأفكار السياسية المؤصلة شرعياً.

الهوامش

1 - الفقه السياسية ج2- ص213.

2 - الفقه السياسية ج2- ص214-238.

- 3 — انظر الصياغة الجديدة للعالم والإيمان والحرية والرخاء والسلام ص316-321
مؤسسة الفكر الإسلامي - بيروت.
- 4 — الفقه السياسة ج1- ص34.
- 5 — الفقه السياسة ج2- ص147-148.
- 6 — المصدر السابق.
- 7 — انظر: فقه الاجتماع ج2- ص150-154.
- 8 — الشورى في الإسلام ص11.
- 9 — للمزيد انظر: ناصر حسين الأسدي، شورى الفقهاء المراجع، دار الفكر الإسلامي،
بيروت.
- 10 — الفقه السياسة ج2- ص271.
- 11 — المصدر السابق ص272.
- 12 — للمزيد انظر: السيد مرتضى الشيرازي - شورى الفقهاء - دراسة فقهية
وأصولية- قم المقدسة.
- 13 — انظر: الشهيد مطهري - الاجتهاد في الإسلام.
- 14 — الفقه الدولة الإسلامية ج1 ص9-14 دار العلوم - بيروت.
- 15 — السبيل إلى إنهاء المسلمين ج1- ص7 مطبعة سيد الشهداء - قم المقدسة.
- 16 — الفقه السياسة ج2- ص280-284.
- 17 — المصدر السابق ج2 ص286-287.
- 18 — المصدر السابق ص256.
- 19 — الفقه السياسة ج2 ص270-271.
- 20 — الفقه الاجتماع ج2 ص130 دار العلوم - بيروت.
- 21 — المصدر السابق ص132.
- 22 — المصدر السابق ص133.
- 23 — المصدر السابق ص134.
- 24 — الفقه الاجتماع ج2 ص135-136.

- 25 – المصدر السابق ص138.
- 26 – السبيل إلى إنهاض المسلمين ص186-207 مطبعة سيد الشهداء – قم المقدسة.
- 27 – المصدر السابق ص190.
- 28 – المصدر السابق ص108.
- 29 – المصدر السابق ص202.
- 30 – المصدر السابق.
- 31 – المصدر السابق ص224.
- 32 – المصدر السابق ص53.
- 33 – المصدر ص63.
- 34 – المصدر ص67.
- 35 – المصدر ص71.
- 36 – المصدر ص81-83.
- 37 – المصدر ص106.
- 38 – المصدر ص110.
- 39 – المصدر ص115.
- 40 – المصدر ص126.
- 41 – المصدر ص133.
- 42 – المصدر ص137.
- 43 – المصدر ص160.
- 44 – الفقه السياسة ج2 ص127-136.
- 45 – المصدر السابق ص106.
- 46 – المصدر السابق ص117.

لقاءات مع شخصيات إسلامية حول شخصية الإمام الشيرازي

لقاء مع آية الله السيد محمد علي الطباطبائي

إعداد مركز الدراسات والبحوث

س: حبذا لو بدأت بتعريف حول شخصية سماحة الإمام الشيرازي؟

ج: يعد السيد الشيرازي من نواذر العلماء، ولقد كنا في بغداد نسمع عن علمه واجتهاده وكنت في أوائل شبابي قبل حوالي ثلاثين سنة، وقد التحقت بالسلك الديني ورجال الدين بفضل تشجيعه. وما أن تعرفنا على سماحته حتى تعرفنا على الخير والفضيلة والأخلاق والتقوى. ولقد تأثرت من شخصيته وعلمه.

لقد كان للسيد المشاريع الكثيرة في كربلاء، ومن جملة مشاريعه فتح مكتبات للمطالعة العامة وكان يشجع على افتتاح مثل تلك المكتبات، ومدرسة حفاظ القرآن المعروفة في كربلاء للشؤون الدينية ومدرسة الكتاب والقرآن لتخرج الخطباء، التبليغ السيار اليومي، هيئة القرآن، الدور التي أولاهها اهتماماً كبيراً، كذلك المستوصفات الخيرية، والمشاريع. ولقد كان يؤثر المشاريع الخيرية العامة على نفسه، فالمال الذي يأتيه لشؤونه الخاصة يصرفه على المشاريع أكثر مما يصرفه على نفسه. وكان يوصي طلبته القائمين على التبليغ بعدم ترك التبليغ خصوصاً في موسمه.

ولقد طور السيد الشيرازي طريقة عرض الكتب الفقهية الأصولية سيما الدراسية في الأسلوب والتوسع والاختصار كل في موقعه وحسبه.

س: لقد اضطلعتم بمهام تدريس البحث الخارج في الفقه، وقد طرقت أبواب الآخرين فحضرتم بحوث الخارج للسيد الخوئي والسيد الشيرازي. السؤال ما هو تقييمكم لإنجازات الإمام الشيرازي الفقهية والأصولية سيما الموسوعة الاستدلالية في الفقه للإمام الشيرازي؟

ج: تتسم موسوعة الفقه للسيد الشيرازي عن بقية الكتب الأخرى بتبسيط الأسلوب على طلاب بحث الخارج، وتمتاز هذه الموسوعة الفقهية:

أولاً: غزارة المطلب وبساطة الأسلوب في بعضها.

ثانياً: جامعة لما استدلل به الفقهاء.

ثالثاً: إنها تمتاز عن الموسوعات الاستدلالية الأخرى في المسائل الفرعية زيادة أدلة وتوجيهات لم يتطرق لها الآخرون ممن تقدموا السيد الشيرازي.

رابعاً: تحتوي على توجيهات جديدة في استدلالها في المسائل الأساسية والفرعية في الفقه. والواقع أن سماحة السيد الشيرازي يعد مجدد هذا القرن من علماء المسلمين.

خامساً: شرع في إضافة علوم جديدة مستقلة في علم الفقه الاستدلالي، لم يسبقه أحد بل لم يقارنه في هذا المنهج و أحد من المعاصرين.

وإن من يتدارس موسوعته ويطلع عليها من أهل الفن في علوم الفقه والأصول يقول بأفقيته وأوسعيته ليس في علوم الفقه فحسب بل في كثير من العلوم فيشارك المفسر في تفسيره الفلكي في علمه والمتكلم في علم الكلام، والرياضي في حسابه.

س: سماحة العلامة السيد الطباطبائي: لقد كنتم من الذين عايشوا سماحة الإمام الشيرازي لفترة طويلة وعرفتم الشيء الكثير عنه وكنتم شاهد حال لمعالم السيد الإمام الأخلاقية وتعامله مع المجتمع. السؤال ما هي أبرز صفات السيد الإمام؟

ج: يتحلى الإمام الشيرازي بالحلم الشديد، فيقابل المعاند والجاهل والمتعدي في حدود آداب التعامل، فيحسن لمن يسيء له.

وكما هو مروي الحلم سيد الأخلاق. فلقد رأينا من سماعته الحلم الذي لا مثيل له. وكم هم أولئك المغرضون الذين كان همهم الإساءة إلى سماحة السيد شخصاً ومنهجاً والذين سعوا لاستنقاص سماعته فكان يقابلهم بكل خير.

ومن صفات السيد الإمام حسن الاستماع لمن كان معه في الكلام. ومن صفات سماعته الزهد في هذه الدنيا فلا بذخ ولا ترف في طعامه ولباسه أو مسكنه.

فالسيد يملك بيتاً متواضعاً وما أتى له بطعام فطلب غيره. ولا يطلب الأكل بل يقوم بنفسه. والسيد كريم معطاء، لم أسمع عنه أنه شتم إنساناً أو عاداه. وكما قلنا أن سماعته حلیم بل وشديد الحلم فإنه يكتفي في غضبه بأن إذا كان قاعداً وقف ثم قعد وحسبه ذلك.

وأتذكر قصة هي أن إنساناً قد امتلأ قلبه حقداً على السيد جاء لسماعته في مدرسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وصار يشتمه ويتلفظ بكلمات بذيئة فهم البعض بإخراجه بالقوة إلا أن سماعته رفض ذلك وطلب منهم تركه.

ومن صفات سماحته من الناحية الفكرية أنه إذا كان في شيء من أمور العلم - بحثاً، كتابة، إلخ. يستجمع كل قواه الفكرية في ذلك الشيء وهذا توفيق من الله. حقاً إنه نابغة في الفقه والأصول وكيف لا فهو يتميز بسرعة البديهة ويستحضر أدلة المسائل بمختلف الجوانب ولا يتلأأ في إجابته لا عن حفظ بل عن إدراك وفهم عميقين. وهو الذي بدأ في كتابة موسوعته العلمية في الفقه الشهيرة وهو ما زال شاباً. فإذا نظرت في أول كتاباته الفقهية رأيت فيها العمق وغازرة البحث وسعة التنقيب عن الأدلة والبراهين لكل مسألة، وكان في موسوعته شديد التدقيق، غزيراً في التحقيق.

س: ما هي نظرتكم لمن يستلم مهام القيادة المرجعية وبالذات في هذه الفترة؟

ج: ليس يخفى على أحد أن سماحة السيد الشيرازي اشتهرت مرجعيته في سنة 1381هـ أي بعد وفاة والده ولقد كان مرجع كربلاء وما حولها مع وجود الإمام الحكيم(قده) ولقد كان معتمد الفتوى. ولقد أيده الإمام الحكيم(قده) بوكالة مطلقة في إدارة أمور الحوزة. هذا إن دل إنما يدل على قناعة السيد الحكيم(قده) بسماحة الشيرازي.

ثم أود القول أن هناك مرجعاً ومرجعاً أعلى، والمرجع الأعلى في نظري ذلك الفقيه القادر على إدارة شؤون المسلمين والتعاطي معها ويمتلك القدرة والأهلية لتلك الإدارة. فالمرجع الأعلى أعلى وأكبر من كونه مرجع تقليد فلقد شهد في القديم تعدد مراجع التقليد المحليين - مراجع تقليد - إلا أنه تبقى مرجعيتهم في حدود معينة.

وإن تعدد المراجع ليس فيه مشكلة والفضلاء يدركون هذا جيداً فمن يقلد مرجعاً معيناً يبقى احترامه لبقية المراجع بنفس القدر وما يرى اليوم من محاولات البعض ممن يرتكبون خطأ من حيث يعلمون أو لا يعلمون وهو أنهم يبخسون حقوق الآخرين هذا خلاف الأخلاق والمبادئ الإسلامية(ولا تبخسوا الناس أشياءهم).

فالسيد الشيرازي رجل عالم كبير ومجاهد له رؤية ثاقبة ودقيقة في تشخيص ومعالجة المشاكل التي تعترض سبيل الأمة والطائفة فهو جدير بإدارة أمور المسلمين فهو في نظرنا الذي يستحق عن جدارة وكفاءة علمية وإدارية لأن يكون المرجع الأعلى للطائفة. ولكن أعود وأؤكد أن لكل الحق في تقليد من يشاء ولكن من الواجب أن يحترم الجميع وألا ينقص قدر واحد منهم.

وليس في الرواية الداعية للتقليد ما يشير إلى أن من يقلد شخصاً يجوز له استنقاص الآخرين (وأما الحوادث الواقعة... الخ).

وفي رواية أخرى: من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه: فللعوام أن يقلدوه.

أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) تجيز لكل الناس أن يتبعوا من له هذه الصفات لكن في هذا العصر قد تعقدت الأمور وتطورت، واستجدت مباحث جديدة فلا بد أن يكون المرجع متقهماً لما يمس واقع الناس وهذه من واجبات المرجع الأعلى بالدرجة الأولى والسيد الشيرازي له القدرة لأن يكون المرجع الأعلى للطائفة. - ولذا في نظري - هو الأعم والأفقه والقادر على إدارة أمور المسلمين.

لقاء مع سماحة الشيخ ناصر الأسدي

س: سماحة الشيخ ناصر حسين الأسدي، أنتم على معرفة قريبة بسماحة آية الله العظمى السيد الشيرازي (حفظه الله)، وتعرفون مستواه العلمي، وأنتم مطلعون على كثير من أحواله (تدريساً وبحثاً) نرجو من سماحتكم التعرض بالتفصيل لهذه المسألة؟

ج: في جواب السؤال الذي تفضلتم به حول علمية سماحة المرجع (حفظه الله)، يمكن أن يقال الكثير الكثير، لعل أبرز ما كتب في تاريخ الطائفة، بل في تاريخ الإسلام، بل في تاريخ كل الحضارات البشرية سعة ونضجاً، هو موسوعة الفقه الاستدلالي التي خطها يراعه المبارك.

الكلام حول (موسوعة الفقه) كثير، ولضيق الوقت لا يسعنا إلا التكلم فيما يمكننا التطرق إليه.

قال المحقق اليزدي (رضوان الله عليه) في كتاب (العروة الوثقى) في مسألة العلمية (المسألة 17) ما يلي: (المراد من الأعم من يكون أعرف بالقواعد والمدارك للمسألة وأكثر اطلاعاً لنظائرها وللأخبار، وأجود فهماً للأخبار والحاصل أن يكون أجود استنباطاً والمرجع في تعيينه أهل الخبرة والاستنباط).

ومن يراجع موسوعة الفقه ويطلع ولو على حلقة واحدة أو حلقتين منها وهو من أهل الخبرة وذوي القدرة على تشخيص الموارد التي ذكرت في تعريف السيد اليزدي(قده) ومن المطلعين على الموازين الاجتهادية والعلمية يكتشف بكل وضوح أن هذه الموازين بأجمعها تنطبق على سماحة المرجع(دام ظله) بدليل(موسوعة الفقه).

1 - فالروايات في هذه الموسوعة روايات كثيرة ولم ترد في أي موسوعة أخرى فالموسوعات الأخرى تعتمد على النصوص الفقهية للروايات الموجودة في(وسائل الشيعة) للحر العاملي و(مستدرك الوسائل) للميرزا حسين النوري وأمثال هذين الكتابين.

أما سماحة السيد المرجع فيعتمد مضافاً إلى هذين الكتابين وكتب الجواهر والحدائق والرياض والمسالك وأمثالها، يعتمد على روايات لم تذكر في تلك الكتب، فسماعته يذكر رواية — على سبيل المثال — من كتاب(ثواب الأعمال)، وأخرى من كتب التاريخ، وثالثة من كتاب(محاسن البرقي) و....غيرها مما لم يذكر في(الوسائل) ولا(مستدرك الوسائل) ولا في الموسوعات والكتب الروائية الأخرى.

تباحث سماحة المرجع في أيام دراسته كتاب(وسائل الشيعة) مباحثة علمية وكذلك موسوعة(بحار الأنوار) بأكملها، وجمع بين روايات الوسائل وروايات المستدرك في موسوعة أسماها(وسائل الشيعة ومستدركاتها)، وألف في الحديث وشرح الصحيفة السجادية وشرح نهج البلاغة، وكتب الفقه(الآداب والسنن) في(4 مجلدات) وفي تلك الكتب الكثير من الأحاديث.

ومن يعاشر سماعته يسمع منه الكثير من الروايات التي لم تذكر في الكتب الروائية المعروفة.

هذا يدل — بصورة جلية — على أن معلومات سماعته في الحديث أكثر وأوسع من معلومات الآخرين وإذا ما أتيح لجهة أن تحقق(موسوعة الفقه) وتجمع الأحاديث الموجودة فيها، فسوف يتبين — بكل وضوح — أن معرفة سماعته بالحديث أوسع وأكثر وأكبر من معرفة ومعلومات الفقهاء الآخرين.

هذا من الجانب الكمي في معرفة سماعته بالأحاديث.

2 - أما من الجانب الكيفي، أي الفهم العميق والنضج وإدراك المقصود من النص، فهذا يتبين من شخصية أي فقيه أو إنسان، شخصيته الأدبية ومدى معرفته بقواعد الأدب العربي، لأن الأحاديث جاءت في مجتمع عربي بليغ فصيح، فمن يريد الفهم العميق للنص عليه أن يفهم الأدب العربي فهماً جيداً، ويفهم العرف العربي جيداً.

نقل عن الفقيه الهمداني (رضوان الله عليه) اشتهاره بالأعلمية في زمانه اعتماداً على معرفته الجيدة والمتكاملة وفهمه الجيد للعرف.

وسماحة السيد المرجع بالنسبة إلى علومه الأدبية، فإنه — في أيام دراسته — حفظ القرآن الكريم، وحفظ ألفية ابن مالك في النحو، وحفظ مقامات الحريري، وحفظ نهج البلاغة والصحيفة السجادية ونصوص المطول للتفتازاني، وهو شرح (مفتاح العلوم) للسكاكي، فمعرفته بالأدب والقواعد النحوية عموماً — أعم من الصرف والنحو والبيان وعلوم البلاغة — أعطته قدرة فائقة في فهم النصوص، فسماحته يطرح بعض المسائل — أحياناً للضرورة — في النحو، ويناقش أفقه فقهاء النحو وهو سيبويه، مما يدل على أن سماحته له آراء اجتهدية في بعض المسائل الأدبية والنحوية، ومثل هذا الإنسان، يستطيع فهم النص أكثر من غيره.

3 - أما بالنسبة إلى فهم العرف، فالذي يعرف شيئاً عن حياة سماحة السيد المرجع، يعرف تاريخه والتصاقه بالعرف وتعامله اليومي مع مختلف الشخصيات من مختلف الشرائح الاجتماعية، فهو يجلس مع البقال والعتار وابن السوق، كما يجلس مع الفقهاء والقادة السياسيين وحملات الشهادات العلمية الراقية، ويجلس مع الضابط العسكري ومدير المعمل ومدير المدرسة والنائب في المجلس.

وهذه العلاقات المكثفة الطويلة مع شرائح المجتمع، أعطت سماحته معرفة عالية وناضجة بموازين العرف، والذي يجمع بين الشخصية الأدبية والمعرفة الدقيقة للعرف والموازين الدقيقة، يكون أقدر من غيره على فهم النصوص الفقهية، وأقدر من غيره في استنباط الحكم الصحيح.

لقد حضرت بحث جملة من أساتذة (بحث الخارج) ومن أئمة الأدب، واستغربت حينما رأيتهم يفهمون النص بصورة مخالفة للعرف يشكل عليها أبسط فرد في المجتمع.

أحد العلماء البارزين المعروفين في الحوزة العلمية، يستتبط من النص حكماً غير صحيح لعدم فهمه ومعرفته بالموازين العرفية. هذا بالنسبة إلى فهم العرف.

4 - أما بالنسبة إلى الموازين الأخرى للأعلمية كمعرفته بمدارك المسألة فهذا يفهمه جيداً ويعرفه كل من راجع (موسوعة الفقه) أو حلقة منها، وراجع - للمقارنة - كتاباً آخر وموضوعاته أو موسوعة أخرى.

وقد رأيت الفقهاء القائلين بالأعلمية ووجوب تقليد الأعلّم، يستدلون على مبناهم بأدلة أربعة، أما سماحة السيد المرجع، ففي الحلقة الأولى من موسوعته في كتاب (الاجتهاد والتقليد) يذكر تسعة أدلة، معنى هذا أنه أعرف بالمدارك فالفقيه الذي يذكر دليلين على مسألة لإثباتها أعلم من الفقيه الذي لا يذكر إلا دليلاً واحداً، و(موسوعة الفقه) دليل واضح على اطلاع سماحته بالمدارك وعلى تفوقه على غيره، وأن قدرته في الاستنباط أكثر من قدرة غيره، واستدلّاه على المسائل أكثر من سواه.

5 - كل ما يقال بالنسبة إلى أعلميته بالمدارك، يقال — أيضاً — عن معرفته بالأشياء والنظائر وعن جودة استنباطه (حفظه الله)، فالفقيه الذي فهم العرف جيداً، وكذلك نصوص الكتب الفقهية، هو أعرف وأعلم من غيره، لأن الفقيه الذي يؤلف حوالي (115) مجلداً في الفقه، راجع أكثر من غيره، وحقق أكثر — قطعاً — فالذي راجع عشرين مصدراً في فقه الاستدلال أقوى ممن راجع عشرة مصادر فقط.

في حوار لي مع أحد الأخوة قلت له: (تستطيع أن تأخذ حلقة واحدة من (موسوعة الفقه) وتخلع غلافها، وكذلك تفعل مع كتاب من موسوعة أخرى في نفس الموضوع والبحث، ثم تعطي الحلقتين إلى مجتهد كبير ليقارن بينهما، ثم تسأله: من الأعلّم فيهما؟ من الأعلّم من مؤلفي هذين الكتابين؟! سيجيبك بكل صراحة: إن مؤلف هذا الكتاب (ويشير إلى كتاب سماحة السيد) أعلم من مؤلف الكتاب الآخر.....).

وهناك جمع كبير من العلماء العظام، ومن الذين يشار إليهم بالبنان، ومن الذين شهدت الحوزات العلمية بأجمعها على رقي مكانتهم العلمية وخبرتهم وتجاربهم الواسعة، أقروا بالأعلمية لسماحة السيد المرجع، أذكر بالاسم سماحة آية الله العظمى السيد عبد الله الشبستري، وهو صاحب رسالة عملية، وكان من زملاء آية الله العظمى السيد أحمد

الخوانساري (رضوان الله عليه) الذي كان من أساتذة الإمام الخميني (رحمة الله عليه)، فالسيد الشبستري من زملاء أحد أساتذة الإمام، وتباحث مع السيد الخوانساري في موسوعة الجواهر، وهو رجل لا يشك أحد من الذين يعرفونه في شخصيته العلمية ونبوغه في الفقه والأصول وله إلى جانب رسالته العملية تعليقه على العروة الوثقى، وأهل الخبرة يعلمون أن التعليق على العروة الوثقى عمل صعب ومعقد جداً ويتطلب من الفقيه أن يدرس مسألة مسألة، ويناقش أدلتها ونقدها وإبرامها وبعد ذلك يخرج برأي ويعلق على تلك المسألة في العروة.

فالسيد الشبستري — وهو صاحب هذا الثقل العلمي الرفيع — يقر إلى سماحة السيد المرجع بالأعلمية، وقد كتب ذلك ووقع عليه بختمه الشريف. ومن الذين أقروا لسماحة السيد بالأعلمية آية الله العظمى السيد محمد الفاطمي وهو من الفطاحل العظام وممن درس الخارج أكثر من عشرين سنة، وله — أيضاً — رسالة عملية وتعليق على العروة الوثقى.

في العام الماضي (قبل حوالي سنة) سئل عن الأعلام في هذا الزمان، وسئل عدة مرات ومن عدة جهات عن رأيه حول الأعلام، فأجاب في إحدى الإجابات بما مضمونه: (عقدت جلسات علمية متعددة مع سماحة آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي، وراجعت بدقة وتحقيق مجموعة من كتبه كـ (الفقه البيع) والأصول (مباحث الألفاظ) و (المباحث العقلية) فثبت لدي أنه الأفقه والأعلم من غيره...).

ومن يتخذ جانب الإنصاف ويترك الاعتساف يصل إلى هذه الحقيقة، فهذا الرجل العظيم (السيد الفاطمي) الذي لا كلام في شخصيته العلمية يقر بأعلمية السيد المرجع. ومثل هذين العلمين العشرات في الحوزة العلمية وأذكر شخصية ثالثة وهو آية الله الشيخ اختر عباس النجفي (حفظه الله) وهو كبير علماء الباكستان وأعلمهم وأستاذهم، ويبلغ من العمر حوالي ثمانين عاماً، وحينما يسأل عن الأعلام من الفقهاء يجيب: (إنني أعرف العلماء الموجودين حالياً في مدينة قم المقدسة وفي النجف الأشرف، وإن كنت أقل منهم عمراً أو مساوياً لعمر بعضهم، وكذلك لي علم بمعرفتهم وعلمهم وفضيلتهم، والعالم يعرف بدرسه وكتبه وبهذا الميزان نحن نرى أن سماحة آية الله العظمى المرجع الكبير السيد

محمد الشيرازي (دام ظله العالي) هو أفقه معاصريه من العلماء، حيث نرى ذلك فيما كتبه في علم الفقه كالموسوعة الفقهية الاستدلالية وما كتبه في كتاب القضاء والذي أصبح مرجعاً للقضاء وفي الأصول وعلم الكلام والاقتصاد والسياسة وسائر العلوم، والكثيرون من العلماء يستفيدون من كتبه في الحوزات العلمية، وكذلك فإن السيد الشيرازي معروف زهده وتقواه بأعلى المراتب والدرجات، فهو في هذا العصر الحاضر مرجع تقليد، وفي تقليده رضى إمام العصر، (عجل الله تعالى فرجه)....).

فقامت البيئة الشرعية التي تواتر رجالها وكثروا بحيث يحصل عند الإنسان الاطمئنان الكامل بأن سماحة السيد المرجع هو الأعلم من الفقهاء المعاصرين جميعاً. وهناك تقاريظ (حوالي 10) من الفقهاء المحترمين حول موسوعة الفقه، وتقاريظهم موجودة لدينا وهم يؤكدون على أن موسوعة الفقه دليل الأعلمية، ويؤكدون أن كاتب هذه الموسوعة هو (يتيمة الدهر) ونايغة العصر والأوحد في هذا الزمان، فتجمعت الأدلة والقرائن التي تثبت أن سماحته أعلم من غيره، ونحن نقول ونطلب من أهل الخبرة أنه فيما لو شك أحد في أعلمية سماحته، فيمكن لأهل الخبرة أن يعدوا مجموعة من الأسئلة الفقهية والأصولية ويزوروا سماحته، فباب بيته في قم المقدسة مفتوح ويستقبل يومياً الوفود العلمية والسياسية والشعبية، ويستطيع أهل الخبرة أن يلتقوا بسماحته ويتحققوا في الأمر، وفي نفس الوقت يستطيعون أن يزوروا غيره ممن فيه احتمال الأعلمية، وينظروا ويقارنوا بين جواب سماحته وبين أجوبة غيره.

وأقول مطلعاً: (أن لجنتين قد تشكلتا، إحداهما قبل ست سنوات تقريباً، والأخرى قبل سنتين، وأعضاء اللجنتين تجولوا على المراجع وزاروهم وطرحوا عليهم مجموعة من الأسئلة العلمية، وبعدما أكملوا المشوار مع كل فقيه وصلوا إلى هذه الحقيقة، وهي أن سماحة المرجع أقوى في الجواب وأسرع، وجوابه أكثر إقناعاً من غيره وأنه مستحضر للجواب دائماً، واقتنعوا بأن سماحته هو الأعلم، وعلى شهادة هؤلاء وتحقيق آخرين أفتى بعض الفقهاء بأن سماحته هو الأعلم).

ومسألة الأعلمية — كما يعلم أهل الخبرة — إنما هي مطروحة في الأعلمية الفقهية لا الأصولية، فإذا وجد فقيهان أحدهما أعلم من الآخر في الأصول والثاني أعلم في الفقه،

يجب على الأمة أن تقلد الأعلّم في الفقه لا الأعلّم في الأصول والعلوم الأخرى، ويجب على أهل الخبرة أن يثيروا على الأمة أن تتبع وتقلد الأعلى في الفقه لا الأصول، وموسوعة الفقه دليل واضح لا لبس فيه ولا رد عليه على أعلمية سماحته، ومن أراد فهذه الموسوعة موجودة وهؤلاء أهل الخبرة موجودون، وذلك سماحة السيد في قم يستطيع أن يحقق ويبيدي رأيه في ذلك الأمر.

س: سماحة الشيخ، يجرنا الحديث عن مكانة السيد المرجع العالية في الفقه والاستدلال والأصول، إلا أنه — أيضاً — هو صاحب النبوغ العلمي المبكر، فلو تفضلتم ببيان ذلك؟

ج: هناك رجال في التاريخ، لهم مواهب ربانية أفاضها الله عليهم، واستطاعوا في وقت مبكر من عمرهم أن يحققوا إنجازات ضخمة في حياتهم، فينقل عن فخر المحققين ابن العلامة الحلي أنه بلغ درجة الاجتهاد وعمره (13 سنة) فقط، وكثير من الفقهاء والعظماء والمخترعين في التاريخ نبغوا مبكرين أيضاً.

وحالياً يوجد بعض أصدقاء السيد منذ الصغر، وهؤلاء مجمعون على أن سماحته حقق نبوغاً منقطع النظير، نبوغاً واضحاً ومشهوداً في المراحل الأولى من حياته، فألف كتاباً وعمره حوالي (15 سنة) أو أقل، وبدأ بالتأليف ولما يبلغ العشرين من عمره، وكان والده (رضوان الله عليه) قد اجتمعت كلمة العلماء على فضله وعلمه وتقواه، ولو أن الله مد في عمره لكانت المرجعية العليا للطائفة قد آلت إليه، إلا أنه توفي قبل السيد الحكيم وقبل السيد الميرزا عبد الهادي الشيرازي (رضوان الله عليهما) وكان هذا الرجل مضرب الأمثال في ذلك كله، فلقد سمعت من بعض من عاشره كرامات وأمر خارقة، فمرة كان يصلي في جامع العطارين صلاة الجماعة فورد عليه جمع من تجار طهران، وكانت لديهم مسألة فقهية صعبة، فسألوا الميرزا مهدي الشيرازي (رحمه الله) فقال: اصبروا قليلاً حتى أصلي ثم أجيبكم بالتفصيل، فقالوا: إن موعد سفرنا قريب، ولا يمكننا الانتظار، فأشار عليهم أن يلجأوا إلى سماحة السيد محمد الشيرازي (ابنه) وكان عمره حينذاك حوالي 23 سنة أو أقل من ذلك، فأجابهم عليها.

وسمعت من سماحة العلامة الحجة السيد محسن الخاتمي (حفظه الله) — وهو والد سماحة العلامة الحجة السيد أحمد الخاتمي (حفظه الله) — والسيد أحمد الخاتمي عالم وخطيب ويضرب به المثل في التقوى والزهد، وكان معاشراً للسيد ميرزا الشيرازي (قده).

سمعت منه أن الميرزا مهدي — أحياناً — حينما ترد عليه مسألة ويتردد في الجواب بناءً على وجود مبنيين للمسألة، يحيل السؤال إلى ولده السيد محمد الشيرازي ويقول له: ما رأيك في هذه المسألة... فالسيد من ذلك الحين كان نابغة في الفقه.

وحينما كتب السيد المرجع الحلقة الأولى من موسوعة الفقه، وقدمها إلى والده، فأعجب بها كثيراً، وكتب تقريراً على الكتاب وأعطاه رسالة اجتهاد — في نفس الوقت، وكان هذا الكلام عام (1379هـ) — وجاء في هذه الرسالة:

(الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على محمد وآله الذين اصطفى، أما بعد: فقد طالعت أجزاء من كتاب (الفقه) شرح العروة الوثقى لولدنا المسدد الحاج السيد محمد الحسيني الشيرازي، فوجدته كما ينبغي وكما كنت أترقب قوي الحجة، وافي الاستدلال مما يدل على أن مؤلفه بلغ درجة الاجتهاد، جعله الله تعالى من أهل السداد...).

هذه الكلمة والشهادة بالاجتهاد من الميرزا مهدي، هناك من أشكل عليها قائلًا:

(إن والده هو الذي أجازه بالاجتهاد، ولا يعتد بإجازة الوالد لابنه؟).

والرد — على القائل — واضح وموجود في نفس شهادة الميرزا مهدي لولده السابقة إذ يقول: (فقد طالعت أجزاء من كتاب (الفقه) شرح العروة الوثقى لولدنا المسدد الحاج السيد محمد...)، وهذا يعني أنه لم يكتب التقرير ورسالة الاجتهاد إلا بعد تحقيق وتمحيص وفهم وقناعة بما ألفه ولده، وليس حباً لولده، ومن يعرف شخصية الميرزا المثالية في التقوى والورع والاحتياط، يدرك أن العاطفة الأبوية لا يمكن أن تستحوذ عليه ليعطي ابنه ما ليس بحق له، وإنما ذاك لقناعته ويقينه ببلوغ ابنه درجة الاجتهاد.

ومما نقله السيد أحمد الخاتمي عن ورع وتقوى الميرزا مهدي الشيرازي قوله:

(سألت الميرزا عبد الهادي الشيرازي (رحمه الله) عن عدالة الميرزا مهدي الشيرازي وقلت له: أريد أن أقلده بعد المرجع الفقيه السيد حسين القمي (رحمه الله) فما هو رأيك في

عدالته؟ فأجاب: لقد عشت مع الميرزا مهدي حياة طويلة وعاشرته عشرين عاماً، فلم أره يرتكب مكروهاً واحداً....).

هذا عن ورع الميرزا مهدي، فليتق الله كل من يريد أن يطعن في إجازته لسماحة السيد، وليتحقق قبل أن يبدي إشكاله.

وكان الميرزا مهدي — أحياناً — يستأنس برأي ولده، ويناقشه مناقشة علمية ثم يصدر الفتوى.

وعن نبوغ السيد محمد الشيرازي نقول: أنه بلغ الاجتهاد في مرحلة مبكرة من عمره، وقلماً يحدث ذلك لأحد، إلا إذا كان نابغة، ولقد سمعت من بعض النقاة حول حياة السيد الدراسية أيام تحصيله الدراسي، أن سماحته، كان خلال اليوم يدرس ويدرس ويباحث حوالي (28 درساً وحصّة)، بعضها نصف ساعة والبعض أقل أو أكثر... وهو ممكن لرجل لا ينام إلا ثلاث أو أربع ساعات في اليوم.

ويمكن أن يعرف نبوغه من كتبه العلمية فسماحته كتب قبل حوالي (30 عاماً) كتابه (الوصول إلى كفاية الأصول) وموسوعته (إيصال الطالب إلى شرح المكاسب) وكتابين (شرح منظومة السبزواري) و (شرح تجريد الاعتقاد)، وهذا يدل على أن سماحته — وهو يبلغ الآن من العمر (68 سنة) — منكب على العلم منقطع إليه، وقد كتب شرحاً على كتاب الرسائل للشيخ الأنصاري، (رحمه الله) وهو في طور الطبع الآن، والذين يعيشون في الحوزات العلمية من فضلاء وفقهاء يعرفون مدى أهمية كتابيه (الوصول إلى كفاية الأصول) و (إيصال الطالب).

س: سماحة الشيخ، وماذا عن نظرة سماحة السيد للمرجعية الدينية من حيث الممارسة والتطبيق، ومن حيث تطلعات الأمة للمرجعية؟

ج: ولد السيد المرجع وترعرع وشب في بيت المرجعية، ومنذ نعومة أظفاره كان دائم الزيارة لبيت سماحة آية الله العظمى الميرزا حسين القمي (رحمه الله) الذي كان مرجعاً كبيراً في عهد السيد أبي الحسن الأصفهاني (رحمه الله) - وبعد الميرزا حسين القمي انتقل قسم من المقلدين إلى الميرزا مهدي الشيرازي (والد السيد المرجع)، ولذا ينظر سماحة السيد المرجع إلى المرجعية نظرة متميزة ومن يعاشره ويسمع منه، ويقرأ بعض كتبه

حول المرجعية، يعرف رأيه جيداً، فقد كتب سماحته كراساً حول (المرجع والأمة) وآخر عنوانه (إلى وكلائنا في البلاد) وهذا قبل حوالي (25 عاماً) في كتبه ينقل سماحته عن المجدد السيد محمد حسن الشيرازي قوله: (المرجعية مائة جزء، العلم والعدالة جزءان، و(98) جزءاً منها إدارة).

وقد ألقى سماحة المرجع محاضرة بدأها بكلمة المجدد الماضية، وعلق عليها قائلاً: (إن المرجعية في عهد المجدد — أي قبل حوالي مائة سنة وسنة — كانت مائة قسم للعلم والعدالة والإدارة، أما في هذا اليوم حيث تضافرت المشاكل والأزمات للطائفة، وتوالى النكبات وازدحمت عليها المشاكل والأزمات الإنسانية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وتكالب المستعمرون عليها، فيجب أن نقول أن المرجعية ألف جزء، فالعلم جزء والعدالة جزء و(998) جزءاً منها الإدارة...).

فسماعته ينظر إلى المرجعية كمسؤولية ويجب أن تكون قيادة ميدانية للأمة، وليست جاهاً ورفاهاً ومنصباً، ومن يعاشر سماحته يعرف أنه — وهو في هذا السن المتقدم — يرهق نفسه عملاً، ويجاهد يومياً (17 ساعة) ما بين تأليف ولقاء بالناس وتدريس وإرشاد وغير ذلك، فهو يرى أن من واجب المرجع حل أزمات المسلمين، فيلزم أن تكون عنده مؤسسة ضخمة للأيتام، وأخرى للفقراء، وثالثة للجاليات المغتربة من المسلمين، ورابعة لنشر الملايين من الكتب الإسلامية وهكذا.

ويرى سماحته أن الأمة يمكن أن تنهض بقواعد معينة منها: التنظيم، وأسلوب السلم (اللاعنف)، ونشر الثقافة والوعي وغير ذلك، ويرى ضرورة تنظيم الحوزات العلمية، وتنظيم مؤسسات تبليغية، ومن طموحات سماحته إعادة بناء الحوزة العلمية في النجف الأشرف بشكل تفوق ما كانت عليه سابقاً، وتنظيم شؤون المسلمين في كل مكان وحل مشكلاتهم.

ومن يراجع كتاب ملامح النظرية السياسية في فكر الإمام الشيرازي لمؤلفه (محمد غالب أيوب) يرى أن سماحة المرجع يرى أنه ينبغي للفقهاء أن يكون عالمياً بشؤون الأمة، عارفاً بالقضايا السياسية، قادراً على حلها.

س: السيد المرجع يرى ضرورة تصدي المرجع لمشاكل الأمة، فما هو دور سماحته في أفغانستان وأذربيجان وغيرها من دول العالم؟

ج: كان سماحته مهتماً بقضايا الأفغان منذ أيام وجوده في العراق، وأذكر أن هناك عدة شخصيات كانت تتردد عليه، وكان الأفغان يوالون سماحة السيد المرجع منذ ذلك الوقت، وبقوا أوفياء له إلى يومنا هذا، ولسماحته خطابات وبيانات وكتب حول هذه القضية، وذات مرة زاره وفد رفيع المستوى وتحدث معه لمدة ساعة وكان من توجيهات سماحته أن يؤسسوا داراً للإذاعة والتلفزيون من أجل الإعلام وتبيين مأساة الشعب الأفغاني للعالم، وتأسيس الحوزات العلمية، وأن يؤسسوا لهم ممثلات في البلاد الحرة من أجل الارتباط والاتصال بالمنظمات العالمية والحقوقية لينصروا قضيتهم.

ووكلاء سماحته في أفغانستان حوالي (100) وكيل، ويعطي سماحته الرواتب إلى حوالي (64) مدرسة وحوزة هناك.

واحتضن جهاز سماحته هنا في دمشق الحوزة العلمية الزينية، وهي تضم فطاحل وأجلاء، وهم من الذين هجروا من العراق، وقد خرجت هذه الحوزة العلمية المباركة في حوالي العقدين من الزمن ما يقارب (750) مبلغاً ووكيلاً وأستاذاً وعالمًا.

وفي كل منطقة حاول سماحته — بالتنسيق مع شخصيات فيها — أداء دور فعال لخدمة الناس، ومن هذه المناطق كشمير، فلسماحته في كل منطقة وكلاء لنشر الكتب والقيام بالأنشطة الإسلامية الأخرى.

واهتم سماحته بقضية أذربيجان اهتماماً بالغاً، وتمكن أن يبعث إليها (28) مبلغاً، وله ستة وكلاء هناك، كما ترجمت رسالته العملية وبعض من كتبه الدينية والثقافية إلى اللغة الأذرية، وهو على اتصال دائم بأهل ذلك البلد، ولا يزال يقدم لها المزيد من الخدمات.

لقاء مع سماحة الشيخ جمال الوكيل

س: سماحة الشيخ الوكيل باعتباركم ممن عايش سماحة المرجع الديني السيد الشيرازي ولاستم عن قرب نشاطاته الاجتماعية وغيرها هل يمكن لكم أن تتحدثوا عن اهتمامات السيد الشيرازي الاجتماعية بشكل عام؟

ج: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

سماحة السيد الشيرازي له عقيدة وقناعة كبيرة بالنسبة للعمل الاجتماعي لذلك ومنذ اليوم الأول الذي تصدى فيه للمرجعية وضع البرامج المتعددة لإيجاد الحلول لما يعانيه المجتمع من مشاكل والتي هي بالطبع نتيجة الأزمات السياسية، ونتيجة الأنظمة السائدة التي تحكم المجتمع.

إن منهج السيد الشيرازي قائم على أساس التصدي لمجموعة المشاكل وإيجاد مؤسسات كفيلة لحل هذه المشاكل.

ولقد تبلورت هذه المؤسسات مع مرور الأيام وبدأت الاختصاصات فيها حتى أصبحت من المؤسسات الفعالة والتي لها الأثر المهم والبالغ في معالجة مشاكل المجتمع.

أتذكر في بداية تصدي السيد الشيرازي للمرجعية أنه كان له دور في إيجاد المستوصفات والمؤسسات الصحية الخيرية التي كانت تقدم الخدمات الطبية المجانية وشبه المجانية للمجتمع واليوم نرى العشرات من هذه المؤسسات في الكثير من بقاع العالم تمتد لتشمل برعايتها مشاكل الناس وتساهم في حل مشاكلهم.

إن المؤسسات الخيرية من المؤسسات التي يهتم السيد الشيرازي بتأسيسها، لمعالجة جانب من جوانب المشاكل الاجتماعية التي يعيشها المجتمع، وبالإضافة إلى ما قام به مباشرة من تأسيس المؤسسات كان للسيد الشيرازي الدور المهم والأساسي في توجيه الناس للقيام بمثل هذه المشاريع الخيرية فلو تفحصنا عن الكثير من الشخصيات التي أنشأت مؤسسات لرأينا أن السيد الشيرازي له دور في توجيه هؤلاء نحو إقامة هذه المؤسسات والمشاريع.

أسست مؤسسات عديدة لتبني مشاريع الزواج والتي هي من المشاريع المهمة التي يؤكد عليها سماحة السيد ويؤكد على ضرورة توجيه الشباب نحوه لأنه يحل قسماً كبيراً من مشاكل المجتمع.

فكان لسماحة السيد دور بارز في تأسيس وتوجيه أهل الخير لتشكيل مؤسسات لتزويج العزاب وكان في إيران العديد من هذه المؤسسات وكان لها دور بالغ في مساعدة الناس وكذلك في بلاد أخرى مثلاً في المملكة العربية السعودية سمعنا عن مؤسسات لرعاية

الزواج الجماعي أسست بتوجيه من سماعته، كذلك لسماحة السيد الشيرازي دور مهم وأساسي في تشكيل لجان دعم المنتفضين من الشعب العراقي ضد النظام الجائر الحاكم. وقامت هذه اللجان بدور إيجابي جداً كبير في تقديم المعونات والمساعدات الممكنة لهؤلاء المنتفضين والمهاجرين والمهجرين.

وكانت منهجية سماحة السيد الشيرازي هو عدم النظر للمنهج السياسي أو التوجه المذهبي للجهات التي يدعمها فقد شملت رعاية سماعته الجهات غير المرتبطة به سواء مرجعياً أو سياسياً بل أكثر من ذلك كان لسماحته التوجه المهم حتى على صعيد خدمة الأخوة من السنة، مثلاً في الانتفاضة في كردستان تأسست لجنة لتقديم والمساعدات للشعب الكردي المنكوب أيام الانتفاضة وكنت أنا شخصياً من المؤسسين لهذه اللجنة وبتوجيهات من سماحة السيد.

فكانت اهتماماته تحمل آفاقاً بعيدة ولا تتحدد بالتوجه السياسي والمذهبي وبالتوجهات الضيقة التي ترى عند البعض.

فيؤكد سماعته بأن حل مشكلات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية كفيل بفسح المجال للمجتمع للتوجه إلى القضايا الأساسية سواء السياسية أو الثقافية التي يعاني منها المجتمع.

س: (شيخنا الجليل الشيخ جمال الوكيل) هل يمكن لكم أن تبينوا لنا وظائف المرجع تجاه الأمة والالتزامات المرجعية تجاه قطاعات الأمة جميعاً؟

ج: المرجعية كما هو واضح أهم مركز حساس وقيادي لذلك أعتقد أن الأسس القوية التي تبنى الأمة عليها تقع على مسؤولية المرجعية.

ولأن المرجعية هي أقوى مركز قيادي يتخذ القرارات للطائفة لذلك أعتقد أن مسؤولياتها تصبح من المسؤوليات الكبيرة والهامة فما عاد دور المرجع ينحصر في أن يتسلم الحقوق الشرعية من الناس أو الوكلاء وما عاد دور المرجع يقتصر على الإجابة على استفتاءات الناس في القضايا الشرعية، إنما اليوم نعيش كطائفة شيعية حالة تختلف تماماً عما كانت عليه الشيعة قبل أعوام.

أصبح للشريعة اليوم دور مهم وبارز وواضح جداً في التأثير على القرار السياسي العالمي وأعتقد أن الذي يمكن أن يرفع هذه المهمة الصعبة ويديرها هو الذي لا يخضع لتوجهات قومية أو سياسية وهو المرجع الديني.

والأحزاب هي البدائل السياسية المطروحة في العالم اليوم لتتولى إدارة الأمة في كل بلد من بلدان العالم. مع أن المرجع هو الذي يتمكن من ذلك سواء على الصعيد السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي أو الاقتصادي وكما يلاحظ أن الطائفة الشيعية أصبحت اليوم القدرة الثالثة في العالم لما تملكه من إمكانيات اقتصادية وهذه الإمكانيات لا يمكن توجيهها والاستفادة منها إلا من قبل المرجع الديني الكفاء.

فنحن نرى أن السياسة العالمية والصراعات الموجودة اليوم في العالم تحاول بصورة متعددة ومختلفة أن تبتلع قدرة الطائفة الشيعية وتمتصها لتستفيد منها في ضرب الطائفة. واليوم نرى العالم يدار من قبل أجهزة مخابرات ومؤسسات لها قدرات كبيرة في إدارة الصراعات.

واليوم نرى أن المؤسسات بدأت تغزو العالم ليكون لها الدور المهم والبارز في دعم المجتمع سواء سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً أو ثقافياً. وال مرجع هو الوحيد القادر على توجيه طاقات الأمة في بناء تلك المؤسسات وبالمستوى المطلوب.

أتصور أن مهام المرجعية أصبحت مهام كثيرة ونحن لم نتطرق في هذا الحديث إلا للقليل منها وهناك مسؤوليات كبيرة جداً تقع على عاتق المرجعية وما لم تتحملها المرجعية يكون لذلك التأثير السلبي على مستقبل الأمة.

س: ما هي الصفات التي يجب أن تتوفر في المرجعية غير الصفات التي تذكر عادة في كتب الفقه كالعدالة والتقوى.. الخ؟

ج: في الواقع لا بد من وجود صفة التصدي لهموم الأمة، وكذا القدرة على الإدارة في المرجع وتحمل المسؤوليات الإسلامية ونحن نرى أن هذه الروح تتجلى في سماحة السيد الشيرازي.

فلسماحته نظريات متعددة وكثيرة لحل مشاكل الأمة ولو نزلت إلى حيز التطبيق لتمكنت من الأخذ بالأمة إلى ساحل الأمان ولحل قسم كبير من مشاكل ومعاناة هذه الأمة. ومن هذه النظريات:

تأكيد سماحة السيد على ضرورة تأسيس الحركات الإسلامية العاملة في كل بقاع العالم. لأننا اليوم نشاهد ونلمس بوضوح أن العالم يحاول أن يخترق الطائفة عبر حركات سياسية علمانية وقومية وبأشكال مختلفة ليدخل فيها ويمزقها.

وكما شاهدنا كيف تمكن الاستعمار من إيجاد حزب عميل له في العراق بلد المقدسات ليتمكن عبر هذا الحزب من تحطيم مقومات الأمة وهدر إمكاناتها فلو كانت الأمة واعية وتبنت نظرية سماحة السيد في تأسيس الحركات الإسلامية منذ زمن بعيد وإدخال الشباب في هذه الحركات لما تمكن الاستعمار من أن يدخل إلى العراق ويقود العراق بهذه الصورة المفجعة وإلى هذه النتيجة المأساوية.

ومن نظرياته: ضرورة التأكيد على إيجاد تعددية سياسية في الدول التي نعيش فيها ونحاول عبر التعددية السياسية دفع الأنظمة الديكتاتورية وتضعيف هذه الأنظمة وفسح المجال لكل الفئات لتقول رأيها ولتبرز الكفاءات الموجودة فيها لتتمكن من أن تؤدي الدور المطلوب.

وله نظريات كثيرة أخرى لا يسعنا المجال للتطرق لها في هذا اللقاء المختصر وفي هذه الفترة الوجيزة منها نظرية شوري المراجع التي تعتبر هي النظرية الأم لحل مشاكل الأمة.

أنا أعتقد أننا لو تمكنا في يوم من الأيام من إيجاد شوري فإن كثيراً من المشاكل سيكون لها حل واضح وبسيط جداً.

هذه إحدى المميزات التي تجعل من سماحة السيد الشيرازي مؤهلاً للمرجعية. من العوامل الأخرى التي تجعله مؤهلاً للمرجعية مسألة التجربة، فنحن حينما ننتخب رئيس الجمهورية أو نائباً للمجلس أو مديراً لإدارة مؤسسة معينة، فإن أحد الأمور التي نتفحص عنها تجربة ذلك الشخص في المهمة التي نريد أن يتحملها، لسماحة السيد تجربة

في إدارة المرجعية أكثر من ثلاثين عاماً كان لسماحته النجاح الواضح في تطوير هذه المرجعية وفي إدارة الأمة من كل الجوانب المطلوبة.

لذلك فتجربة سماحة السيد في إدارة المرجعية دور مهم ومؤثر في إنجاح مرجعيته المستقبلية وسبب يؤخذ بنظر الاعتبار ويساعد ويرجح كفة سماحته لأن يكون مرجعاً للطائفة.

وهناك مرجحات أخرى هي العلمية التي يمتلكها سماحة السيد في الفقه والأصول والعلوم الدينية، والألمية التي يمتاز بها في الأمور الحياتية فأصبحت اليوم مداخلات السياسة والاقتصاد والاجتماع في أمر الفقه من المسائل الحياتية للإنسان.

فسماحة السيد مشهور ومعروف في قدرته العلمية في شؤون الحياة بالإضافة للأمور الفقهية والأصولية كذلك هناك مرجحات أخرى لأهلية سماحته للمرجعية وهي القدرة على إنهاء الأمة وجعلها في مستوى لائق من الكفاءة المطلوبة ومن ينظر يرى أن لمن يرتبط بسماحته خصوصيات في التوجه الثقافي والتوجه السياسي والتوجه الاجتماعي وحمل الرؤى الحقيقية التي تخدم المجتمع.

س: في جوابكم على السؤال تطرقتم حول وجود منهج عملي لسماحة السيد المرجع في حل مشاكل الأمة والتصدي لها فلو أقيمت بعض الضوء عليه؟

ج: سماحة السيد الشيرازي يعتقد أن هناك مناهج مهمة يتمكن المجتمع من خلالها من تجاوز الكثير من المشاكل التي يمر بها فلقد سار سماحته على هذا المنهج منذ أكثر من ثلاثين عاماً، له منهج على الصعيد الثقافي.

يرى سماحته من خلال هذا المنهج ضرورة إيجاد وعي ثقافي لهذه الأمة والوعي الثقافي هو الذي يمنح الأمة القدرة على تجاوز الكثير من المشاكل التي تعانيها فكان لسماحته برنامج في تأسيس دور النشر والمؤسسات الثقافية التي تهتم بطباعة الكتب والمجلات الثقافية وذلك منذ اليوم الأول لتصديه المرجعية حتى هذا اليوم ومن يراقب حياة سماحة السيد خلال الفترة الماضية يرى هذا التوجه بوضوح، حيث كان لسماحته عشرات من المجالات الثقافية في العراق يوم كان يعيش في كربلاء، ثم انتقل للكوييت وأوجد نهضة ثقافية في الكوييت، كذلك قام بإيجاد مراكز ثقافة وتوجيه بعض الأخوة لتأسيس دور نشر

لأن مهمات هذه الدور هي إيصال الكتاب إلى المجتمع ونرى ذلك واضحاً كذلك بعد انتقاله إلى الجمهورية الإسلامية في إيران حيث ساهم وشجع على تأسيس العشرات من المؤسسات الثقافية بل يمتاز السيد بتأسيسه لكثير من المراكز الثقافية في مختلف بقاع العالم.

فهذا منهج من المناهج التي يتبناها سماحة السيد لحل مشاكل الأمة. المنهج الثاني هو إيجاد المؤسسات المختلفة في كل أنحاء العالم، وفي كل منطقة تتواجد فيها الطائفة.

وهذه المؤسسات تتمكن من جمع إمكانات الطائفة وتقديم الخدمات سواء الثقافية والاجتماعية أو السياسية وربط أبناء الطائفة في كل مكان بهذه المؤسسات. ومن الأفكار التي يتبناها سماحة السيد هي أن الطائفة يجب أن ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالقضية الحسينية لذلك كان لسماحته التوجه الواضح في تأسيس الحسينيات في مختلف بقاع الأرض لتضم هذه الحسينيات المؤمنين أينما حلوا ولتمنحهم ما يحتاجون من غذاء ثقافي وسياسي وإمكانات لحل مشاكلهم.

س: سؤال أخير حول علاقة السيد المرجع مع العلماء ونظرته لهم على اختلاف توجهاتهم؟

ج: رغم أن سماحة السيد يتبنى نظريات سياسية وله رؤى حياتية خاصة لكنه امتاز بأنه لا يقيد علاقته مع العلماء والشخصيات العلمية من خلال هذه النظرة.

فهو يرعى العلماء سواء أصحاب الرؤى التقليدية أو العلماء الذين يحملون رؤى ثورية أو العلماء من الطبقة الوسطى المحافظة فهو الذي يحترم الجميع رغم أنه يؤمن بأفكار معينة لكن هذه الأفكار لا تقف أمام احترام العلماء الآخرين الذين يحملون أفكاراً لا تتسجم مع أفكاره لذلك ترى أن دار سماحة السيد هي محط لرحال كافة العلماء بكل توجهاتهم السياسية والثقافية سواء كان هو موالياً للفكر السياسي لسماحته أو من كان مخالفاً له.

بل إننا نشاهد أن المخالف للفكر السياسي لسماحة السيد الشيرازي يفتح له السيد صدره ليشمله برعايته وذلك ليتمكن من توجيه جهود كل العلماء نحو القضايا المشتركة المتفق عليها وسماحة السيد لا ينظر إلى ما يختلف فيه مع الآخرين بل ينظر إلى ما يتفق فيه مع

الآخرين لذلك يتحرك مع الجميع عبر هذه النقطة وعبر هذا التوجه لذلك هو يتفق مع الجميع ولو بمقدار قليل ومن خلال هذا المقدار تكون له علاقات مع الجميع. ولا يعكس سماحة السيد توجهاته السياسية والثقافية على علاقته مع العلماء فهو يرعاهم بكل توجهاتهم السياسية والثقافية، ويشهد له الجميع بأخلاقه العالية التي تمكن بها من الدخول إلى قلوب الجميع. نشكر سماحة الشيخ على هذا اللقاء ونتمنى له ولجميع المؤمنين العاملين التوفيق.

كلمات مضيئة

الديمقراطية

إن الديمقراطية (الاستشارية) أفضل أساليب الحكم لأنها تهيئ الجو الكامل للحرية وفي جو الحرية تظهر الكرامة الإنسانية من جانب والكفاءة الإنسانية من جانب آخر فتنمو الملكات وتبرز العبقريات ويعمل النقد البريء على إظهار عيوب الاستتباطات — ومؤاخذة التطبيقات للقوانين —. فقه السياسة ص 58.

القوة والحقيقة

(هناك تنازع دائم بين القوة وبين الحقيقة فالقوة تريد تزيف الحقيقة واستخدامها في سبيل مآربها كما يفعله الديكتاتوريين غالباً بينما الحقيقة تريد استخدام القوة وترويضها لصالح الإنسانية كما يفعله الأكفاء الاستشاريون والغلب أخيراً للثاني وإن كان الأول قد يجول في الساحة لمدة من الزمن ولذا ورد للحق دولة وللباطل جولة). فقه السياسة ص 63.

الحرية الصحيحة

(والحرية الصحيحة) (الاستقلال) في الأمة بحاجة إلى إطارات وضوابط وإلاّ انقلبت الحرية إلى فوضى أو عبودية فإن الحرية هي الحد الفاصل بين أمرين وطرفاها الإفراط والتفريط والضوابط والإطارات نفسية وخارجية فالإنسان يجب أن يبني نفسه على الضوابط من الشورى والوفاء بالوعد والاستقامة والإتقان والتعاون وما أشبه وإلا أخذت الأنانية والأثرة مكان كل ذلك).

فقه السياسة ص73.

القومية والإنسانية

(القومية في الحكم تقابل الإنسانية - بكل معنى الكلمة — لأن القومية ترى تقدم القوم ولا تعتني بالكفاءة بينما الإنسانية لا تقدم إلا الكفاءة ولذا كانت القومية — حتى في الفرد — نوعاً من القوقعة والانغلاق والانحطاط إلى الأسوأ).

فقه السياسة ص78.

تنظيم الحياة الاقتصادية للناس

والدولة مكلفة بتنظيم اقتصاد الناس بحيث يكون لكل فرد الرفاه بما للرفاه من شمول في المعنى — وقد ذهبت المذاهب الاقتصادية إلى أنواع خاصة من تنظيم الاقتصاد لكن كلها أبدى فشله حيث لم يعالج أي منها مشكلة التأخر الاقتصادي بالنسبة إلى أغلبية الأمة...).

فقه السياسة

أهداف الدولة الإسلامية

(إرجاع الأمة الواحدة، إرجاع أحكام الله تعالى إلى الأمة حفظ الأمة من الانهيار.. إنماء الأمة في مختلف الميادين توسيع الأمة كما فعله الإسلام بزيادة المسلمين بسبب التبليغ والخدمة..).

الدولة الإسلامية من ص9 إلى ص22.

الشورى

إنه لا وجه للفردية بعد جعل الشارع عدة مراجع...)
(وإني أرى أنه لا يمر على العالم زمان طويل إلا ويأتي وقت يجعل فيه الحكم استشارياً
بجعل الرئاسة في أفراد متعددين لا برئاسة فرد واحد...).

السياسة

(ومن الأمور المهمة للتيار الإسلامي ثم الدولة الإسلامية فهم السياسة فهماً كاملاً ثم
الترصد لتكميل النواقص والحقوق دون التحركات المضادة والتيارات الوافدة من الشرق
والغرب).
الدولة الإسلامية ص233.

الحركات وضبط النفس

(ومن الضروري على أفراد الحركات أن يربوا أنفسهم على ضبط النفس بمختلف أنواع
الضبط في كافة الأبعاد فإن من لا يقدر على ضبط نفسه هو على عدم القدرة على ضبط
الغير أعجز)
الدولة الإسلامية ص238

الشباب

(من أهم ما يلزم على الدولة الإسلامية والتيار الإسلامي قبل قيام الدولة الاهتمام بالشباب
فإنهم على ما ذكره بعض علماء الاجتماع ثلث المجتمع غالباً ونشاطهم أكثر من الثلث
لحيويتهم واندفاعهم المتزايد بينما ليس للإنسان تلك الحالة قبل سن الشباب ولا بعده، وهم
من العاشرة تقريباً إلى فوق الثلاثين بل إلى سن ما يقارب الأربعين وترك هؤلاء يؤدي
إلى الكوارث المتعددة..)
الدولة الإسلامية ص89

المرأة

(من اللازم مراعاة حال المرأة فإنها نصف المجتمع نصفاً عرفياً لا نصفاً هندسياً إذ الأغلب زيادة المرأة على الرجل كما دل على ذلك بعض الإحصاءات وقد خصص القرآن الكريم والسنة المطهرة آيات وروايات حول المرأة واهتم الإسلام بها كما اهتم بالرجل).

العمال

(اللازم على الحكومة أو النقابة أو أرباب العمل أو الجمعيات الخيرية الاهتمام ببناء المساكن للعمال وتزويجهم ذكوراً وإناثاً وإعطائهم كل حاجاتهم الناقصة وذلك ممكن حسب العقد والشرط أو توفر بيت المال).

الدولة الإسلامية ص 41/145 م 61

القرآن

(لا شك أن أول أساس بنيت عليه الحضارة الإسلامية التي أنقذت العالم من الويلات ورفعته إلى التقدم الهائل في أبعاد الحياة هو القرآن ولذا فمن الضروري إذا أردنا إعادة الحضارة الإسلامية أن ننبنيها على القرآن مرة ثانية).

الصياغة الجديدة ص 214

الأمل

(ومن فلسفة التأخر رؤية الحياة سوداء فالإزم أن لا ينطوي المرء على روح اليأس ويزعم بأن المستقبل مظلم، إن المستقبل رهين العمل واللاعمل فإن عمل كان مضيئاً وإلا كان مظلماً).

الدولة الإسلامية ص 186

بعد النظر

(على ممارسي التغيير التسلح بالرؤية البعيدة حتى يتمكنوا من تمييز الصالح من الطالح والصحيح من الفاسد وما يوصل عما لا يوصل، والإنسان إذا علم ملابسات المستقبل لا تهزه الصدمة وتوجب انسحابه من الساحة.
ممارسة التغيير ص82

تحمل الصعاب

(فإن تحمل الصعاب يسجل للإنسان التاريخ المشرق ويدفع الأجيال إلى الأمام).
ممارسة التغيير

التعاون

(إن التعاون بين قطاعات الأمة بمستوى علماء الدين والخطباء والتجار والعمال والمهندسين والأطباء والطلبة الجامعيين والحوزيين والفلاحين وغيرهم واجب ضروري يجب أن نزرعه في أنفسنا فإن التعاون بين هذه القطاعات سيؤدي شيئاً فشيئاً إلى نتائج مثمرة بعد مدة من الزمن).
الصياغة الجديدة ص724

الدبلوماسية الإسلامية

(عبارة عن اللين والمرونة واتباع الطرق السلمية لحل المشاكل والخلافات والمنازعات الداخلية والخارجية وتوخي العدالة الكاملة بين أفراد الأمة كما يلزم العدالة بين أفراد الأمة وغيرها من الدول أو الأفراد الخارجين عن الإسلام والتوفيق بين حقوق جميع الدول في مصالحها المتباينة دون أن يسعى التيار أو الدولة للحصول على مغانم غير مشروعة بل هي توافق العقل والمنطق...).
الدولة الإسلامية ص268

الاستبداد

(وهو من أكبر مشاكل الإنسان ومعوقاته عن التقدم وهو مزيج من الأنانية والكبر والتكبر والغرور والجهل والاستعلاء وأشباهها من الصفات الذميمة.. ومن الغريب أن كثيراً من حكام بلاد الإسلام ابتلوا بهذه الصفة فهلكوا وأهلكوا).
الدولة ص 189، ص 190

الدعوة والتبليغ

(فإن لكل فرد الحق في أن يشارك في الحياة الاجتماعية دينياً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً وتربوياً وغيرها سواء بمفرده أو مع جماعة آخرين وأن ينشئ المؤسسات ويصطنع من الوسائل ما هو ضروري لممارسة هذا الحق).
الدولة الإسلامية ص 284

الملكية الفردية والعامة

(الملكية الفردية مشروعة في الإسلام ولكل إنسان أن يفتني ما اكتسبه بجهده وعمله كما أن الملكية العامة أيضاً مشروعة وتوظف لمصلحة الأمة بأسرها).
الدولة الإسلامية ص 285

الأقليات في الدولة الإسلامية

(لا يحق لمسلم أن يضطهد غير المسلم من اليهود والنصارى أو المجوس أو غيرهم فإن الأصل في الشريعة الإسلامية (لا إكراه في الدين) على الشروط المذكورة في الفقه).
الدولة الإسلامية ص 281

الوصول إلى الحكم

(إن كل من يصل إلى الحكم بلا استفتاء حر من الشعب وبلا شورى منهم ولا انتخاب فهو باطل وليس من الإسلام في شيء سواء كان وصوله إلى الحكم بسبب العشيرة والقبيلة أو بسبب الملكية الوراثية أو بسبب الانقلاب العسكري أو بغير ذلك..).

ممارسة التغيير ص39

الوحدة الإسلامية

(الوحدة الإسلامية كشعار وكبديل لعواطف غير نابعة من القلب أمر سهل أمّا إلbasها لباس الواقع المباشر فهو بحاجة إلى طرح متكامل يلف الأمة والدولة من ناحية ومختلف الاتجاهات التقليدية والمراجع والعلماء من ناحية ثانية).

ممارسة التغيير ص99

الإعداد للثورة

(إن انتصار أية ثورة في التاريخ وانتصار أي مبدأ في الحياة لا يمكن أن يأتي لشعب على طبق من ذهب، إن في الثورة تضحيات وقبل التضحيات هناك العمل الطويل الشاق فالثورة من بدايتها إلى نهايتها عمل متواصل من أجل بلوغ الهدف).

الصياغة الجديدة ص716

(يجب أن نعبأ طاقاتنا الفكرية وقدراتنا المادية وأن ننخرط في التنظيمات الإسلامية التي تبلور عملنا وجهودنا وتصبها في مجاريها السليمة تحت قيادة مراجع الأمة).

الصياغة الجديدة ص723

الغرب

(إن الغرب يزعم أنه عالم حر إلا أن الحرية عندهم في الواقع ثوب مهلهل على جسد الديكتاتورية).

الصياغة الجديدة ص105

الاقتراب إلى السلطان (الحكومة الظالمة)

(الحكومات في بلاد الإسلام مبعوضة من شعوبها أشد البغض إذ أنهم يرون أنها عميلة وأنها لا تعمل بالإسلام وأنها تهدر الحقوق والكرامات وتسحق القيم والموازين ولهذا إذا

رأوا شخصاً أو منظمة أو جماعة أو هيئة أو جماعة أو حزباً يقترب من الحكومة يجتنبونه فلا يمكن لهؤلاء تحريك الجماهير لإقامة حكم الإسلام ولو كانوا مخلصين حقيقة لأهدافهم).

الصياغة الجديدة ص 653

بناء المؤسسات في الأمة

إعداد مركز الدراسات والبحوث

لقد رأى سماحة الإمام الشيرازي أهمية كبرى في ضرورة تأسيس المؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية في الأمة لما لها من أثر حسن وإيجابي كبير في بث الوعي الديني والثقافي واحتواء الطاقات الشابة ضمن أطر صالحة تفجر طاقاتها وتوجهها نحو الأهداف العليا التي تتطلع إليها الأمة.

ولهذا وجدناه يعطي الأولوية لهذه المسألة الهامة بصورة دائمة حيث تواجد وأقام بل وأخذ يحرض أتباعه ومقلديه على تأسيس المؤسسات وفتح المشاريع المختلفة شعوراً منه بالدور الحضاري الهام الذي تقوم به المؤسسات في توعية الأمة لتحقيق أهدافها.

وهذه القائمة بأسماء مشاريع سماحة المرجع شيء بسيط من مجمل ما أسسه وما يدعو إليه ويتطلع إليه.

أولاً: تأسيس المؤسسات الدينية والثقافية والاجتماعية في (العراق).

1 — مدارس حفاظ القرآن الكريم. وقد بلغ الدارسون فيها قرابة ثلاثة آلاف طالب وطالبة وكانت ست مدارس ثلاث للبنين وثلاث للبنات.

2 — دار القرآن الكريم. لنشر وبيع الكتب الإسلامية في مختلف المدن العراقية حيث وصلت فروعها إلى السبعين فرعاً.

3 — مكتبات عامة للمطالعة. بلغ عددها أربعين مكتبة في المساجد والمدن والقرى.

4 — إصدار المجلات الإسلامية. ولأهمية الإعلام بادر سماحة المرجع الشيرازي وبالتعاون مع جمع من العلماء والمفكرين والطلاب بإصدار مجموعة من المجلات منها:

- 1 - الأخلاق والآداب.
- 2 - القرآن يهدي.
- 3 - نداء الإسلام.
- 4 - صوت المبلغين.
- 5 - أعلام الشيعة.
- 6 - مبادئ الإسلام (باللغة الانكليزية).
- 7 - ذكريات المعصومين.
- 8 - صوت العترة.
- 9 - أجوبة.
- 10 - منابع الثقافة الإسلامية.
- 5 - لجان لترميم المساجد والمدارس الدينية.
- 6 - مستوصف القرآن الحكيم.
- 7 - لجنة تزويج العزاب.
- 8 - النادي الإسلامي.
- 9 - هيئة إرسال المبلغين إلى الخارج.
- 10 - هيئة شباب التبليغ. وكانت هذه الهيئة تحت إشراف الشباب الجامعي ومهمتها تأسيس المجالس الدينية وطبع الكتب وإرشاد الشباب دينياً.
- 11 - هيئة التبليغ السيار (1-2). وهي هيئتان واحدة مختصة بكربلاء والثانية تجول في مختلف المدن العراقية.
- 12 - مكتب التوجيه الديني. مكتب خاص يقوم بالتوجيه الديني عن طريق إلقاء المحاضرات اليومية بشكل مستمر صباحاً وعصراً ومساءً.
- 13 - مكتب الدعاية الإسلامية. وهدفه الإعلان السريع عن المناسبات الدينية وإحيائها بشكل منظم ومفيد. بالإضافة إلى نشر الكراريس واللافتات المكتوب عليها الآيات والأحاديث والأفكار الإسلامية.

- 14 - الحلقات الدينية. وهي هيئة وظيفتها تشكيل الحلقات الدينية وتنظيم الرحلات والبرامج الدينية المفيدة.
- 15 - تأسيس حوالي (200) هيئة في المساجد لتعليم الشؤون الدينية.
- 16 - (لجنة التشغيل). ووظيفتها إيجاد الأعمال المناسبة للعاطلين عن العمل.
- 17 - تشكيل مجلس للعلماء يضم سماعته وعلماء آخرين لأجل الاستشارة حول شؤون الإسلام والمسلمين.
- 18 - تأسيس مطبعة القرآن الحكيم.
- 19 - تأسيس بعض الهيئات الدينية.
- 20 - تأسيس هيئة حسينية للبنانيين.
- 21 - تكوين فرقة التمثيل الإسلامي.
- 22 - هيئة خدام المساجد.
- 23 - فتح المدرسة الصناعية.
- 24 - الاشتراك في تأسيس مطبعة أهل البيت (عليهم السلام).
- 25 - لجنة تأليف الكتب.
- 26 - إيجاد مجالس الوعظ الدورية.
- 27 - الندوات التثقيفية.
- 28 - الدورات الدينية في العطل المدرسية.
- 29 - طباعة الكتب وقد طبع السيد بمساعدة تلامذته في موكب الإمام الحسين (عليه السلام) مائة ألف كتاب.
- 30 - تأسيس حسينية كبيرة في سامراء.
- 31 - التشجيع على بناء الحسينيات حتى بنيت أكثر من عشرين حسينية على أثر ذلك.
- 32 - تأسيس صناديق قرض الحسنة للإقراض الخيري.
- 33 - تكوين لجنة مختصة بإطعام الزائرين في يوم عاشوراء.
- 34 - إلقاء المحاضرات.

فلقد كان لسماحة المرجع ثلاث محاضرات أسبوعياً وذلك في يوم الجمعة حيث تلقى على الطلبة الجامعيين، وليلة الأربعاء وتكون مختصة بالتجار والناس ويوم الخميس حيث تلقى على الفضلاء والخطباء والعلماء.

ولغرض مواصلة المسيرة الصعبة لمجموع هذه المؤسسات للسيطرة على الصعاب والعقبات السياسية والاقتصادية التي تواجهها تأسست لجنة أطلق عليها دار تنشيط المشاريع الإسلامية لتزود المؤسسات بوقود الاستمرار مادياً ومعنوياً كلما تعثرت أو واجهت المصاعب والمتاعب.

ثانياً المؤسسات العلمية والدينية والاجتماعية(في الكويت).

1 - الحوزة العلمية. وسميت بمدرسة الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) مكونة من 60 غرفة وكانت تضم حوالي(150 طالباً) من مختلف المناطق.

2 - تأسيس حسينية للرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم).

3 - تفسير القرآن الكريم. فقد كان السيد يفسر القرآن ليلياً لعموم الناس بأسلوب شيق ومبسط.

4 - إشاعة الجو الديني في الكويت. من خلال مختلف النشاطات الدينية والثقافية.

5 - تأسيس مكتبة الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم). وهي تحتوي على ثلاثين ألف كتاب تقريباً ويحكمها نظام مكتبي ممتاز.

6 - تأسيس ديوانية.

وهي تقع بجوار المسجد الذي يصلي فيه سماحة السيد. وهي المحل الذي يلقي فيه سماحته درس التفسير.

7 - تجديد بناء ثلاثة مساجد خربة.

8 - إصدار خمس مجلات وهي:

1 - الإيمان: لعامة الناس.

2 - الإسلام والحياة: للشباب.

3 - الفتاة التقدمية: للفتيات.

- 4 - الهداية.
- 5 - الجهاد. بالإضافة إلى ثلاث نشرات حائطية كانت تصدر في المساجد.
- 9 - تأسيس حوالي مائتي مكتبة في البيوت بتحريض أصحاب البيوت لتأسيسها.
- 10 - الحث على إقامة المجالس الحسينية حتى في البيوت وعلى أثر ذلك بلغت المجالس الحسينية حوالي مائة مجلس في البيوت والحسينيات.
- 11 - تأسيس مكتبتين خاصتين بحث من سماحة السيد.
- 12 - تأسيس لجنة تزويج العزاب.
- 13 - طبع حوالي (60) كتاباً منها كتاب المراجعات في أكثر من مائة ألف نسخة في طبعات متعددة والاستفادة منه داخل الكويت وخارجها.
- 14 - تشكيل مجلس حسيني هام في جامعة الكويت.
- 15 - بث مجلس حسيني في (الراديو والتلفزيون) يوم عاشوراء.
- 16 - تأسيس مسجد وحسينية الجهراء.
- 17 - تأسيس مؤسسات في سائر دول الخليج.
- 18 - كما كان يلقي سماحته كل أسبوع خطباً يوم الجمعة بعد الصلاة ومحاضرة بالطلاب والفضلاء في مدرسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في عصر كل يوم خميس.
- 19 - تعيين أئمة الجماعة للمساجد والحسينيات ومنهم أخوه آية الله السيد صادق الشيرازي وآية الله السيد مرتضى القزويني.
- 20 - تأسيس رابطة لنشر الكتب الإسلامية في مختلف أنحاء العالم وكان مديرها سماحة آية الله السيد كاظم القزويني.
- 21 - تأسيس لجنة التأليف لغرض تربية الشباب المثقف على التأليف ونشر العلم بالقلم.
- 22 - تأسيس لجنة الإقراض الخيري مضافاً إلى الصناديق الخيرية التي كانت تهدف إلى جمع التبرعات من الأخيار وإدارة المهرجانات والنشاطات والمشاريع الإسلامية.
- 23 - إنشاء الدورات الدينية في العطلة. وكانت تشمل هذه الدورات كل المستويات من المرحلة الابتدائية والمتوسطة حتى الجامعيين والمعلمين.

24 - مشروع الطباعة.

أسس لغرض طبع الكتب الإسلامية وقد تم طباعة أكثر من خمسين كتاباً خلال سنة واحدة.

25 - إقامة الندوات التثقيفية التي كانت تقام ليلياً وتستمر أحياناً (3-6) ساعات.

هذا بالإضافة لسائر نشاطات سماحة السيد المرجع كالعلاقات مع الجاليات غير الإسلامية والإسلامية غير الشيعية لغرض إرشادها إلى الدين الإسلامي وتوعيتها دينياً. بالإضافة إلى نشاطاته المكثفة في الخليج حيث كانت مدرسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في الكويت معهداً كبيراً لتخريج الأجيال المؤمنة سواء أكان في مجال الخطابة أو مجال الكتابة أو تخريج رجال الدين الذين كانت تفتقد لهم الساحة آنذاك.

ثالثاً: المؤسسات العلمية والدينية والثقافية (في إيران).**المدارس:**

- 1 - مدرسة الرسول الأعظم قم.
- 2 - مدرسة الشهيد حسن الشيرازي قم.
- 3 - مدرسة الإمام المهدي المنتظر قم.
- 4 - مدرسة الإمام الهادي (عليه السلام) قم.
- 5 - مدرسة الباقر (عليه السلام) قم.
- 6 - مدرسة الإمام الحسين قم.
- 7 - مدرسة الزهراء (عليه السلام) (للنساء) قم.
- 8 - مدرسة الإمام الرضا (عليه السلام) مشهد.

المكتبات:

- 9 - مكتبة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام للمطالعة قم.
- 10 - مكتبة آل الرسول (عليه السلام) قم.
- 11 - مكتبة الإيمان للبيع والنشر قم.
- 12 - دار الهدى للبيع والنشر قم.

13 — مؤسسة الفكر الإسلامي قم.

14 — مكتبة دار الحسين (عليه السلام) يزد.

15 — مكتبة الزهراء عليها السلام للمطالعة قم.

المساجد:

16 — مسجد الإمام الحسين عليه السلام قم.

17 — مسجد الإمام زين العابدين (عليه السلام) قم.

18 — مسجد الإمام الرضا (عليه السلام) قم.

19 — مسجد الإمام الحسن (عليه السلام) قم.

20 — مسجد السيدة معصومة (عليه السلام) قم.

21 — مسجد الزهراء (عليه السلام) مشهد.

صناديق الإقراض الخيري للمحتاجين:

22 — صندوق سيد الشهداء (عليه السلام) للإقراض الخيري في طهران.

23 — صندوق سيد الشهداء (عليه السلام) للإقراض الخيري في أصفهان.

24 — صندوق سيد الشهداء (عليه السلام) للإقراض الخيري في تبريز.

25 — صندوق سيد الشهداء (عليه السلام) للإقراض الخيري في رهبان أصفهان.

26 — صندوق سيد الشهداء (عليه السلام) للإقراض الخيري في مشهد.

27 — صندوق سيد الشهداء (عليه السلام) للإقراض الخيري في قرجك ورامين.

28 — صندوق سيد الشهداء (عليه السلام) للإقراض الخيري في آدریان أصفهان.

29 — صندوق سيد الشهداء (عليه السلام) للإقراض الخيري في يزد.

30 — صندوق سيد الشهداء (عليه السلام) للإقراض الخيري في قم.

31 — صندوق سيد الشهداء (عليه السلام) للإقراض الخيري في كهك قم.

32 — صندوق سيد الشهداء (عليه السلام) للإقراض الخيري في مشهد.

الحسينيات في أصفهان:

33 — حسينية في أصفهان.

34 — حسينية (الفاطميون) في دهنو أصفهان.

- 35 — حسينية سيد الشهداء (عليه السلام) في رهنان أصفهان.
 - 36 — حسينية سيد الشهداء (عليه السلام) في دره بياز أصفهان.
 - 37 — حسينية قمر بني هاشم (عليه السلام) في آدریان أصفهان.
 - 38 — حسينية في يزرد.
 - 39 — حسينية في شهر ري.
 - 40 — حسينية في أهواز.
 - 41 — حسينية في شیراز.
 - 42 — حسينية في مشهد.
 - 43 — حسينية في قزوین.
 - 44 — حسينية في طهران.
 - 45 — حسينية أخرى في مشهد.
 - 46 — حسينية أخرى في مشهد.
 - 47 — حسينية سيد الشهداء (عليه السلام) في كاشان.
 - 48 — حسينية دار الحسين (عليه السلام) في قم.
 - 49 — حسينية سيد الشهداء في قم.
 - 50 — الحسينية الزينية (عليها السلام) في قم.
 - 51 — حسينية في قرجك ورامین.
 - 52 — الحسينية الزينية (عليها السلام) في قم.
 - 53 — حسينية في دولت آباد طهران.
 - 54 — حسينية في ملك شهر أصفهان.
 - 55 — مستوصف سيد الشهداء (عليه السلام) في طهران.
 - 56 — مؤسسة سيد الشهداء (عليه السلام) للزواج في طهران.
- وعدة من الهيئات للوعظ والإرشاد والعزاء الحسيني السيّار في المنازل.

رابعاً: فتح المراكز الإسلامية في العالم:

ولم تتوقف خدمات السيد وجهاده الموصول بالمسؤوليات الجسام عند إيران بل امتدت إشعاعاته إلى الدول الإسلامية الأخرى فقام بتأسيس:

1 - الحوزة العلمية في سوريا وقد أسس وكلاؤه ومقلدوه بإرشاده وتشجيعه أكثر من عشرة مساجد وحسينيات ودور نشر ومدارس في السيدة زينب — دمشق وتضم الحوزة العلمية الزينية حالياً (أكثر من 250 رجل دين وعالم من عشر دول بينهم أساتذة الخارج والعديد من مدرسي السطوح العليا وقد ألف الكثير منهم العديد من الكتب ومنها) دروس في شرح الرسائل لآية الله المحمدي وغير ذلك.

2 - الحوزة العلمية في إفريقيا.

3 - الحوزة العلمية في لبنان وإلى جانبها أسس وتلامذته ومقلدوه بتشجيعه 12 دار نشر وحسينية...

4 - بالإضافة إلى فتح مراكز إسلامية في بريطانيا وأمريكا ويبلغ عدد المراكز الإسلامية في أمريكا وحدها 12 مركزاً إسلامياً وهي تصدر عدة مجلات دينية وعمل هذه المراكز لا يقتصر على الأخوة المسلمين بل حتى الأوروبيون والأمريكان بل إن كثيراً من الصينيين والأمريكان الزنوج أعلنوا إسلامهم وتشيعهم ببركة هذه المراكز. ولهذه المراكز مجلات ونشرات إسلامية منتشرة اليوم في أمريكا ودول أوروبا وتقوم هذه المراكز بنشر الكتب الإسلامية وتوزيعها على المسلمين وعلى سكان هذه الدول باللغة الإنكليزية وهذه النشرات منها نسائية ورجالية.

أسماء العلماء الذين قالوا بمرجعية آية الله العظمى الإمام السيد الشيرازي (دام ظله)

1 - آية الله المحقق السيد الفاطمي الأبهري (75 عاماً) يدرّس بحث الخارج منذ أكثر من عشرين عاماً وله رسالة عملية وحاشية على العروة الوثقى مطبوعتان / قم المقدسة.

2 - آية الله السيد عبد الله الشبستري (90 عاماً) من تلامذة المرجع الكبير السيد الحجة وكان يتباحث في كتاب الجواهر مع الإمام الخونساري (قده) / مشهد المقدسة.

3 - آية الله الشيخ مرتضى الأردكاني (80 عاماً) له شرح استدلال على كتاب المكاسب (غنية الطالب) مطبوع، يدرّس بحث الخارج منذ ثلاثين سنة / طهران.

- 4 - آية الله الحاج ميرزا علي الغروي العلياري، من تلامذة السيد أبي الحسن الأصفهاني والآغا ضياء العراقي والميرزا حسين النائيتي والاصطهباناتي وله منهم إجازات الاجتهاد، له (65) مؤلفاً علمياً منها (كتاب القضاء) و(منجزات المريض) / تبريز.
- 5 - آية الله السيد رضي الدين الشيرازي من أشهر علماء طهران.
- 6 - آية الله الشيخ حسن سعيد من أبرز علماء طهران ومن تلامذة الشيخ حسين الحلبي(قده) وله تقارير درسه(مطبوع) ومجاز منه بالاجتهاد.
- 7 - آية الله السيد علي الرئيسي الكركاني من تلامذة الإمام الخوئي(قده) وكان يدرّس بحث الخارج.
- 8 - آية الله الشيخ اختر عباس النجفي تلمذ على يد مراجع النجف وقم وهو كبير علماء الباكستان وأستاذهم له مؤلفات قيمة، ويدرس بحث الخارج في(لاهور) وقد نشرت أغلب الجرائد الباكستانية تصريحه بأعلمية السيد الشيرازي ومرجعته بتاريخ 1993/12/23م.
- 9 - آية الله الشيخ حسن البرقي من تلامذة المراجع العظام الحجة والشيخ عبد الكريم الحائري، يدرّس الخارج من أربعين سنة / قم المقدسة.
- 10 - آية الله السيد حسين العلوي الخراساني(82 عاماً) من تلامذة الشاهرودي والجنوردي(قدهما) وكان يدرّس السطوح العالية في النجف الأشرف / مشهد المقدسة.
- 11 - آية الله الشيخ نصر الله الشبستري من كبار العلماء في طهران ومن تلامذة الحجة والحكيم والخوئي(قدهم).
- 12 - آية الله الشيخ إبراهيم المشكيني(70 عاماً) من تلامذة الحكيم والخوئي وله مؤلفات علمية / أردبيل — إيران.
- 13 - آية الله الشيخ محمد حسين اللنكراني(80 عاماً) من تلامذة الحجة والصدر والخونساري(قدهم) قم المقدسة.
- 14 - آية الله السيد إبراهيم الزنجاني من تلامذة المراجع العظام السيد عبد الهادي الشيرازي والميرزا باقر الزنجاني والسيد الخوئي والشيخ عبد الكريم الزنجاني ومجاز بالاجتهاد من قبل العديد من المراجع له مؤلفات علمية وقد أصدر تصريحاً خاصاً بتاريخ 8 رجب 1414هـ حول مرجعية السيد الشيرازي وتفوقه العلمي.

- 15 — آية الشيخ هاشم صالح، يدرّس بحث الخارج في قم المقدسة ومن تلامذة آيات الله العظام الخوئي والصدر والميرزا هاشم الآملي(قدهم).
- 16 — آية الله السيد محمد علي الطباطبائي/ حضر بحث الخارج عند آيات الله العظام الخوئي والخميني والسبزواري(قدهم) له مؤلفات علمية مطبوعة وقد أصدر تصريحاً خاصاً نص فيه على مرجعية السيد الشيرازي وأعلميته بتاريخ 1414/6/28هـ.
- 17 — العلامة الحجة الشيخ محمد الغروي نجل الإمام الشيخ محمد حسين الغروي الأصفهاني.
- 18 — العلامة الحجة السيد مرتضى القزويني حضر بحث الخارج عند المرجعين الميرزا مهدي الشيرازي والسيد محمد هادي الميلاني(قدهما) ويدير الآن المركز الإسلامي الكبير في لوس أنجلوس.
- 19 — العلامة الحجة السيد أحمد الفالي حضر البحث الخارج عند آيات الله العظام السيد حسن القمي والميرزا مهدي الشيرازي والميرزا هادي الخراساني(قدهم) وله مؤلفات علمية/ قم المقدسة.
- 20 — آية الله السيد محمد تقي المدرسي يدرّس بحث الخارج في طهران وله مؤلفات علمية كثيرة.
- 21 — العلامة الحجة الشيخ الباقر من تلامذة آيات الله العظام الحجة والبروجردي والخونساري(قدهم) يدرّس الكفاية منذ ثلاثين سنة.
- 22 — العلامة الآخوندي من كبار علماء أذربيجان/ إيران.
- 23 — العلامة التقديسي يدرّس السطوح العالية / قم المقدسة.
- 24 — العلامة الحجة السيد سعيد الواعظي مدرس الكفاية وله شرح عليها.
- 25 — العلامة السيد محمد الطهراني/ من علماء طهران.
- 26 — حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مهدي فقيه إيماني، له مؤلفات قيمة وهو من علماء أصفهان.
- 27 — حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد علي عالمي بلخايي من أبرز علماء أفغانستان — مزار شريف.

- 28 -** حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الحسين آخوند تتلمذ عند الإمام الحكيم(قده) وكان وكيلاً له ولالإمام الخوئي(قده) في أفغانستان.
- 29 -** حجة الإسلام والمسلمين العلامة الشيخ محمد علي الفاضلي يدرس البحث الخارج في الحوزة العلمية الزينية ومن تلامذة السيد الخوئي وله تقارير درسه، وكان مدرس السطوح العالية في جامعة النجف، وقد أصدر وبقية أساتذة الحوزة العلمية الزينية بياناً بتاريخ 11/ رجب/ 1414هـ نصوا فيه على مرجعية السيد الشيرازي وأعلميته.
- 30 -** العلامة الحجة الشيخ المحمدي الباميانى حضر بحث الخارج لآيات الله العظام الخوئي والخميني والجنوردي(قدهم) يدرس السطوح العالية في الحوزة العلمية الزينية وله شرح على الرسائل(مطبوع) وشرح على الكفاية وتقارير درس السيد الخوئي.
- 31 -** العلامة الحجة الشيخ محمد المقدس من أساتذة السطوح العالية في الحوزة العلمية الزينية وكان يحضر بحث الإمام الخوئي(قده) وله كتب علمية مطبوعة ومخطوطة.
- 32 -** حجة الإسلام والمسلمين العلامة الشيخ محمود الأنصاري من تلاميذ الإمام الخوئي(قده) / طهران.
- 33 -** حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مهدي الحائري الطهراني من علماء طهران البارزين.
- 34 -** العلامة الحجة السيد هادي القمي حفيد المرجع السيد القمي(قده) من علماء طهران.

أفكار حول المرجعية الشيعية

الشيخ إبراهيم اليوسف

في هذا الوقت الذي ودعت فهي الطائفة الشيعية أربع من مراجع الدين الكبار الإمام الخميني والسيد الخوئي والسيد السبزواري وأخيراً السيد الكلبيكاني(قدس) بدأت ترتسم التساؤلات حول مستقبل المرجعية.

من المعروف في العالم الشيعي أن المرجعية لا تحدد بسرعة وإنما تتم تلك العملية بصورة بطيئة يقوم الزمن خلالها بدور أساسي.

وهذه كلمة في هذا الموضوع الحساس راجين أن تكون مساهمة في تسليط الأضواء على خلفياته.

تميز الفكر الشيعي بأطروحته القيادية وعالج بذلك أعقد مشكلة في الساحة الإسلامية ألا وهي مسألة القيادة.

والقيادة الدينية لها صور عديدة كما يراها علماء الشيعة تختلف في تفاصيلها إلا أنها تتفق من حيث الجوهر، إذ أنها جميعاً تصب في خدمة الأمة وإنقاذها من برائن الكفر والجاهلية... والمعروف أن التشيع في التاريخ والحاضر حارب الاستعمار والتخلف من خلال طاعته للقيادة الدينية، مما أحدث هزة في ضمير الأمة... والشاهد من التاريخ(ثورة التتباك في إيران)... والشاهد من الحاضر قيام الجمهورية الإسلامية في إيران.

إننا(كشيعة) وقعنا في مأزق عندما حاولنا الفصل بين مفهومين(مفهوم القيادة السياسية ومفهوم القيادة الدينية)(المرجعية) وهذا هو عينه الفصل بين الدين والسياسة الذي لا نرتضيه... يقول الإمام الخميني(رضوان الله عليه): (الدين سياسته عبادة وعبادته سياسة).

كيف ننتخب المرجعية؟

اليوم ونحن نعيش هذه الفترة الحرجة من تاريخنا الشيعي بكل مشاكله يجب أن نعي هذه المرحلة جيداً وأن نعتمد الوعي القائم على القناعة والمسؤولية عند اختيار المرجعية... فالمرجعية المتصدية هي وحدها القادرة على القفز فوق المشاكل وتضميد جراحات الطائفة ورفع مظلوميتها.

من المعروف أن هناك مجموعة من الصفات الأساسية يتميز بها كل من سيكون مرجعاً هي الإيمان، الحياة، الذكورة، الاجتهاد، العدالة، الرشد، طيب الولادة، الورع، التقوى إلى غير ذلك من الصفات النبيلة.

بالإضافة إلى ذلك هناك صفات أخرى يجب أخذها بعين الاعتبار عند انتخابنا للمرجع وأبرزها التواصل الحي مع المجتمع، من أجل تعبئة طاقاته الروحية والمادية، ومعايشة الواقع السياسي للأمة خصوصاً في هذا العصر المتشابك والمعقد والذي يحتاج الإمام به

إلى رؤية سياسية صائبة وبصيرة إيمانية نافذة، حتى لا تلتبس الأمور وتقع في متاهات السياسة ودهاليزها.

القيادة المرجعية

إن أطروحة القيادة المرجعية لدى الشيعة لها أكثر من صورة، فقد يكون مرجع التقليد واحداً أو عدة مراجع. وسواء كان مرجع التقليد واحداً كما حصل في زمن صاحب الجواهر أو الشيخ المرتضى وغيرهما، أو كانوا أكثر من ذلك بحيث تتعدد المرجعية وتخضع عندها لاختيار المقلد ذاته، وتعدد المرجعية أمر طبيعي خصوصاً أن باب الاجتهاد مفتوح لدى الشيعة، وانتخاب الشخص المراد تقليده يعبر عن الحرية التي يتمتع بها الإنسان في الفكر الشيعي.

وحينئذ لا يكون هناك ضغط في التقليد تجاه مرجع معين، وهذا الأسلوب في تحكيم المراجع الذين هم نواب الأئمة (عليه السلام) بملء إرادة الأمة، لا ديكتاتورية ولا تسلط، هذا الأسلوب يعيد للتشيع الصورة المشرقة من الحرية في الفكر والاختيار التي رسمها الأئمة (عليهم السلام).

ومن أهم الأفكار حول المرجعية — كما أرى — فكرة أطروحة، شورى الفقهاء المراجع.

وهي صيغة عصرية حضارية رفيعة في قيادة الأمة إلى بر الأمان، وأبرز من طرح هذه النظرية في الوقت الحاضر سماحة الإمام السيد محمد الشيرازي، وخلاصة هذه النظرية، أن قيادة الأمة والبت في شؤونها يجب أن تكون بيد مجلس يضم مراجع التقليد وليس مرجعاً واحداً والمرشح لعضوية هذا المجلس لا بد أن يكون فقيهاً مستتباً للأحكام.

يقول آية الله الشيرازي في كتابه الفقه السياسي ما نصه: (ولي الفقيه هو الفقيه العادل الجامع للشرائط والذي يكون مورد ثقة الناس وأهل الخبرة فإذا كان هناك جماعة من الفقهاء العدول اختار المسلمون أحدهم رئيساً أعلى للدولة ويحق لهم أن يختاروا لهم جماعة ليكونوا رؤساء الدولة بالاستشارة فيما بينهم وهذا الثاني أقرب إلى روح الإسلام حيث أن نظام الإسلام استشاري).

ويرى آية الله الشيرازي أن هذا المجلس (شورى فقهاء المراجع) يختاره أهل الخبرة من العلماء وأهل الخبرة من زعماء الأحزاب الحرة الإسلامية، وبدون تدخل من السلطات الثلاث (التشريعية التنفيذية والقضائية) لأن هذه القوى تحت السلطة العليا لا فوقها، السلطة العليا للدولة الإسلامية ولل مرجعية سواء كان مرجع التقليد واحداً أو متعدداً ويستدل السيد الشيرازي على هذه النظرية بعدة أمور منها:

النصوص الشرعية:

قال تعالى: (وشاورهم في الأمر).
قال الله تعالى: (وأمرهم شورى بينهم).
والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يأخذ الشورى، وقال: (من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها).
وقال علي (عليه السلام): (من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ) إلى غير ذلك من النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة.

توحيد الأمة:

إن توحيد الأمة الإسلامية في هذا العصر الذي تكالبت فيه قوى الكفر على الأمة، لا يكون إلا من خلال توحيد الصف الشيعي والذي يأتي من اجتماع مراجع التقليد في مجلس قيادة واحد، ودون شورى الفقهاء لا يمكن توحيد الأمة، إضافة إلى ذلك أن عمل الفرد الواحد، لا يمكنه الإحاطة بكل الأمور المصيرية للأمة، ولقد أثبتت تجارب التاريخ أن الدكتاتورية وليدة الحكم الفردي لذلك نلاحظ التأكيد في الأحاديث الشريفة على ضرر الاستبداد بالرأي وفي وقتنا الحاضر فإن الأنظمة القائمة على أساس التعددية هي أنظمة أكثر نضجاً وأكثر حيوية وديمقراطية وهي أكثر قبولاً من الناس.

مؤلفات الإمام الشيرازي تصنيف علمي

السيد فيصل العلوي

تتميز كتاباته بأسلوب السلاسة والعمق والكثرة والبساطة في نفس الوقت، وقد طبعت مؤلفاته القيمة، وبعضها ترجم إلى الإنكليزية والفارسية والسواحلية والفرنسية والاردو.. إلا أنه لازالت لديه كتب مخطوطة لم تطبع حتى الآن..

وسماحته ممن اشتهروا بكثرة التصنيف، وهو سريع الكتابة، ينهي بعض الكراسات في بضع ساعات، لأنه يستحضر المعلومات التي يريد في موضوعه، فمثلاً يذكر أحد مقربيه أنه ألف كتابه (الإمام علي شمس في أفق الهداية) وهو كراس عن حياة الإمام علي (عليه السلام) في مدة ساعتين.

(كما أنه يسبق الشمس كل يوم بالصلاة والدعاء والتأليف والعمل، فمَنْذ أكثر من ثلاثين عاماً، وهو يكتب من بعد صلاة الصبح إلى بعد طلوع الشمس، ولذلك فإن إنتاجه غزير وعميق ومتشعب) (ملاح النظرية السياسية في فكر الإمام الشيرازي - محمد غالب أيوب - ص 9).

تأليف أكبر موسوعة فقهية

أهم كتاب له هو الموسوعة الفقهية التي لم يُرَ لها مثل ولم يتقدم مؤلف من علماء الشيعة قاطبة بل مؤلف من علماء المذاهب الإسلامية بتأليف ما يساوي في شمولها وحجمها وحدائتها. فهي تشتمل في الوقت الحاضر على 125 مجلداً في جميع الفروع، وقد سمّاها (الفقه) ويبلغ عدد صفحاتها 60 ألف صفحة كما ذكره مؤلف كتاب أضواء على حياة الإمام الشيرازي.

وهي تتميز كفاً طويلاً ضمّت موضوعات في بطون الكتب الفقهية القديمة والحديثة واجتهاداته الخاصة. وقام بصياغتها صياغة قريبة إلى الفهم سهلة البيان والمأخذ واضحة المقصد، وتتميز بكثرة التفريعات والاستيعاب الكبير للأدلة من كل الجوانب، واستحداث قواعد جديدة تبتني على أساسها عملية استنباط سلسلة من الأحكام الفقهية الاقتصادية مثل (حجم النقد) أو (القوة الشرائية)، ومعالجة القضايا المتجددة التي فرضها التطور العلمي واستحداث أكثر من عشرة أبواب مستحدثة ودراسات فقهية جديدة مثل كتب: السياسة والاقتصاد والاجتماع والحكم في الإسلام والإدارة والحقوق وما أشبهه.

عدد مؤلفاته

في دراسة (آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي في سطور) قال مؤلفها: وقد زادت كتبه المطبوعة والمخطوطة على 700 كتاب في مختلف العلوم. وقال صاحب كتاب (أضواء على حياة الإمام الشيرازي) ص 145: لقد تجاوزت مؤلفات السيد الشيرازي الثمانمائة كتاباً وكراساً في شتى المواضيع الفكرية والتوجيهية والفقهية والأصولية.

ثم ذكر 214 عنواناً لكتبه ذكراً في أول 11 عنوان عناوين أحد عشر موسوعة من دوراته العلمية ومجموع أجزاءها هو 287 مجلداً، كما ذكر في العناوين الأخرى كتبه التي يحتوي بعضها على أجزاء عدة، وفي النهاية قال (ملاحظة: هناك 250 محاضرة من محاضرات السيد وهي على وشك الطباعة علماً بأن محاضرات السيد في العراق والكويت وإيران تربو على الثلاثة آلاف محاضرة. فمجموع ما طبع أو أعد للطبع من كتب وكراسات تبلغ 813 كتاباً ودراسة).

أما صاحب دراسة (سلسلة مؤلفات آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي) فقد عدّ فيها جميع مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة بعناوينها. وأدخل الأجزاء في العدّ فبلغت 564، وأضاف إلى العدّ 250 محاضرة باعتبار أنها مطبوعة أو على وشك الطباعة لكن دون أن يذكر عناوينها فوصل المجموع في ترقيمه إلى 814.

أما في هذه الدراسة فقد توصلت إلى 250 عنواناً لعناوين موسوعاته وكتبه وكتيباته، المطبوعة والتي على وشك الطباعة والمخطوطة.

وكانت البداية أني قرأت أسماء مؤلفات الإمام الشيرازي في كتاب (العراق بين الماضي والحاضر والمستقبل) من ص 620 إلى ص 629، ولما رأيتها من دون تبويب قمت بترتيبها موضوعياً بحسب العلوم الحديثة والقديمة في منهج جديد يبتدأ من علوم القرآن الكريم، وذلك للنفع العام وخاصة للباحثين وأصحاب التراجم والمكتبات.

ثم بعد ذلك أضفت إليها ما وجدته في كتب ودراسات للإمام الشيرازي أو الترجمة لحياته، وكذلك استدركت عليها أسماء بعض المحاضرات القيمة والمطبوعة حديثاً والتي هي جزء من مئات المحاضرات التي ألقاها في وقت سابق، خصوصاً في الثمانينات.

مؤلفاته في تفسير القرآن الكريم (خمس)

المطبوع:

1 - تقريب القرآن إلى الأذهان، عشرة مجلدات.

المخطوط:

2 - تسهيل القرآن عشرة أجزاء.

3 - توضيح القرآن، ثلاثة أجزاء.

4 - تبين القرآن.

5 - الجنة والنار في القرآن.

في تجويد القرآن الكريم (واحد)

6 - بيان التجويد، مطبوع

في الأحاديث (ثلاثة)

المطبوع:

7 - توضيح نهج البلاغة، أربعة أجزاء، شرح لكتاب (نهج البلاغة) الحاوي لأحاديث الإمام علي (عليه السلام) طبع ثلاث مرات .

8 - وسائل الشيعة ومستدركاتهما، أربعون جزء، طبع بعض أجزاءها، مزج روايات الوسائل للحر العاملي والمستدرک للنوري.

المخطوط:

9 - تلخيص ربيع الأبرار.

في الأدعية (اثان)

10 — الدعاء والزيارة، طبع مرات عديدة، كتب بالعربية والفارسية معاً.

11 — شرح الصحيفة السجادية، مطبوع.

في علم الرجال (واحد)

المطبوع:

12 — القصص الحق، قصص تاريخية، مجموع السلسلة تحتوي خمسين جزءاً، طبع منها خمسة عشر جزءاً، من هذه الأجزاء: نوح(عليه السلام)، إبراهيم(عليه السلام)، موسى(عليه السلام)، الكليم(عليه السلام) وفرعون، الكليم وبنو إسرائيل، بنو إسرائيل في التيه، موسى في البحر، بساط سليمان، سليمان وبلقيس، مريم الطاهرة، عيسى المسيح.

13 — التاريخ الصحيح، جزءان.

14 — من التمدن الإسلامي، اقتباسات من كتاب(تاريخ التمدن الإسلامي).

15 — تلخيص الحضارة الإسلامية.

16 — كيف انتشر الإسلام؟ جزءان.

17 — رسول الإسلام في مكة والمدينة، 4 أجزاء.

18 — المولد النبوي الشريف، 22 ربيع الثاني 1401هـ.

19 — محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) والقرآن.

20 — فضائل آل الرسول(عليهم السلام).

21 — فضائل الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام)، مختارات من كتاب الصواعق المحرقة

لابن حجر الهيتمي.

22 — الإمام علي شمس في أفق الهداية.

23 — فاطمة(عليها السلام) أفضل أسوة للنساء.

24 — الحسن والحسين(عليهما السلام) إمامان.

25 — ثورة الإمام الحسين(عليه السلام).

26 — الحسين(عليه السلام) أسوة.

- 27 - الحسين (عليه السلام) مصباح الهدى.
- 28 - جهاد الحسين (عليه السلام) ومصرعه.
- 29 - جابر بن حيان الأنصاري، وهو العدد 11 من سلسلة (أعلام الشيعة) التي تشمل 20 جزءاً.
- 30 - الشيخ ابن فهد الحلبي.
- المخطوط
- 31 - موجز تاريخ الإسلام، جزءان.
- 32 - تلخيص تاريخ المدينة المنورة.
- 33 - لأول مرة في تاريخ العالم، تحت الطبع.
- 34 - كفاحنا، جزءان.
- 35 - قادة الإسلام، ستة أجزاء.
- 36 - حياة الإمام السجاد (عليه السلام).
- 37 - حياة الإمام الباقر (عليه السلام).
- 38 - حياة الإمام الصادق (عليه السلام).
- 39 - حياة الإمام الكاظم (عليه السلام).
- 40 - الإمام الرضا (عليه السلام) يقود الحياة.
- 41 - حياة الإمام الجواد (عليه السلام).
- 42 - حياة الإمام الهادي (عليه السلام).
- 43 - حياة الإمام العسكري (عليه السلام).
- 44 - حياة الإمام الحجة (عليه السلام).

في السيرة الذاتية (ثلاثة)

المطبوع:

- 45 - عشت في كربلاء.
- 46 - بقايا حضارة الإسلام كما رأيت.

المخطوط:

47 - مذكرات (تربو على 5000 صفحة).

في المعرفة وعلم التوحيد

48 - هل تحب معرفة الله؟، مطبوع مكرراً.

49 - كيف عرفت الله؟ مطبوع مكرراً.

50 - آغاز دانش، حول أول المعرفة، مطبوع باللغة الفارسية.

في علم الكلام والفلسفة (اثتان)

51 - القول السديد في شرح التجريد، مطبوع، وهو شرح لكتاب تجريد الاعتقاد

للخواجة نصير الدين الطوسي رحمه الله.

52 - شرح منظومة السبزواري، مطبوع، في الفلسفة.

في عقائد الإسلام (ستة)

53 - في ظل الإسلام.

54 - ما هو الإسلام، طبع مكرراً.

55 - العقائد الإسلامية، طبع مكرراً.

56 - المعارف الإسلامية.

57 - المسلم، طبع في بداية الرسالة العملية (المسائل الإسلامية).

المخطوط:

58 - من مفاهيم الإسلام.

في الأديان والمذاهب غير الإسلامية (ثلاثة عشر)

المطبوع:

59 - كيف ولماذا أسلموا؟ قصة إسلام مجموعة من المستشرقين.

- 60 - هؤلاء اليهود، فضح لعقائد وخطط اليهودية العالمية، طبع مكرراً وترجم إلى الفارسية. طبع حوالي 15 مرة.
- 61 - ماذا في كتب النصارى؟ طبع مكرراً وترجم إلى الفارسية.
- 62 - الصابئة في عقيدتهم وشريعتهم، وهو نقد لعقائد الصابئة، وهذا الكتاب هو العدد السادس من سلسلة (بين الإسلام والأديان والمبادئ) كربلاء، سنة 1382هـ.
- 63 - وقفة مع الوجوديين.
- 64 - مباحثات مع الشيوعيين، نقد للنظرية الشيوعية بأسلوب الحوار الواقعي الذي جرى مع المؤلف.
- 65 - ماركس ينهزم.
- 66 - نقد المادية الديالكتيكية.
- 67 - بين الإسلام ودارون.
- المخطوط:
- 68 - مائة سؤال حول الثالوث.
- 69 - البابية والبهاية.
- 70 - الإنسان والقرد، عن نظرية دارون.
- 71 - نقد نظريات فرويد.

في التشيع والإمامية (ثلاثة عشر)

- 72 - لماذا نزور الإمام؟ (جرا أمام را زيارت مي كنيم) مطبوع باللغة الفارسية.
- 73 - هكذا الشيعة، من سلسلة للتعريف بالشيعة والتشيع، وهي 12 كراساً طبعت في مرات عديدة ناهز (100) ألف نسخة وتم توزيعها في موسم الحج على عشرات الآلاف، كما كانت تنتشر بسبع لغات عالمية حيّة، وهذه بقية الكراسات:
- 74 - اعرف الشيعة.
- 75 - من هم الشيعة؟
- 76 - قصة الشيعة.

77 - واقع الشيعة.

78 - قضية الشيعة.

79 - مقالة الشيعة.

80 - الشيعة والشريعة.

81 - هوية التشيع.

82 - أفكار الشيعة.

83 - نظرة الشيعة.

84 - نهج الشيعة.

في علم المنطق (اثان)

المطبوع:

85 - مختصر المنطق، مطبوع.

86 - حاشية الحاشية، تعليق على حاشية الملا عبد الله في المنطق، مخطوط.

في الثقافة الإسلامية (اثان وثلاثون)

المطبوع:

87 - مقالات.

88 - إرشادات إسلامية.

89 - إلى مقلدنا في الآفاق.

90 - إلى شبابنا في البلاد الأجنبية.

91 - إلى وكلائنا في البلاد، كربلاء، 27 جمادى الثانية 1390 هـ.

92 - الحاجة إلى علماء الدين، طبع مكرراً.

93 - المرجع والأمة الإسلامية، طبع مكرراً.

94 - رسالة المساجد والحسينيات، طبع مكرراً.

95 - لكي يستوعب الحج عشرة ملايين، طبع مكرراً.

96 - أهمية القرآن في المجتمع.

97 - المرجعية الإسلامية.

98 - الإعلام المضاد 30 شعبان 1410هـ.

المخطوط:

99 - المتفرقات، ستة وعشرون جزءاً، يشمل علوماً مختلفة، ويتضمن (شرح دعاء

السمات) و(نصاب الصبيان) و(شرح الأفلاك) وغير ذلك.

100 - إسلاميات.

101 - حال الإسلام لمشاكل الإنسان.

102 - إلى ثورة ثقافية إسلامية.

103 - التوجيهات الإعلامية.

104 - تحويل معنوية الإسلام.

105 - القراءة الإسلامية.

106 - فن الهداية.

107 - ضرورة التفرغ في سبيل الله.

108 - حول التبليغ في الغرب.

109 - جهاز الفكر.

110 - أطلس العالم الإسلامي.

111 - لكي لا تتنازعا.

112 - اعمل لدنياك.

113 - الإسلام أمل الشباب.

114 - المرأة المسلمة وأحكامها.

115 - الطفل المسلم.

116 - الإسلام وشهر رمضان.

117 - أسبوع المولد الشريف.

118 - المدينة المقدسة: النجف وكربلاء.

في أصول الفقه (أربعة)

المطبوع:

119 - الوصول إلى كفاية الأصول، خمسة أجزاء، طبع مرات، شرح على كفاية الشيخ الآخوند الخراساني (قدس سره).

120 - الأصول، مباحث الألفاظ ومباحث الأصول العملية، عميق ودقيق، ثمانية أجزاء، مطبوع مرتين، ولم يستكمل بعد، دون فيه محاضراته في بحثه (الخارج في الأصول). المخطوط:

121 - الوصائل إلى الرسائل، عشرون جزءاً، تحت الطبع، وهو شرح رسائل الشيخ الأنصاري (قدس سره).

122 - الأصول المفصل - كتاب علمي دقيق في علم أصول الفقه يتسم بالعمق يدرس في حوزة قم المقدسة.

في الفقه والأحكام (ثلاثة وأربعون)

المطبوع

123 - موسوعة الفقه، مائة وخمسة وعشرون جزءاً، يتجاوز عدد صفحاتها الستين ألف صفحة من القطع الكبير، طبعت مرتين، لم تستكمل بعد، ترجمت أجزاء منها إلى الأردية. تتناول كل كتب الفقه بالاستدلال، هي:

(1) الاجتهاد والتقليد (2-16) الطهارة 15 ج (17-28) الصلاة 12 ج (29-32) الزكاة 4 ج (33) الخمس (34-37) الصوم 4 ج (38-46) الحج 9 ج (47-48) الجهاد 2 ج (49) الرهن (50) الحجر والمفلس (51) الضمان والحوالة (52) الكفالة والصلح (53) الشركة والمضاربة (54) المضاربة والمزارعة (55) المزارعة (56) الوديعة والعارية (57-58) الإجارة 2 ج (59) الوكالة (60) الوقوف والصدقات والهبات والسبق والرماية (61) الوصية (62-68) النكاح 7 ج (69) الطلاق (70) الطلاق والخلع (71) الخلع والمباراة والظهار والكفارات (72) اللعان والإيلاء والعنق (73) التدبير والمكاتب والاستيلاء

والإقرار (74) الجعالة والإيمان (75) النذر والصيد والذبابة (76-77) الأطعمة والأشربة
 2ج (78) الغصب (79) الشفعة (80) إحياء الموات (81) اللقطة (82-83) الإرث 2ج (84-
 85) القضاء 2ج (86) الشهادات (78-88) الحدود والتعزيرات 2ج (89) القصاص (90-
 91) الديات 2ج (92) الواجبات (93) المحرمات (94-97) الآداب والسنن 4ج (98) حول
 القرآن الكريم (99) الحكم في الإسلام (100) الحقوق (101-102) الدولة الإسلامية
 2ج (103-104) الإدارة 2ج (105-106) السياسة 2ج (107-108) الاقتصاد 2ج (109-
 110) الاجتماع 2ج (111) طريق النجاة (112-125) البيع والخيارات.

124 - إيصال الطالب إلى المكاسب للشيخ الأنصاري.

125 - الحاشية على العروة الوثقى، طبع مرتين.

126 - تعليقة الذخيرة، تعليق على رسالة والد المؤلف (قدس سره) ذخيرة العباد.

127 - تعليقة الوجيزة

128 - أحكام الإسلام.

129 - موجز أحكام الإسلام.

130 - مختصر توضيح الأحكام.

131 - توضيح الأحكام، بالفارسية.

132 - تسهيل الأحكام، على شكل سؤال وجواب.

133 - المسائل الإسلامية، الرسالة العملية العربية المفصلة، طبع حوالي عشر مرات في
 إيران ولبنان وأمريكا والكويت.

134 - توضيح المسائل، الرسالة العملية المفصلة بالفارسية، طبع حوالي اثنتي عشرة
 مرة.

135 - الإرث في الإسلام، يطرح مسائل الإرث ضمن جداول منتظمة، طبع
 ضمن (المسائل الإسلامية).

136 - ألف مسألة شرعية.

137 - المسائل المتجددة، يتضمن ألف وسبع مسائل جديدة.

138 - مسائل حديثة.

- 139 - المسائل الجديدة، أو مسائل جديد، فارسي مترجم عن الأصل العربي.
- 140 - أعمال الحج.
- 141 - الحاج في مكة والمدينة، أو: أعمال مكة والمدينة، طبع مكرراً.
- 142 - أعمال مكة والمدينة، فارسي عن الأصل العربي.
- 143 - أجوبة المسائل اللبنانية، طبع مكرراً بصورة مستقلة وضمن كتاب (الحاج في مكة والمدينة).
- 144 - مناسك الحاج، طبع مكرراً.
- 145 - هكذا حج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).
- 146 - عبادات الإسلام، طبع أربع مرات في العراق ولبنان والكويت.
- 147 - هل تعرف الصلاة؟ طبع مرات عديدة وكذلك الكراسات الآتية أسماؤها وهي سلسلة (الفرائض الإسلامية) وعددها 10 كراسات.
- 148 - ما هي الزكاة؟ وترجمت إلى الفارسية وطبعت مكرراً بأعداد كبيرة.
- 149 - ما هو الصيام؟
- 150 - هل تريد الحج؟
- 151 - أيكم يعطي الخمس؟
- 152 - كيف نجاهد الأعداء؟
- 153 - هل تعلم أن الأمر بالمعروف واجب؟
- 154 - هل نهينا عن المنكر؟
- 155 - نوالي أولياء الله.
- 156 - التبري من أعداء الله.
- 157 - من القانون الإسلامي، ترجم إلى الفارسية وطبع مكرراً حول العبادات العشر مع الأرقام والقصص والتحليلات، والأصل الموسع لازال مخطوطاً.
- المخطوط:
- 158 - الرسالة الصلاتية.
- 159 - رسالة في قاعدة لا ضرر.

- 160 - بحث التسامح في أدلة السنن.
- 161 - أحكام مستفادة من حديث الكساء.
- 162 - أجوبة المسائل العلوية.
- 163 - أجوبة المسائل الحائرية.
- 164 - أجوبة المسائل الشرعية، طبع حديثاً.
- 165 - المسائل الإسلامية، مختصر، يطرح المسائل الفقهية مع شيء من التحليل المناسب لذهن الشباب.

في الأخلاق والسلوك (أحد عشر)

المطبوع:

- 166 - الدين والسعادة، ستة أجزاء.
- 167 - الفضيلة الإسلامية، أربعة أجزاء.
- 168 - الأخلاق الإسلامية.
- 169 - الفضائل والأضداد.
- 170 - الزهد في الإسلام.
- 171 - حسن الخلق.
- 172 - لين الكلام.
- 173 - شخصية المؤمن.
- 174 - الإنسان الصالح والمحبة الاجتماعية.
- 175 - كيف نعاشر الناس؟
- 176 - فضائل ورذائل باللغة الفارسية.

حول الحوزات وطلاب العلوم الدينية (ثمانية)

المطبوع:

- 177 - إلى الحوزات العلمية.

178 - إلى طلاب العلوم الدينية.

179 - دور الحوزات العلمية في بناء المجتمع.

180 - تنظيم الحوزة.

المخطوط:

181 - من أخلاق العلماء.

182 - تلخيص المنية، تلخيص لكتاب الشهيد الثاني (قدس سره) منية المريد.

183 - رسالة أهل العلم.

184 - هل رجال الدين مقصرون؟

في الإدارة (اثنان)

185 - كيف تدير الأمور؟ مطبوع عدة مرات.

186 - تنمية القدرات الإدارية.

في السياسة والدولة (خمسة وثلاثون)

المطبوع:

187 - السبيل إلى إنهاض المسلمين، طبع ثلاث مرات.

188 - نحو يقظة إسلامية.

189 - ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين.

190 - المرض والعلاج.

191 - مجموعة بيانات، طبع ثلاث مرات.

192 - من عوامل الاستقرار في العراق.

193 - أفغانستان در تحول سياسي، طبع باللغة الفارسية.

194 - القوميات في خمسين سنة، مناقشات مع القوميين.

195 - كيف نجمع شمل المسلمين؟

196 - العدالة الإسلامية.

- 197 - العدل أساس الملك.
- 198 - الحرية الإسلامية.
- 199 - إلى حكم الإسلام.
- 200 - إلى حكومة ألف مليون مسلم.
- 201 - نريدها حكومة إسلامية.
- 202 - هكذا حكم الإسلام.
- 203 - من أوليات الدولة الإسلامية.
- 204 - الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام: في 700 صفحة، طبع مرتين.

- 205 - كلمات حول نهضة المسلمين.
- 206 - الشورى في الإسلام، الطبعة الأولى 1409هـ - 1989م.
- 207 - سبل النهوض بالمجتمع الإسلامي، 28 صفر 1408هـ.
- 208 - الوحدة سبيل التقدم، 9 جمادى الثانية 1400 هـ.
- 209 - أثر النشاط في تقدم مسلمي العالم، 29 جمادى الأولى 1408هـ.
- 210 - المسلمون وتكميل النواقص، 29 جمادى الأولى 1408هـ.
- 211 - الحاجة إلى السياسة، 23 ربيع الثاني 1402هـ.
- 212 - أقرب الطرق إلى النصر.
- 213 - النازحون من العراق، عام 1391هـ.
- 214 - مخادعات الاستعمار، 18 جمادى الأولى 1409هـ.
- 215 - أول حكومة شيوعية ومؤسسها.

المخطوط:

- 216 - موقف الإسلام من الأحزاب المستوردة.
- 217 - هذا هو النظام الإسلامي.
- 218 - النظام الإسلامي والأنظمة المعاصرة.
- 219 - حكم الإسلام، مبادئ قيامه، ماهيته، أهدافه.

220 - الحكومة الإسلامية في عهد الإمام علي (عليه السلام).

221 - تدويل البلاد المقدسة.

في الاقتصاد (ثمانية)

المطبوع:

222 - انفقوا لكي تتقدموا، طبع مكرر.

223 - الاقتصاد الإسلامي في سطور.

224 - الاقتصاد الإسلامي في خمسين سؤال وجواب.

225 - الاقتصاد الإسلامي المقارن.

226 - الاقتصاد للجميع.

227 - الاقتصاد عصب الحياة، 25 محرم 1401هـ.

المخطوط:

228 - حل المشكلة الاقتصادية على ضوء القوانين الإسلامية.

229 - البنك الإسلامي.

في علوم اللغة والأدب (سبعة)

المطبوع:

230 - أبنية الصرف، في الصرف.

231 - قواعد الإعراب، في النحو.

232 - خلاصة العروض، في العروض.

233 - سلسلة المنصورية، في الصرف والنحو.

234 - مزج الشرحين، مزج علمي بين شرح ابن عقيل وشرح السيوطي لألفية ابن

مالك، في النحو.

235 - إسهاد الأدب في شرح أشعار العرب، في الأدب.

236 - طرائف الأديب، منوعات أدبية.

في الشعر (خمسـة)

237 – المدائح والمراثي للمعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام).

238 – ابتهالات.

239 – في بلادي، شعر سياسي.

240 – شبه كلستان سعدي.

241 – شبه مثنوي ملاي رومي.

المطبوع:

242 – مبادئ الطب.

المخطوط:

243 – أوليات الطب.

244 – تحفة التحفة.

في علوم أخرى مختلفة (خمسـة)

المطبوع:

245 – فصول الحساب، في الحساب.

246 – أبواب الهندسة، في الهندسة.

247 – نجوم الفلك، في الفلك.

المخطوط:

248 – هكذا يعبرون، في تعبير الرؤيا.

إن مجرد قراءه هذه السطور يدل على سعة أفق الإمام الشيرازي (دام ظله) وشمول علمه وقوة فكره، خصوصاً في المجالات التي قلّ أن تطرق إليها العلماء والفقهاء، مثل مجال السياسة والدولة الإسلامية حيث كتب حوله أكثر من 35 كتاباً وكتيباً هذا غير الأجزاء الخاصة بهذا الجانب من موسوعته الفقهية التي بقيمتها الرفيعة وعدم وجود نظير لها

تعتبر مفخرة من مفاخر الشيعة والتشيع ومذهب أهل بيت الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم..

المرجع والأمة

دراسة في طبيعة العلاقات والمهمات

الكاتب: صالح محمد آل إبراهيم.

الناشر: دار البيان العربي — بيروت — لبنان.

الصفحات: 198 من القطع الكبير.

تاريخ النشر: 1993م.

الأستاذ محمد عبد المجيد

من المسائل المهمة والضرورية التي يحتاجها أي مجتمع بشري، هو معرفة مسألة القيادة، صفاتها، شروطها، دروها في حركة الأمة والمجتمع، وكيف ينبغي أن تكون علاقة الأمة بالقيادة، وكيف يتخذ القائد القرارات وكيف ينفذها. إلى غيرها من الأسئلة والاستفسارات التي بحاجة إلى الإجابة عليها والتعرف على الرأي السليم فيها.

من هذا المنطلق سعى الشيخ صالح محمد آل إبراهيم إلى تأليف كتابه الأخير المرجع والأمة (دراسة في طبيعة العلاقات والمهمات) إذ أثبت المؤلف في مقدمته أن هدفه من تأليف الكتاب ما يلي:

1 - توعية الجيل الشاب بشؤون المرجعية والتقليد، وتعريفه بوظيفته الشرعية.

2 - رفع الالتباس والغموض عن بعض المسائل المشككة في الموضوع ذاته.

والكتاب هو عبارة عن أربعة فصول رئيسية. خُصص الفصل الأول للحديث عن علاقة الأمة بالمرجع، ونشأة التقليد تاريخياً.

ومما جاء في حقيقة التقليد: (أن التقليد الذي نهى عنه الإسلام والذي ليس من حقيقة التقليد في شيء، هو هذا الاتباع الذي يغمض العيون، ويجمد العقل، ويجعل الإنسان في راحة من التفكير في مسؤوليته الشخصية تجاه ما يجري من أحداث وقضايا. إن هذا النوع من التقليد في واقعه، محاكاة ساذجة، وإتباع غير واع.

أما التقليد الذي أمر به الإسلام، والذي عبّر عنه الفقهاء بأنه رجوع الجاهل إلى العالم، فهو ذلك الاتباع الواعي، الذي يسبقه عادة فحص دقيق من جانب المقلدين للشخص الذي تتوفر لديه مؤهلات المرجعية.

كما يلزمه مراقبة مستمرة من قبلهم لتصرفات هذا الشخص الذي يتبعونه، لكيلا يفقد إحدى مؤهلاته. فالتقليد بهذا المعنى، يفتح العيون على المرجع الذي يختاره المقلدون، ويبقيها مفتوحة بالمراقبة والمساءلة والمناقشة مع المرجع، في الأمور التي تتصل بمواصفاته وصلاحياته ومسؤولياته، وفي القضايا التي تمس حياتهم الدينية والاجتماعية. وعلى هذا فحقيقة التقليد المأمور به شرعاً وعقلاً، ليست الاتباع الأعمى والتسليم المطلق، بل هو اتباع واعٍ مستند إلى فحص وتمحيص ومراقبة ومساءلة.

وانطلاقاً من هذه المسألة، ذهب فقهاء الإمامية إلى القول بوجوب التقليد على عامة الناس واستدلوا على ذلك بالأدلة التالية:

1 - أصل الفطرة:

إذ أن التقليد والاتباع فيما لا يحسنه الإنسان شيء من فطرة الإنسان وطبيعته، فلا يحسن الإنسان كل ما يتعلق بحياته وسلوكه، وواجباته على تشعب مسائل الحياة، وواجبات الإنسان في الحياة، فيضطر الإنسان إلى التقليد وإتباع الآخرين ممن يحسنون ذلك.

2 - العقل:

إن من الواضح أن المكلف يعلم - ولو إجمالاً - بثبوت تكاليف شرعية من نحو الوجوب والحرمة في حقه.

وبهذا العمل الإجمالي الموجود لدى المكلف، تنتجز التكاليف عليه، بحيث أنه لو خالفها استحق العقاب.

وبمقتضى ذلك يتدخل العقل فيحكم بوجوب الخروج عن عهدة تلك التكاليف الواقعية التي تتجزت في حقه. وفي مقام إحراز امتثال تلك التكاليف الإلزامية، لا مناص من الأخذ بواحدة من هذه الطرق الثلاث: الاجتهاد، أو الاحتياط، أو التقليد.

أما الاجتهاد: فليس بمقدور كل الناس أن يتوجهوا إلى دراسة الشريعة الإسلامية، والتخصص فيها، واستنباط أحكامها التفصيلية من مصادرها الأساسية لأن ذلك بحاجة إلى

دراسة طويلة، وجهد كبير لا يتوفر لكل أحد. أضف إلى ذلك أن انصراف الناس كلهم إلى دراسة الشريعة الإسلامية، والتخصص فيها، يؤدي إلى اختلال الحياة الاجتماعية، وتعطل المهن والصنائع. إذاً فمن العسير تكليف العوام القيام، بمهمة الاجتهاد. وأما الاحتياط: فإنه عبارة عن قيام المكلف بالعمل الذي يتيقن معه ببراءة ذمته من التكاليف الشرعية المجهولة لديه. وهذا قد لا يكون إلا بالإتيان بجميع المحتملات، حتى يحرز اليقين في امتثاله بذلك.

ومن المعلوم أن إتيان المكلف بجميع المحتملات صعب وعسير، لا يطيقه كل أحد. فتكليف العوام بالاحتياط أيضاً غير ممكن. فلم يبقَ إذن أمام المكلف (بعد كون الأخذ بالاجتهاد والاحتياط عسراً) إلا التقليد فإن العقل يحكم بوجوبه على المكلف، ليحرز به امتثال التكاليف الشرعية الواجبة عليه.

3 - السيرة العقلانية:

إذ أن سيرة العقلاء تقضي برجوع المكلف إلى المجتهد، لأن ذلك من صغريات رجوع الجاهل إلى العالم، الذي استقرت عليه سيرة العقلاء في جميع أمورهم وشؤونهم على مرّ الدهور والأعوام، فإنهم عند جهلهم بشيء يتبعون العارف به.

4 - الكتاب والأخبار:

إذ قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وجه الدلالة: أن غير العالم يلزم رجوعه إلى العالم، فالعامي يلزم رجوعه إلى المجتهد وهذا هو التقليد في اصطلاح الفقهاء.

ومن الأخبار: قول الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) في جواب سؤال أحمد بن إسحاق: من أعامل، وعمن آخذ معالم ديني، وقول من أقبل؟

فقال (عليه السلام): العمري ثقني، فما أدّى إليك عني فعني يؤدي، وما قال لك عني، فعني يقول، فاسمع له وأطع فإنه الثقة المأمون.

والجدير بالذكر هنا، أن التقليد ليس حالة مطلقة وعامة، وإنما هي في موارد معينة ذكرها العلماء والفقهاء وهي:

— الأحكام الشرعية الفرعية، والمعبّر عنها بالمسائل الفقهية العلمية... وأحكام الشريعة على الرغم من ترابطها واتصال بعضها ببعض يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام كما يلي:

1 — العبادات وهي: الطهارة والصلاة والصوم والاعتكاف والحج والعمرة والكفارات.

2 — الأموال وهي على نوعين:

أ — الأموال العامة: ونريد بها كل مال مخصص لمصلحة عامة، ويدخل ضمنها الزكاة والخمس، فإنهما على الرغم من كونهما عبادتين، يعتبر الجانب المالي فيها أبرز، وكذلك يدخل ضمنها الخراج والأنفال وغير ذلك.

ب — الأموال الخاصة: ونريد بها ما كان مالا للأفراد.

3 — السلوك الخاص: ونريد به كل سلوك شخصي للفرد لا يتعلق مباشرة بالمال، ولا يدخل في عبادة الإنسان لربه.

4 — السلوك العام ونريد به سلوك ولي الأمر في مجالات الحكم والقضاء والحرب ومختلف العلاقات الدولية، ويدخل في ذلك أحكام الولاية العامة والقضاء والشهادات والحدود والجهاد وغير ذلك.

— الموضوعات الشرعية: وهي التي لا يملك معرفة حقيقتها وماهيتها إلا الشارع.

أما الفصل الثاني فهو بعنوان (شؤون المرجع الديني) وهي ثلاثة:

1 — الإفتاء: فيما يحتاج إليه العامي في عمله، ومورده المسائل الفرعية والموضوعات الاستنباطية من حيث ترتب حكم فرعي عليها.

2 — القضاء: وهو الحكم بما يراه حقاً في المرافعات.

3 — ولاية التصرف في الأموال والأنفس.

ولأن شؤون المرجعية مسائل مهمة وأساسية لا يقدر الجميع القيام بها، فقد أوجد الإسلام مجموعة من الشروط التي ينبغي أن تتوفر في المرجع وهي: (البلوغ، العقل، الحياة، الذكورة، الإيمان، طهارة المولد، الفقه، العدالة، الكفاءة)... ولكن السؤال في هذا الإطار هو: كيف يصل الفقيه إلى المرجعية... وقبل الإجابة على هذا السؤال، يعرف المؤلف الفقيه بما يلي: هو الرجل المتمكن من استنباط الأحكام الشرعية بالطرق الصحيحة، مهما يكن حجم وجوده الاجتماعي في الأمة، ومهما تكن علاقة الأمة به.

أما المرجع فهو الفقيه الذي دانت له الأمة، ورجعت إليه عملياً، ووثقت بقيادة وأبوتها لها.
أما طرق الوصول إلى المرجعية فهي:

- 1 - تصدي الفقيه للمرجعية.
 - 2 - ترشيح المراجع الآخرين له.
 - 3 - تأييد الحوزة العلمية وعلماء الدين في المناطق المختلفة له ودعوتهم الناس إليه.
 - 4 - دعم الأحزاب الإسلامية له، وطرح مرجعيته.
 - 5 - اختيار الأمة له، ورجوعها إليه في التقليد.
- ولكن كيف يختار المرء مرجع تقليده. يجب عن ذلك الشيخ المؤلف بقوله:
- اختيار المرجع لا بد من معرفته، والتعرف عليه له طرق ثلاث:
- 1 - أن يقوم الإنسان نفسه بالبحث والتحري عن المرجع وملاحظة توفر شرائط المرجعية فيه.
 - 2 - الرجوع إلى أهل الخبرة لتشخيص المرجع... وأهل الخبرة هم من توفرت فيهم صفتا العلم والعدالة، وقولهم حجة شرعية على الأمة.
 - 3 - الأخذ بما يفيد العلم والاطمئنان لدى الشخص بمرجعية فلان من العلماء، كأن يحصل شيعا بين أهل العلم والفضل، أو شيعا في صفوف الأمة.
- أما الفصل الثالث فقد خصصه المؤلف حول (نظريات في قيادة الفقهاء المراجع) وقد استعرض المؤلف في هذا الفصل أهم النظريات الموجودة في الساحة، حول قيادة الفقهاء للأمة... وهذه النظريات هي:

- 1 - ولاية الفقيه الواحد: وتعني أن السلطة العليا في الدولة الإسلامية تناط بالفقيه الواحد الجامع لشرائط الولاية، فتتجسد به حاكمية ومسؤولية التنسيق والإشراف على السلطات العليا في النظام بما فيها السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية، وله معظم الصلاحيات التي كانت للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) لكونه واحداً من ورثة الأنبياء.

2 - الفقيه الواحد ثم شورى الفقهاء: ويقصد بها أنه إذا توفرت في شخص ميزات القيادة وشروطها دون أن يتوفر في غيره من الفقهاء، فإنه يعرف من قبل أهل الحل والعقد كولي فقيه، وإلا فإن الولاية ستكون مجتمعة بالفقهاء الجامعين للشرائط.

3 - شورى الفقهاء المراجع: وتعني أن السلطة العليا لا تقتصر على الفقيه الواحد والحاكم الفرد، وإنما تتاط بعدد من الفقهاء الذين تتوفر فيهم شروط الولاية. وبعبارة أدق أن الفقهاء المؤهلين للحكم يشكلون نظاماً يسمى بـ (لجنة الإفتاء) أو مجلس قيادة، من خلاله تحكم الدولة الإسلامية بأغلبية الآراء على أساس مبدأ الشورى.

أما الفصل الأخير فكان بعنوان (وظائف المرجع... ووظائف الأمة).

وقبل أن يحدّد المؤلف وظائف المرجع، يرى المؤلف ضرورة توفر مسألتين أو إطارين حتى يتمكن المرجع من القيام بوظائفه على أكمل وجه. وهذان الأمران هما:

1 - برنامج عمل الأمة: وهذا أمر ضروري بالنسبة للمرجع الذي يسعى إلى قيادة الأمة نحو أهدافها النبيلة، وغاياتها السامية، لأنه لا يمكن أن تؤدي الوظائف التي يقوم بها المرجع دروها، وتثمر ثمارها، ما لم تخضع لبرنامج عمل، وخطة تغيير، ومشروع إصلاح في الأمة، يأخذ في حسابه أوضاع الأمة ومشاكلها وحاجاتها الأساسية، وكذلك ظروفها السياسية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية، وما تسمح به من القيام بأدوار ومسؤوليات معينة، تتناسب ظروفها. مضافاً إلى مراعاة الوسائل المناسبة التي يمكن أن يستفاد منها في الإصلاح والتغيير.

2 - جهاز إداري منظم: لكي تُدار شؤون المرجعية والعمل بشكل سليم، لا بد أن يمتلك المرجع جهازاً إدارياً منظماً يعمل تحت إشرافه، وتوزع عليه المسؤوليات والوظائف.

وتأسيساً على هذه الأمور يوضح المؤلف وظائف المرجع على الصعد التالية:

أولاً: على الصعيد الثقافي:

أ - الإفتاء.

ب - تعليم الناس: إذ أن الإسلام ليس عبادات، ومعاملات، وأحكام فقط، بل هو بالإضافة إلى ذلك أصول (عقائد) وأخلاق (قيم ومثل). والمرجع مطلوب منه أن يعلم الناس جميع

أقسام الإسلام وجوانبه، وذلك حتى تنظم أمورهم وتصلح نفوسهم، ويحصلوا على سعادة الدارين (الدنيا والآخرة).

ج - مقاومة الانحراف الفكري.

د - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ح - تأسيس الحوزات العلمية.

هـ - بعث الوكلاء.

ثانياً: على الصعيد الاجتماعي: إذ من الواضح أن مكانة المرجع تتعزز وتترسخ في الأمة بجهوده ونشاطاته وخدماته الاجتماعية. ومن الأمور التي بإمكان المرجع القيام بها على هذا الصعيد ما يلي:

1 - قضاء حوائج الناس.

2 - الإصلاح بين الناس.

3 - القضاء.

4 - مكافحة الفساد.

5 - ترفيع مستوى الأمة.

ثالثاً: على الصعيد الاقتصادي: من الميز الرئيسية التي يمتاز بها النظام القيادي عند الشيعة الامامية، الاستقلال الاقتصادي، وهو يتم من خلال الاعتماد على الحقوق الشرعية. وهذه الكمية الكبيرة من الأموال، إن أحسن توجيهها، وصرفت في الموارد الشرعية المقررة لها بشكل عادل وحكيم، وروعي في التقسيم حاجات الأمة ومصالحها الأساسية عادت بالنفع الكثير على الأمة، وكان في ذلك القضاء على كثير من حالات ومشاكل الفقر والمرض، والجهل والتخلف العام، التي تعاني منها الأمة الإسلامية في العصر الحاضر.

رابعاً: على الصعيد السياسي: إن إدارة الشؤون السياسية للأمة سواء في داخل الدولة أم خارجها، هي حاجة أساسية، لا غنى للأمة عنها، إذ بها تستقيم أمور الأمة، وتتقدم مسيرتها في مختلف المجالات الحياتية.

والمرجع كما هو مسؤول عن إدارة ورعاية شؤون الأمة الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، كذلك هو مسؤول عن إدارة شؤونها السياسية، ويجب عليه وظائف معينة بصددتها.

أما وظائف الأمة اتجاه القيادة الدينية (المرجع) فيحددها المؤلف في الآتي:

1 - تقليدهم في الأحكام الشرعية.

2 - امتثال أوامرهم.

3 - إيصال الحقوق إليهم.

4 - معاضدتهم في الأمور.

5 - الالتفاف حول المرجع.

6 - مراجعتهم في القضاء.

7 - طلب الوكلاء منهم.

8 - إعلامهم بما يقع في المجتمع.

9 - الدفاع عنهم.

10 - تهيئة الجو لهم.

وأخيراً نقول: بما أن القيادة والأمة أمر لازم لكل كيان إنساني، فلا بد أن تتبلور العلاقة بشكل منهجي بين القيادة والقاعدة حتى يتمكن المجتمع من السير قدماً نحو الأمام. وهذا ما حاوله المؤلف من خلال بيان علاقة الأمة بالمرجع والعكس.

الإسلام مشروع المستقبل

دراسة في فكر الإمام الشيرازي

المؤلف: محمد قاسم.

الدار: دار النخيل للطباعة والنشر - بيروت.

الأستاذ جعفر العبد

مع اشتداد أزمت العالم الإسلامي وإصرار الغرب على مواجهة كل ما هو إسلامي تشدد الحالة لدى كل من المفكرين الإسلاميين والمتقنين للتعق في نصوص الفكر الإسلامي

لتوليد نظرية (نموذج) للتفكير السياسي.. تشتد هذه الحاجة مع إفلاس النظرية الماركسية وطغيان النظرية الرأسمالية السياسية مع وجود الخروقات الكبيرة فيها... ومحاولة سيطرتها على العالم الإسلامي مع أنها مرفوضة... ويتهيئ الإسلاميون لسيادة النظرية الإسلامية على العالم بقناعات قديمة وحديثة أثبتتها التجارب الفاشلة لكل النظريات الأخرى.. ولكن العقبة الرئيسية التي تواجه الباحث في هذا المجال هو أن الدين الإسلامي لم يترك، أو بتعبير أدق لم يعرض على البشرية - بما يرحم المسلمين - نظرية سياسية خاصة على الرغم أنه قد تكلم عن قوانين وأسس للحرية والممارسة السياسية تتفق وطبيعة خلقه الإنسان التي تطمح أن تعيش بنظام غير ظالم تكون مشاركة في تكوينه أو تطبيقه... لكن الإسلام أيضاً ترك الكلام في تفاصيل ممارسة الحرية بيد أبنائه.

ولقد مرت على الشعوب الإسلامية مراحل انتقالية حاولوا فيها أن يصيغوا نظرية سياسية ولكن ذلك إما أن لم يطبق بالمرّة وبقي حبراً على ورق أو أنه طبق بشكل صغير ولكن زمن الكتابة قد تغير فما كان صالحاً بالأمس أصبح غير مواكباً لحاجة اليوم أو بالأحرى يحتاج إلى تطوير.

مشكلة أخرى تواجه الباحث في هذا الصدد ترتبط بالمناهج المتبعة في الدين الإسلامي وهذه النقطة بالخصوص واضحة لدى رجال الدين الذين أطلق على منهجهم اسم (فقه النص) وآخرين والذين لا يواكبون الواقع وتطوراته أي في حدود النهج الشرعي دون الخروج إلى مدلولاته وتطبيقاته في عصرنا الحديث، ومع أن المسألة ليست بذلك التعقيد فقد أولدت هذه المسألة حرباً شعواء على صعيد الصحف والمجلات لا أقل بين هؤلاء وبين أصحاب النظرة التجديدية في كل شيء أو ما يطلق عليهم (الحداثيون الجدد).

من هنا فإن أهمية اختيار الكاتب (محمد قاسم) في كتابه (الإسلام مشروع المستقبل) لشخصية الإمام محمد الشيرازي نموذجاً للشخصيات التي تحاول البحث عن قوانين تحكم النظرية السياسية وهو اختيار موفق لعدة أسباب:

السبب الأول: أنه سليل تلك الأسرة العريقة والتي كان لها دور كبير في تاريخ العراق وإيران... ونذكر في هذا الصدد اسمين الأول: آية الله المجدد السيد محمد حسن الشيرازي والذي آلت إليه المرجعية الشيعية في كافة الأقطار في عام (1282) وعلى الرغم أنه كان

يعيش في العراق فلقد استطاع أن يطرد من إيران في ثورة (التبّاك) المعروفة حتى قتله البريطانيون بالسّم عام (1312هـ).

الاسم الآخر: الشيخ محمد تقي الشيرازي والذي أصبح أيضاً مرجعاً وحيداً للمسلمين الشيعة بعد استشهاد المجدد الشيرازي وأيضاً فقد قاد الشيرازي ثورة مهمة لا تقل أهمية عن (ثورة التبّاك) ضد المستعمر البريطاني والتي أطلق عليها ثورة العشرين والتي قدم فيها العراقيون ألوف الضحايا استطاعوا بدمائهم إخراج الإنكليز من العراق ولكنه ما لبث أن قضى مسموماً أيضاً بأيدي الأعداء...

وعلى ذلك فقس إلى أن يصل الأمر إلى الإمام الشيرازي وأخوه الأديب والمفكر السياسي السيد حسن الشيرازي الذي قتلته حكومة العراق الحالية في لبنان، واللذين قادا نضالاً ثقافياً وسياسياً ضد الحكومة الحالية والتي بسببها حكم عليهما بالإعدام أكثر من مرة، فهاجر الإمام الشيرازي إلى الكويت ومن ثم إلى إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية فيها (1979م).

أريد أن أوضح أن هذه الوضعية التي عاشتها الأسرة العلمية المجاهدة والتي كانت دائماً تسعى إلى تغيير الواقع المعاش لا بد أنها بحاجة إلى طرح البديل وهذا الذي يدعونا إلى النظر في طرحه السياسي بالإضافة إلى أنه نموذج لطريقة التفكير السياسي لدى زعماء الأمة الإسلامية إذ من المفترض أن تكون طروحات الإمام الشيرازي هي عبارة عن تطوير وتجديد لطروحات وحلول أجداده حيث يجد أنها هي الأنسب للمسلمين.

السبب الثاني: أن الإمام الشيرازي هو خريج المدرسة الإسلامية الشيعية وهو أمر مهم إذا اتصف الشيعة على مدار التاريخ بإيمانهم بمسألة الاجتهاد في الأمور التي تهم حياة الإنسان الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية... ولأن هذا المذهب يعتبر العقل أحد المصادر الأربعة في إصدار الفتوى... الأمر الذي لا يمكن لأي طرف آخر أن يصم هذه الشخصية بشائبة من الشوائب التي تعوق القبول بنظرية أو التشكيك في عدم مناسبتها للواقع إذ أن أهم مسؤوليات المجتهد في المذهب الشيعي هو توضيح الطريق الصحيح للمسلمين في ظل واقع لا يشبه واقع المسلمين الأوائل.. فهي حركة مواكبة الواقع ضمن السلطة الإلهية.

السبب الثالث: أن الإمام الشيرازي هو أهم الدعاة إلى إطلاق الحريات لا تقييدها في العالم الإسلامي، ومن الشخصيات التي آمنت بالقدرات المحلية الإسلامية مع تسليمه بتخلف الحالة الإسلامية.. فلا هو بالمتغرب التابع... ولا هو بالمتعصب الذي لا يرى أي ضوء أو أي إيجابية في الحضارة الغربية.

السبب الرابع: بالإضافة إلى القناعة التي لا تحتاج إلى نقاش بأن الإسلام هو دين الحياة والآخرة، بمعنى آخر أن السياسة هي من صلب الدين والعمل فيها ليس فقط حلالاً وإنما في كثير من الأحيان واجب إيماني.. هذا الأمر نابع من المدرسة الشيعية التي عاشت في كثير من البلدان مقموعة وبعيدة عن الارتباط بالسلطات إضافة إلى شخصية تبلورت في وقت كان الصراع السياسي على أشده في العراق وتغيرت على حكم العراق تيارات متعددة من الملكية إلى الشيوعية إلى البعثية العنصرية أعطت إلى معاصر هذه الحقب من(1355هـ إلى 1385هـ) استطاع بها الإمام الشيرازي أن يشخص الداء ويبحث عن الدواء والذي سنقوم باستعراضه عبر دراسة الباحث(محمد قاسم).

الأمة بين الأزمة والعلاج

يتكون كتاب(الإسلام مشروع المستقبل) من أربعة فصول في(210) صفحات من الحجم الكبير ناقش فيها المؤلف نظرية وأفكار السيد الإمام محمد الشيرازي في الفصل الأول استعرض المؤلف في بدايته خلاصة نظرية الإمام الشيرازي لأزمة الأمة الإسلامية التي حصرت في(التخلف — الاستعمار — والدكتاتورية).

1 — التخلف باعتباره الأرضية الصالحة لنمو أي مرض أو ميكروب في داخل المجتمع أو الأمة فهو إذاً من الأخطار الجاثمة على صدر الأمة الإسلامية ومصدر للكثير من المشاكل والأزمات التي تعترى مسيرة الأمة في الحياة.

2 — والاستعمار باعتباره القوة الغاشمة التي تريد السيطرة على مقدرات المسلمين ونهجها والقضاء على كل مقومات الأمة الإسلامية نحو الاستقلال والتقدم... ويكرس المستعمرون جميع أسباب وعوامل الانحطاط والتأخر في جسد الأمة الإسلامية.

3 - أما الدكتاتورية: فهي حالة تعتبر معضلة وداء يمنع أي خير في المجتمع من النمو والانتعاش، وإذا ما سادت حالة الاستبداد في المجتمع فإن القدرات الإبداعية تضمحل في المجتمع وجميع عمليات الابتكار والإبداع لا تتحقق لأن سيف الإرهاب والاستبداد يقمع كل حالة فردية أو جماعية تتشد النهضة والتقدم والازدهار.

وفي كل نقطة من هذه النقاط هناك تفرعات وتفصيل ولكنها تمثل خلاصة تشخيص المؤلف لنظرية الإمام الشيرازي عن أزمة الأمة الإسلامية الرئيسية.

ينتقل المؤلف بعدها ليستعرض المواجهة السياسية بين المراجع الشيعة عبر التاريخ مع الاستعمار أو مع الحكومات الظالمة من عام (1809م) وصولاً إلى نهضة الإمام الخميني (رض) وتكوينه للجمهورية الإسلامية في إيران عام (1979م).

يتحدث بعدها المؤلف عن ملامح الفكر السياسي والحركي للإمام الشيرازي وعبر استعراض توجيهات وأعمال وخطب وكتب الإمام يستنتج الكاتب من أن الإمام الشيرازي يعتمد كمفكر إسلامي ومرجع من مراجع التقليد على الوحي والشرعية إطاراً أيديولوجياً عاماً ملتزماً بالأصالة الإسلامية والتراث الإسلامي التزاماً لا يجعله متحجراً على ما أنتجه الماضي وإنما تتصف أفكاره بأنها واقعية يفسرها المؤلف بمعنى أن العطاء الفكري للإمام الشيرازي ليس خاضعاً للاهتمامات الشخصية أو الميولات الذاتية وإنما هو خاضع لحاجة المجتمع وتطلعات الأمة وضرورات التحرك والعمل الإسلامي ويضيف الكاتب: ففي زمن سيطرة الشيوعيين في العراق كتب الإمام آنذاك كتابه (حوار حول تطبيق الإسلام) و (مباحثات مع الشيوعيين) إضافة إلى مجموعة من الكتب العقائدية تتناول الإسلام وأأسسه لتوضيح الرؤية السليمة للشباب مثل كتاب (العقائد الإسلامية) و (العدالة الإسلامية) و (في ظل الإسلام) إضافة إلى محاوراته الكثيرة للدفاع عن الإسلام والحكم الإسلامي مع الذين غزتهم هذه التيارات... الكتاب (ص35).

ويشخص الكاتب أن من صفات الفكر السياسي للإمام الشيرازي هو اتجاه هذا الفكر نحو الإيجابية والبناء بدل الهدم أي أنه بدل الحديث المطول عن الاستبداد يكتب الإمام عن فقه الحرية كبديل عن الاستبداد والدكتاتورية.

كذلك يشخص الكاتب أن أحد أهم مميزات فكر الإمام الشيرازي هو التركيز على الجانب الثقافي ويحصى المؤلف في هذا المجال أكثر من خمسين عملاً في كل من العراق والكويت وإيران من مدارس حفاظ القرآن الحكيم والحوزات إلى المكتبات إلى التشجيع والترخيص على إصدار مجلات إسلامية، ويتميز أيضاً بالاهتمام بأغلب الساحات الإسلامية وكل المسلمين وعدم الاقتصار على إقليم معين أو دولة محددة ويحصي المؤلف كمثال على ذلك دعم الإمام الشيرازي لأربع وستين مدرسة وحوزة في أفغانستان وأكثر من مائة وكيل.

نظرية التغيير كما يراها الإمام الشيرازي

في الفصل الثاني من الكتاب يطنب المؤلف في شرح نظرية التغيير في فكر الإمام الشيرازي ملخصه في دعائمها الثمانية وهي:

1 - العمل على توعية المجتمع الإسلامي العقائدي والاقتصادي والسياسي والشرائعي والاجتماعي والتربوي والعسكري والزراعي والصناعي باستخدام كل الوسائل والمؤثرات من صحف ومجلات وتلفزيون وإذاعة ونوادي وكتب.

2 - العمل بنظام في كل عملية صراع مع الأعداء لأن المسلمين حسب التعبير: لا يواجهون عدواً فوضوياً وحسب قوله — الشيرازي — إن التنظيم واجب شرعي وسنة كونية وضرورة حيوية بالنسبة إلى الأمة الإسلامية.

3 - العمل على الالتزام بأخلاقيات الإسلام في تكوين وإدارة الحركة الإسلامية ويوضح المؤلف الفكرة التي يسعى الإمام الشيرازي أن تكون موجودة في القائمين على الحركة والتي تعتبر العمود الفقري لنجاح الحركة في نشاطها وجهودها، هذه الأخلاقيات هي:

(التعاون - الاستقامة - نظافة القائمين على الحركة - الصمود - فهم ارتباطات الحياة - زهد القادة - عدم حب الشهرة - الإخلاص - العمل الدائب - التواضع - والتحلي بالآداب الرفيعة - الاستقلال - قضاء حوائج الناس).

4 - يحدد الإمام الشيرازي بأن هدف الحركة الإسلامية يجب أن يكون لنشر السلام على الأرض وليس الحرب... وانتهاج الطرق السلمية بدلاً من العنف لذلك أصبح يطلق على دعوة الإمام العامة باسم (نظرية اللاعنف).

5 - الاكتفاء الذاتي.

6 - استيعاب الجميع في ظل حكومة إسلامية تعتمد على الشورى في مختلف شؤون الحكم ووجود الأحزاب الحرة التي تمارس عملها في إطار قوانين الإسلام. وفي هذا الإطار نفسه يشرح المؤلف قواعد الإمام الشيرازي للحركات الإسلامية السامية للتغيير في بلاد المسلمين منها مثلاً:

أ - الوعي السياسي: أي فهم ما يجري لبلاد المسلمين وأسبابه وفهم كيف يمكن إصلاحه.
ب - التربية الروحية: كما أن الإسلام يهتم بالتربية السياسية يهتم بتقوية الجانب الروحي لدى الفرد المسلم والهدف من ذلك هو تقوية أفراد الحركة الإسلامية أمام الصعوبات من جانب فإن هذه التربية تكون، حصناً له من الاغترار والبطر أمام أي انتصار أو أي إغراء دنيوي، وإنما يعتبره نعمة من نعم الله يواجهها بالشكر والامتنان.

ج - جمع الطاقات والقدرات: وعلى عكس صفات المجتمع المتخلف فإن الإمام الشيرازي يسعى إلى ممارسات حضارية يجمعها العاملون في الحركة الرسالية من أجل التغيير الذي ينشدونه في المجتمع.

د - بعد النظر والرؤية المستقبلية: وهو استشراف آفاق المستقبل وتربية أبنائها على بعد النظر والرؤية الاستراتيجية مع عدم نسيان الحاضر وما يجري فيه.

هـ - وضع المنهاج الصحيح للمواجهة.

و - تجنب الطفولة السياسية: وهذا يعني عدم الاشتغال بالتوافه والاتزان وعدم التطرف في الأعمال الاجتماعية والسياسية.

وفي الفصل الثالث والذي أطلق عليه المؤلف اسم (فقه الدولة) يشرح عدة أمور ومصطلحات تخص الدولة الإسلامية التي نظر إليها الإمام الشيرازي فيقدم في البداية أسس النظام السياسي الإسلامي والذي من أول عناصره:

أ - الإمام الفقيه الذي هو امتداد للإمامة التي نص عليها رسول الله.

ب - الأحزاب الإسلامية والطريقة التي يجب أن تسير عليها.

ج - السلطات الثلاث (تشريعية - تنفيذية - قضائية).

د - الشورى: وهي من مرتكزات النظام السياسي في الإسلام والتي لا تخص النظام العلوي الذي يحكمه وإنما يهبط إلى كل الهيئات والمؤسسات وهو شيء حري بالاهتمام والتطبيق.

ثم يتدرج المؤلف شارحاً عدة أمور تتعلق بالحكام والأحكام والقانون أو الدستور الذي تسير عليه الدولة منها:

- 1 - إرجاع الأمة الواحدة.
- 2 - تطبيق أحكام الله وتشريعاته.
- 3 - حفظ الأمة من الانهيار.
- 4 - إنماء الأمة في مختلف الميادين.
- 5 - توسيع الأمة وتطوير أفكارها.
- 6 - الدولة والمسألة الاقتصادية.
- 7 - الدولة الإسلامية والمسألة الحقوقية.
- 8 - أصالة الحرية في الفكر الإسلامي وفيه تفصيل للحريات التي تعطيها الدولة الإسلامية منها (حرية الدين وحرية التعبير والإعلام - حرية التجمعات).
- 9 - حقوق الإنسان في الدولة.
- 10 - نظام العقوبات في الدولة الإسلامية.
- 11 - الدولة الإسلامية والمرأة.
- 12 - الدولة الإسلامية والشباب.
- 13 - الدولة الإسلامية والأقليات الدينية.
- 14 - مبادئ السياسة الداخلية والخارجية للدولة الإسلامية.

وفي الفصل الرابع والأخير يتحدث المؤلف عن الأفق العالمي الذي يطمح إليه المؤلف وهو أن تسود الحضارة الإسلامية في العالم من أجل إنفاذه من برائن الحضارة الغربية العفنة التي لا تتسجم وفطرة الإنسان ولا تلبي حاجات طبيعته وفطرته.

خاطرة

الشيخ فيصل العوامي

في موسم الصيف الماضي 1413هـ كان لي لقاء مع أحد المؤمنين وقد كان للتو قادماً من زيارة المراقد المقدسة في الجمهورية الإسلامية في إيران. وجدته مندفعاً بحماس للتحديث حول انطباعاته لأول زيارة قام بها لسماحة آية الله العظمى الإمام السيد محمد الشيرازي -حفظه الله- وقد بهره في هذا اللقاء ببساطة التعاطي مع سماحته إلى درجة خيل له وكأنه جالس مع رفيق درب طويل طالما تسامر معه وتبادل معه فنون الكلام وشجونه.

وفي حديثه الحماسي هذا روى واقعة جميلة ومعبرة في آن واحد حدثت له في هذا اللقاء... يقول: لأنني للمرة الأولى أوفق إلى زيارة إيران فلم أكن عارفاً بموقع سكن سماحة المرجع السيد الشيرازي، ولذا كان لا بد لي من دليل، ولم أجد أمامي سوى بعض الأصدقاء من أبناء وطني المستقرين في مدينة قم، إلا أنهم كانوا يكونون العداء لسماحة السيد رغم أنهم لم يروه ولو مرة واحدة في حياتهم، لذا عند طلبي منهم مرافقتي في هذه الزيارة مانعوا بشدة، إلا أنهم في نهاية المطاف وبعد الإصرار نزلوا عند طلبي وجاؤوا إلى بيت السيد على كره.

هناك حدثت المفاجأة... ففي الدقائق الأولى من هذه الزيارة تبسط أولئك الأخوة الحديث مع سماحته وعلت وجوههم ابتسامة كبيرة، فتعجبت كثيراً من هذا التحول... وزاد في تعجبي أننا وبمجرد أن خرجنا من داره أخذوا في البكاء وتوجيه اللوم إلى أنفسهم، ومن جميل ما قالوا حينئذ: إننا طالما كنا نسمع من الآخرين حول شخصية سماحة السيد، لكننا لم نبادر ولا مرة واحدة لرؤيته والاستماع له بصورة مباشرة وهذا ما أحدث تشوهاً في رؤيتنا له... وبعد ذلك قرروا المجيء إلى زيارته مرة أخرى.

طبعاً ليست هي المرة الأولى ولن تكون الأخيرة التي أسمع فيها رواية كهذه عن شخصية سماحة الإمام الشيرازي — دام ظله العالي — لكنني اخترت هذه الرواية لحدثتها، ولأنها تكشف عن جانب مهم ومميز من شخصية السيد وسلوكه الاجتماعي.

إن القدرة العقلية والعلمية التي يتمتع بها سماحة السيد والتي تظهر لنا بجلاء من خلال الكتب والموسوعات التي ناهز مجموع المطبوع منها الثمانمائة، والمستوى الإداري والسياسي الذي يتضح لنا من خلال المواقف والأفكار والنشاطات المتزايدة، وجانب الإبداع في التصدي المرجعي، وغير ذلك يعد أبرز المعالم التي تتميز بها شخصية سماحة السيد... إلا أن هناك معلماً سلوكياً مهماً جداً ربما يتفرد به سماحته، والواقعة الآتفة الذكر هي مصداق لجانب من جوانب ذلك المعلم، وقد أستطيع أن أعبر عنه في هذه الخاطرة بالاستعداد الاجتماعي أو المرونة الاجتماعية وأعني به سهولة تمتين العلاقة الشخصية بين السيد وجميع مقلديه كباراً وصغاراً.

إنني أعتقد بأن هذا المعلم هو في الحقيقة من أهم معالم شخصية سماحته وأنه يأتي مباشرة بعد الكفاءة والمواهب العلمية، فإذا أراد فقيه أن يتصدى للمرجعية فيجب أن يفتح صدره لمشاكل الناس وآلامهم، ولا يضع بينه وبين مقلديه حاجزاً سواء من وكلائه أو حاشيته، ويتعامل معهم تعاملأً أًبويأً... إذ أن للناس مشاكلهم وهمومهم واحتياجاتهم ولم يلقدوا مرجعأً إلا ليرجعوا فيها إليه، فلا بد أن يجدوا منه اهتمامأً واستعدادأً.

وهذا ما نجده في شخصية سماحة السيد الشيرازي، فمنذ أن اتصلنا به قبل اثنتي عشرة سنة وحتى هذه اللحظة لم نجد بابه موصداً أًمانأً، فما من مرة واحدة ذهبنا إلى مدينة قم إلا وكانت أسهل حاجة ننجزها هي زيارة سماحته في بيته المتواضع.

ما قصدناه مرة إلا وخرجنا من عنده ونحن في تمام الاطمئنان والسرور... تارة نرد إليه صباحاً وأخرى عند الظهر وثالثة في آخر الليل فلا نجد منه نفوراً أو اشمئزاً بل يسارع إلى لقائنا ويستقبلنا بحفاوة، وبمجرد أن نجلس معه يتبسط معنا في الحديث، ويتعاطى مع الكل على حد سواء فلا يميز في التعامل بين إنسان وآخر وإنما يعطي الكل حقه من التحديث والاستماع وحتى نظراته يوزعها باستمرار على الجميع ليشعرهم بالأهمية لدرجة يشعر فيها كل شخص بشخصيته ومكانته عنده.

لهذا فإن كل مقلد فينا يشعر بأن له علاقة شخصية مع سماحته... يشعر بأنه صديق فعلي له.

ليس من السهل أن تكشف عن طموحاتك الشخصية أمام أي إنسان مهما عاشرتة، ولا أن تفرغ ما في صدرك من هموم ومشاكل أو أحاسيس أو أخطاء لأي شخص، لكن سماحة السيد لا تجد أي حرج في ذلك بل تجد ما يحفزك على طرح أحاسيسك الخاصة له بدون أي حذر وذلك لما تجده من رحابة صدر واستعداد للاستماع، تجده قريباً جداً منك ومن مشاعرك وتفكيرك.

إن هذه الحالة الإنسانية الكبيرة ملاحظة في شخصية سماحة السيد الشيرازي والمجسدة للآية الكريمة (إنما المؤمنون أخوة).

وهي إحدى الآيات الثلاث التي يؤكد عليها سماحته في هذه الفترة ويدعو للعمل بها بصدق في الساحة الاجتماعية، وهذه الحالة هي في الحقيقة من أهم ما يميز شخصية السيد (حفظه الله) كما أنها من أهم ما يدعو مقلديه للرجوع إليه لأنهم لا يقلدون اسماً أو رسماً أو يرجعون إلى كتاب وإنما يرتبطون بعلاقة إيمانية متينة مع إنسان عظيم يكبرهم علماً وتجربة ليضيء لهم الطريق ويرشدهم إلى السبيل الأقوم.

لهذا فإن أي إنسان يظلم سيذاً كهذا جدير بأن يبكي في أول لقاء مع سماحته...